



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا  
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# من هدى القرآن

كاتب:

آيت الله سيد محمد تقى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
٢٣	من هدى القرآن المجلد ٦
٢٣	اشاره
٢٤	اشاره
٢٤	سوره النحل
٢٤	اشاره
٢٨	فضل السوره
٣٠	الإطار العام
٣٨	[سوره النحل (١٦): الآيات ١ الى ٩]
٣٨	اشاره
٣٨	اللغه
٤٠	و على الله قصد السبيل
٤٠	هدى من الآيات:
٤١	بينات من الآيات:
٤١	بين الخلق و الأمر:
٤٢	روح رسالات الله:
٤٧	[سوره النحل (١٦): الآيات ١٠ الى ١٨]
٤٧	اشاره
٤٩	لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
٤٩	هدى من الآيات:
٥٠	بينات من الآيات:
٥٠	اشاره
٥٢	مراحل العلم و هدف الانعام:
٥٤	أ فلا تذكرون:

٥٨ ..... [سوره النحل (١٦): الآيات ١٩ الى ٢٩]

٥٨ ..... اشاره

٥٨ ..... اللغه

٦٠ ..... التكبير أسبابه و جزاؤه

٦٠ ..... هدى من الآيات:

٦١ ..... بينات من الآيات:

٦١ ..... من نعبده؟

٦٤ ..... جزاء الاستكبار:

٦٨ ..... [سوره النحل (١٦): الآيات ٣٠ الى ٣٧]

٦٨ ..... اشاره

٦٨ ..... اللغه

٧٠ ..... و العاقبه للمتقين

٧٠ ..... هدى من الآيات:

٧١ ..... بينات من الآيات:

٧١ ..... جزاء المتقين:

٧٥ ..... الكلمه البالغه:

٧٧ ..... [سوره النحل (١٦): الآيات ٣٨ الى ٤٤]

٧٧ ..... اشاره

٧٨ ..... آثار الإيمان بالآخره

٧٨ ..... هدى من الآيات:

٧٩ ..... بينات من الآيات:

٧٩ ..... العلم دليل الحقيقه:

٨١ ..... لماذا البعث؟

٨٢ ..... واجب الهجره:

٨٣ ..... سبيل المعرفه:

٨٤ ..... البيئات و الزبر:

- ٨٥ ..... هدف البعثه:
- ٨٦ ..... [سوره النحل (١٦): الآيات ٤٥ الى ٥٥]
- ٨٦ ..... اشاره
- ٨٧ ..... إنما هو إله واحد
- ٨٧ ..... هدى من الآيات:
- ٨٨ ..... بينات من الآيات:
- ٨٨ ..... الحاكميه الإلهيه:
- ٨٩ ..... أنواع العذاب الإلهي:
- ٩١ ..... آيات الخلق و حقيقه العبوديه:
- ٩٣ ..... تجاوز الخوف شرط العباده:
- ٩٥ ..... [سوره النحل (١٦): الآيات ٥٦ الى ٦٣]
- ٩٥ ..... اشاره
- ٩٥ ..... اللغه
- ٩٧ ..... لله المثل الأعلى
- ٩٧ ..... هدى من الآيات:
- ٩٨ ..... بينات من الآيات:
- ٩٨ ..... الشرك عبوديه و ذل:
- ٩٩ ..... مكانه المرأه فى الجاهليه:
- ١٠١ ..... عباده الذات جذر الانحراف:
- ١٠٢ ..... حكمه الأجل:
- ١٠٣ ..... لماذا التسافل؟
- ١٠٥ ..... [سوره النحل (١٦): الآيات ٦٤ الى ٧٤]
- ١٠٥ ..... اشاره
- ١٠٧ ..... الكتاب مقياس الحق و مظهر الرحمه
- ١٠٧ ..... هدى من الآيات:
- ١٠٨ ..... بينات من الآيات:

- ١٠٨ ..... الكتاب ميزان الحق:
- ١٠٩ ..... القرآن مطر الرحمة:
- ١١٠ ..... الأنعام عبره و رحمته:
- ١١١ ..... النحل آيه بينه:
- ١١٢ ..... معنى الوحى:
- ١١٤ ..... دليل التدبير:
- ١١٥ ..... حدود الحرية البشريه:
- ١١٦ ..... نعمه الأزواج:
- ١١٨ ..... لماذا الإصرار؟
- ١١٩ ..... [سوره النحل (١٦): الآيات ٧٥ الى ٨٣]
- ١١٩ ..... اشاره
- ١١٩ ..... اللغه
- ١٢١ ..... يعرفون نعمه الله ثم ينكرونها
- ١٢١ ..... هدى من الآيات:
- ١٢٢ ..... بينات من الآيات:
- ١٢٢ ..... ظلم الطاغوت:
- ١٢٣ ..... ظلام الجبت:
- ١٢٥ ..... لعلكم تشكرون:
- ١٢٨ ..... الهدايه بين الإكراه و الاختيار:
- ١٢٩ ..... [سوره النحل (١٦): الآيات ٨٤ الى ٨٩]
- ١٢٩ ..... اشاره
- ١٣٠ ..... لا يؤذن لهم و لا هم يستعتبون
- ١٣٠ ..... هدى من الآيات:
- ١٣١ ..... بينات من الآيات
- ١٣١ ..... من الشاهد؟
- ١٣٢ ..... مسئوليه الانحراف:



- عذاب المضل أشد: ----- ١٣٣
- [سوره النحل (١٦): الآيات ٩٠ الى ٩٧] ----- ١٣٥
- اشاره ----- ١٣٥
- العلاقات المثلى فى المجتمع الإسلامى ----- ١٣٧
- هدى من الآيات: ----- ١٣٧
- بينات من الآيات: ----- ١٣٨
- العدل سنه اجتماعيه و واجب الهى: ----- ١٣٨
- الإحسان ضروره العدل: ----- ١٣٩
- الوفاء لا النقض: ----- ١٤٠
- آثار اليمين الكاذبه: ----- ١٤٢
- خلود الجزاء: ----- ١٤٤
- الحق صلاح: ----- ١٤٥
- [سوره النحل (١٦): الآيات ٩٨ الى ١٠٥] ----- ١٤٦
- اشاره ----- ١٤٦
- كيف نفهم الكتاب؟ ----- ١٤٧
- هدى من الآيات: ----- ١٤٧
- بينات من الآيات: ----- ١٤٨
- توكل على الله: ----- ١٤٨
- التوكل حصن المؤمن: ----- ١٤٩
- شيطان الفكر: ----- ١٥١
- من شبهات الشيطان: ----- ١٥٣
- الرد على الشبهه: ----- ١٥٣
- [سوره النحل (١٦): الآيات ١٠٦ الى ١١٣] ----- ١٥٥
- اشاره ----- ١٥٥
- اللغه ----- ١٥٥
- عاقبه الارتداد ----- ١٥٧

- ١٥٧ ----- هدى من الآيات:
- ١٥٨ ----- بينات من الآيات:
- ١٥٨ ----- الإيمان مسئوليه:
- ١٦١ ----- جذر المشكله:
- ١٦١ ----- الارتداد انحطاط:
- ١٦٢ ----- سبيل المغفره:
- ١٦٣ ----- عاقبه الارتداد فى الدنيا:
- ١٦٤ ----- الحجّه التامه:
- ١٦٦ ----- [سوره النحل (١٦): الآيات ١١٤ الى ١١٩]
- ١٦٦ ----- اشاره
- ١٦٦ ----- اللغه
- ١٦٧ ----- السبيل الى شكر النعم
- ١٦٧ ----- هدى من الآيات:
- ١٦٨ ----- بينات من الآيات:
- ١٦٨ ----- حدود الانتفاع بالنعم:
- ١٦٩ ----- كيف نشكر الله؟
- ١٦٩ ----- جزاء الكذب و البدع:
- ١٧٠ ----- التوبه و الإصلاح:
- ١٧٢ ----- [سوره النحل (١٦): الآيات ١٢٠ الى ١٢٨]
- ١٧٢ ----- اشاره
- ١٧٣ ----- شكر النعمه و برامج الوحى
- ١٧٣ ----- هدى من الآيات:
- ١٧٤ ----- بينات من الآيات:
- ١٧٤ ----- إبراهيم قدوه الشكر:
- ١٧٦ ----- بنى إسرائيل و الابتلاء:
- ١٧٧ ----- وصايا للدعاة:

١٧٧	الحكمه:
١٧٨	العدل:
١٧٩	الاستقامه:
١٨٠	سوره الإسراء
١٨٠	اشاره
١٨٢	فضل السوره:
١٨٤	الإطار العام
١٩٤	[سوره الإسراء (١٧): آيه ١]
١٩٤	اشاره
١٩٤	اللغه
١٩٧	قصة الإسراء
١٩٧	بينات من الآيات:
١٩٧	اشاره
٢٠٣	حديث الإسراء:
٢٠٤	قصة المعراج
٢٠٤	اشاره
٢٠٧	حديث المعراج:
٢١١	الرسول في السماوات:
٢١٨	[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٢ الى ٨]
٢١٨	اشاره
٢١٨	اللغه
٢٢٠	ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم
٢٢٠	هدى من الآيات:
٢٢١	بينات من الآيات:
٢٢١	اشاره
٢٢٢	معرفة الذات منطلق الشكر:

- ٢٢٣ ..... الظالم سيف الله: .....
- ٢٢٥ ..... الإنسان قرين عمله: .....
- ٢٢٨ ..... [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩ الى ٢١] .....
- ٢٢٨ ..... اشاره .....
- ٢٢٨ ..... اللغه .....
- ٢٣٠ ..... الإنسان ذلك المسؤول .....
- ٢٣٠ ..... هدى من الآيات: .....
- ٢٣١ ..... بينات من الآيات: .....
- ٢٣٢ ..... المسؤوليه و عامل الزمن: .....
- ٢٣٥ ..... كيف تنهار الأمم؟ .....
- ٢٣٩ ..... [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٢٢ الى ٣٣] .....
- ٢٣٩ ..... اشاره .....
- ٢٣٩ ..... اللغه .....
- ٢٤١ ..... المسؤوليه الاجتماعيه للإنسان المؤمن .....
- ٢٤١ ..... هدى من الآيات: .....
- ٢٤٢ ..... بينات من الآيات: .....
- ٢٤٢ ..... الشرك جذر الانحراف: .....
- ٢٤٣ ..... من حقوق الوالدين: .....
- ٢٤٥ ..... الإنفاق زكاه المال: .....
- ٢٤٥ ..... كيف تنفق؟ .....
- ٢٤٦ ..... الثقة بالله مفتاح السعاده: .....
- ٢٤٨ ..... [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٣٤ الى ٤٤] .....
- ٢٤٨ ..... اشاره .....
- ٢٤٨ ..... اللغه .....
- ٢٥٠ ..... الإنسان بين الشرك .....
- ٢٥٠ ..... اشاره .....

- ٢٥٠ ..... هدى من الآيات:
- ٢٥٣ ..... بينات من الآيات:
- ٢٥٣ ..... مسئوليات اجتماعيه:
- ٢٥٧ ..... [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٥ الى ٥٢]
- ٢٥٧ ..... اشاره
- ٢٥٧ ..... اللغة
- ٢٥٩ ..... الحجب و ضروره التصحيح
- ٢٥٩ ..... هدى من الآيات:
- ٢٥٩ ..... اشاره
- ٢٦٠ ..... الجواب:
- ٢٦٠ ..... بينات من الآيات:
- ٢٦٦ ..... [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٣ الى ٦٠]
- ٢٦٦ ..... اشاره
- ٢٦٦ ..... اللغة
- ٢٦٨ ..... العلاقات الاجتماعيه البناء
- ٢٦٨ ..... هدى من الآيات:
- ٢٦٩ ..... بينات من الآيات:
- ٢٦٩ ..... القول الأحسن:
- ٢٧٠ ..... كيف تنظر الى الناس؟
- ٢٧٣ ..... الألهه الزائفه:
- ٢٧٥ ..... سنه العذاب:
- ٢٧٧ ..... الرؤيا:
- ٢٧٨ ..... الشجره الملعونه:
- ٢٨١ ..... [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦١ الى ٧٠]
- ٢٨١ ..... اشاره
- ٢٨١ ..... اللغة

الإِنسان بين كرامه الله و غرور الشيطان ..... ٢٨٣

هدى من الآيات: ..... ٢٨٣

بينات من الآيات: ..... ٢٨٤

إبليس يتحدى سلطان الحق: ..... ٢٨٤

هكذا يمكر إبليس: ..... ٢٨٤

الف:التضليل الأعلامى: ..... ٢٨٧

باء:الإرهاب: ..... ٢٨٨

جيم:إفساد الاقتصاد: ..... ٢٨٨

دال:إفساد التربيّه: ..... ٢٨٨

هاء:الترغيب: ..... ٢٨٨

عباده الله عصمه و هدايه: ..... ٢٨٩

بعد البلاء أما العذاب أو الرحمه: ..... ٢٩٣

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧١ الى ٨١] ..... ٢٩٤

اشاره ..... ٢٩٤

اللغه ..... ٢٩٤

كيف نواجه خطط إبليس؟ ..... ٢٩٨

هدى من الآيات: ..... ٢٩٨

بينات من الآيات: ..... ٣٠٠

أمامه القرآن هدايه و فلاح: ..... ٣٠٠

الرسول يتحدى الضغوط: ..... ٣٠٢

الصلاه: ..... ٣٠٤

شفاعه الرسول فى أمته: ..... ٣٠٨

نصره الله: ..... ٣٠٩

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٢ الى ٩٣] ..... ٣١٣

اشاره ..... ٣١٣

اللغه ..... ٣١٣

- ٣١٥ ..... القرآن بلسم الحياه و شفاء الإنسان
- ٣١٥ ..... هدى من الآيات:
- ٣١٦ ..... بينات من الآيات:
- ٣١٦ ..... شفاء القرآن:
- ٣١٧ ..... القرآن شفاء القلب و المجتمع و البدن:
- ٣١٨ ..... السعاده و أبعادها:
- ٣٢١ ..... الشخصيه و نهج العمل:
- ٣٢٢ ..... قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي :
- ٣٢٥ ..... القرآن يتحدى:
- ٣٢٦ ..... حوار العاجزين:
- ٣٢٩ ..... [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩٤ الى ١٠٤]
- ٣٢٩ ..... اشاره
- ٣٢٩ ..... اللغه
- ٣٣١ ..... التكذيب أسبابه و نتائجه
- ٣٣١ ..... هدى من الآيات:
- ٣٣٢ ..... بينات من الآيات:
- ٣٣٢ ..... اشاره
- ٣٣٤ ..... شهاده الله:
- ٣٣٧ ..... البعث من جديد:
- ٣٤٢ ..... [سوره الإسراء (١٧): الآيات ١٠٥ الى ١١١]
- ٣٤٢ ..... اشاره
- ٣٤٢ ..... اللغه
- ٣٤٣ ..... و بالحق أنزلناه و بالحق نزل
- ٣٤٣ ..... هدى من الآيات:
- ٣٤٤ ..... بينات من الآيات:
- ٣٤٤ ..... اشاره

٣٤٨	توحيد الله:
٣٥٠	الله يتجلى في كتابه:
٣٥٤	سوره الكهف
٣٥٤	اشاره
٣٥٤	فضل السوره
٣٥٤	الاسم:
٣٥٨	الإطار العام
٣٥٨	تمهيد:
٣٥٩	مفردات قرآنيه:
٣٦٠	اتجاه خاطئ:
٣٦١	التفسير و التدبير:
٣٦١	اشاره
٣٦٢	البعد الأول:
٣٦٢	البعد الثاني:
٣٦٣	البعد الثالث:
٣٦٤	التدبير و المسلمون في العصر الحاضر:
٣٦٥	زينه الحياه و الهدى:
٣٧٣	[سوره الكهف (١٨): الآيات ١ الى ٨]
٣٧٣	اشاره
٣٧٣	اللغه
٣٧٥	لنبلوهم أيهم أحسن عملا
٣٧٥	هدى من الآيات:
٣٧٦	بيّنات من الآيات:
٣٧٦	اشاره
٣٧٦	سنن القرآن و سنن الطبيعه:
٣٧٧	الكتاب القيم:



- أهداف الكتاب و حوافز الهدايه: ٣٧٨
- الإنتذار: ٣٧٨
- الحافز الثاني: ٣٧٩
- العلاقه الوثيقه: ٣٧٩
- ألوان الشرك: ٣٨٠
- ما على الرسول إلا البلاغ: ٣٨١
- [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩ الى ١٦] ٣٨٤
- اشاره ٣٨٤
- اللغه ٣٨٤
- أصحاب الكهف: ٣٨٤
- اشاره ٣٨٤
- هدى من الآيات: ٣٨٤
- بينات من الآيات: ٣٨٤
- قصه أصحاب الكهف و الرقيم: ٣٨٤
- حريه الإنسان تتحدى: ٣٨٩
- خرق السنن الطبيعيه: ٣٩٠
- الجزريه: ٣٩٤
- سياسه الطاغوت: ٣٩٥
- تأييد الله: ٣٩٥
- التأييد الإلهي: ٣٩٤
- [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٧ الى ٢٠] ٣٩٧
- اشاره ٣٩٧
- اللغه ٣٩٧
- و لِيَتَلَطَّفَ وَ لَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ٣٩٩
- هدى من الآيات: ٣٩٩
- بيّنات من الآيات: ٤٠١

٤٠١ ..... اشارة

٤٠٥ ..... الطريق الى العلم:

٤٠٨ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢١ الى ٢٦]

٤٠٨ ..... اشارة

٤٠٨ ..... اللغه

٤١٠ ..... وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا

٤١٠ ..... هدى من الآيات:

٤١٠ ..... بيّنات من الآيات:

٤١٠ ..... اشارة

٤١٢ ..... زياره القبور:

٤١٤ ..... المنهج العلمى لا الرجم بالغيب:

٤١٦ ..... الحياه بين تدبير الرب و تقدير العبد:

٤٢٠ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٧ الى ٣١]

٤٢٠ ..... اشارة

٤٢٠ ..... اللغه

٤٢٢ ..... زينه الحياه و ضمانات الاستقامه

٤٢٢ ..... من الإطار العام:

٤٢٣ ..... هدى من الآيات:

٤٢٤ ..... بيّنات من الآيات:

٤٢٤ ..... بين الثواب و المتغيرات:

٤٢٥ ..... الانتماء، شروطه و مقوماته:

٤٢٦ ..... من صفات القائد:

٤٣١ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٢ الى ٤٤]

٤٣١ ..... اشارة

٤٣٢ ..... اللغه

٤٣٣ ..... الإنسان بين تأليه الماده و عباده الله

٤٣٣ ..... هدى من الآيات: -

٤٣٤ ..... بينات من الآيات: -

٤٣٤ ..... بين الشكر و الكفر: -

٤٣٥ ..... دركات الهبوط: -

٤٣٧ ..... كيف نجبر ضعف الذات؟ -

٤٣٩ ..... العقاب الإلهي: -

٤٤٢ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ٤٥ الى ٤٩] -

٤٤٢ ..... اشاره -

٤٤٢ ..... اللغه -

٤٤٣ ..... و وجدوا ما عملوا حاضرا -

٤٤٣ ..... هدى من الآيات: -

٤٤٤ ..... بينات من الآيات: -

٤٤٤ ..... مثل الدنيا: -

٤٤٤ ..... الباقيات الصالحات: -

٤٤٨ ..... صور من القيامة: -

٤٥٢ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٠ الى ٥٦] -

٤٥٢ ..... اشاره -

٤٥٢ ..... اللغه -

٤٥٤ ..... ولايه الله أم ولايه الشيطان؟ -

٤٥٤ ..... هدى من الآيات: -

٤٥٥ ..... بينات من الآيات: -

٤٥٥ ..... لمن الولاية؟! -

٤٥٧ ..... و جعلنا بينهم موبقا: -

٤٥٩ ..... كيف نتخلص من طبيعه الجدل؟ -

٤٤٣ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٧ الى ٦٤] -

٤٤٣ ..... اشاره -

اللغه - ٤٦٣

من حقائق الهدى و المعرفة - ٤٦٥

هدى من الآيات: - ٤٦٥

بينات من الآيات: - ٤٦٦

آثار الظلم: - ٤٦٦

لماذا النسيان؟ - ٤٦٩

من عوامل النسيان: - ٤٧٠

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٦٥ الى ٧٨] - ٤٧٣

اشاره - ٤٧٣

اللغه - ٤٧٣

إنك لن تستطيع معى صبيرا - ٤٧٥

هدى من الآيات: - ٤٧٥

بينات من الآيات: - ٤٧٦

بين العلم و الرحمه: - ٤٧٦

الصبر وزير العقل: - ٤٧٧

أولاً: يخرق سفينه: - ٤٧٩

ثانياً: يقتل غلاماً: - ٤٨١

ثالثاً: يبني جداراً: - ٤٨١

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٧٩ الى ٨٢] - ٤٨٣

اشاره - ٤٨٣

اللغه - ٤٨٣

ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَشْطَعْ عَلَيْهِ صَبْرًا - ٤٨٤

هدى من الآيات: - ٤٨٤

بينات من الآيات: - ٤٨٥

لماذا خرق السفينه؟ - ٤٨٥

لماذا قتل الغلام؟ - ٤٨٥

- ٤٨٦ ..... بين المصلحه العامه و الخاصه:
- ٤٨٨ ..... فى العلاقه مع النعم:
- ٤٨٩ ..... لماذا بنى الجدار؟
- ٤٩٢ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ٨٣ الى ٩٥]
- ٤٩٢ ..... اشاره
- ٤٩٢ ..... اللغه
- ٤٩٤ ..... الموقف السليم من السلطه
- ٤٩٤ ..... هدى من الآيات:
- ٤٩٧ ..... بينات من الآيات:
- ٤٩٧ ..... عوده للتاريخ:
- ٤٩٨ ..... من هو ذو القرنين؟
- ٤٩٩ ..... سياسه العدل:
- ٥٠٢ ..... يأجوج و مأجوج:
- ٥٠٤ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩٦ الى ١٠١]
- ٥٠٤ ..... اشاره
- ٥٠٤ ..... اللغه
- ٥٠٥ ..... ذو القرنين أسوه الحكم الفاضل
- ٥٠٥ ..... هدى من الآيات:
- ٥٠٧ ..... بينات من الآيات:
- ٥٠٧ ..... بناء الشد:
- ٥٠٩ ..... وعد الله:
- ٥١٢ ..... [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٠٢ الى ١١٠]
- ٥١٢ ..... اشاره
- ٥١٢ ..... اللغه
- ٥١٤ ..... جزاء المشركين
- ٥١٤ ..... هدى من الآيات:

٥١٦-----: بينات من الآيات:

٥١٧-----: الأُخسرون أعمالا:

٥١٩-----: جزاء المؤمنين:

٥٢٠-----: كلمات الله:

٥٢٣-----: تعريف مركز

سرشناسه: مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور: من هدی القرآن / محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر: تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ج ۱۸

شابک: ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-۱۸؛ ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۴م ۱۳۷۷۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص: ۱

اشاره





سوره النحل

اشاره

ص: ۳



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فضل السوره

عن الامام الباقر عليه السلام قال:

«من قرأ سورة النحل فى كل شهر كفى الغرم فى الدنيا، و سبعين نوعا من أنواع البلاء، أهونه الجنون و الجذام و البرص، و كان مسكنه فى جنه عدن و هى وسط الجنان» نور الثقلين-ص ٣٨-الجزء ٣-

عن النبى محمد صلى الله عليه و آله قال:

«من قرأها لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التى أنعمها عليه فى دار الدنيا، و ان مات فى يوم تلاها أو ليلته، أعطى من الأجر كالذى مات و أحسن الوصيه» البيان-ص ٣٤٧-الجزء ٦-

ص: ٥



لأنَّ سورة النحل تذكرنا بنعم الله. حتى سميت بسوره النعم عند البعض. و سورة النحل (و العسل واحد من أفضل أنواع الشراب) عند الآخرين. فان الإطار العام للسوره- كما يبدو لى- هو كيف نتعامل مع نعم الخالق.. و جملة القول فى ذلك.

١- ضروره توحيد الله و نفى الشركاء عمن أنعم علينا.

٢- تكميل نعمه التى لا تحصى بأعظم نعمه و هى الوحى و رساله.

٣- الالتزام بحدود الله فى الاستفاده من هذه النعم (التقوى).

كل ذلك يجعلنا من اتباع إبراهيم الخليل الذى كان شاكرًا لأنعم الله.

و تكاد آيات الدرس الأول تذكرنا بكل موضوعات السوره جملة واحده.

و تستوقفنا للتدبر الآيه الثانيه يُنزل الملائكَه بالروحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ\* أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ و هكذا تذكرنا بالوحى. و التوحيد

و التقوى. و هى الموضوعات الرئيسيه فى السوره. و التى يريدنا الذكر الحكيم. ان نستفيدها من نعم الله. و نجعل الأيمان بها شكرا عليها:

ثم تذكرنا بآيات الله. تمهيدا لذكر النعم و أعظم الآيات خلق السموات و الأرض و ثم خلق الإنسان من نطفه. و خلق ما يحتاجه من الأنعام..

و بعد ذكر أهم المنافع للأنعام. تبين الآيه (٩) ان السبيل القويم للحياه.

الطيبه. و بالتالى لطريقه الانتفاع بنعم الله. انما هو السبيل الذى يهدينا اليه الله سبحانه اما السبيل الآخره فهى جائره. و هكذا يصل السياق بين نعمه الوحي و سائر النعم باعتبارها متمما أساسيا لها.

و فى الآيات (١٨/١٠) يذكرنا الرب بنعم الماء و الزرع و الثمرات و كيف سخر لنا الشمس و القمر. و سخر البحر و ما فيه من نعمه الأسماك و الطرق البحريه للتجاره. و نعمه الجبال و ما فيها من فائده حفظ الأرض و مخازن الماء و كيف جعل النجوم علامات.

و يأمرنا بالتفكر و التعقل و التذكر و الشكر. لعلنا نهتدى الى حقيقه التوحيد.

و ان الله الذى يخلق ليس كالشركاء الذين لا يخلقون.

و تتابع الآيات (٢٩/١٩) التذكرة بالخالق. الذى يحيط بنا علمه. و ان علينا الخشيه منه. و الا- نستكبر أو نستنكف عن عبادته سبحانه. لأنه يعلم ذلك منا و انه لا يحب المستكبرين.

و يحذرنا من انكار الرساله. و يذكرنا بمصير المستكبرين كيف أتى الله بنيانهم من القواعد فاذا بالسقف يخر عليهم. فى الدنيا. اما فى الآخره فلهم الخزي و النار، و انهم أسلموا حين جاءهم ملائكه الموت فادخلوهم جهنم لأنهم تكبروا.

و يستمر السياق(٤٤/٣٨) في معالجه حاله الاستكبار(و لعلها أعظم عقبه في طريق الأيمان بالوحي)و ذلك بالتذكرة بالبعث.و كيف ان الهدف منه بيان الواقع الذى يتمثل فى كذب الكفار.

و فى الآيه(٤٢/٤١) يذكرنا الرب بأجر المهاجرين لماذا؟لعل ذلك تنبيه الى ضروره مقاومه اغرار النعم.إذا خير المؤمن بينها و بين الحق.

و يعود و يذكرنا بالوحي.و كيف ان النبى ليس بدعا من الرسل.

و مره أخرى(٥٥/٤٥) يذكرنا الله سبحانه بان الذين مكروا السيئات لا-أمان لهم من مكر الله.و لعل ذلك لكى يعالج غرور الاستكبار فى النفس ثم يذكرنا بان كل شىء فى الطبيعه يسجد لله سبحانه و ان الملائكه لا يستكبرون عن عباده الله.بل يخافون ربهم و أن الله قد نهى عن اتخاذ شريك له و أمر بالخوف منه و تقواه.أو ليست النعم منه.و إذا فقدنا منها شيئاً أو لسنا نجأر اليه؟و مع ذلك يشركون بالله بعد ان يكشف عنهم الضر.

و يستمر السياق فى تسفيه فكره الشرك.و الاعتقاد بأن النعم من غير الله.و نسبه الأمثله السيئه الى ربهم سبحانه مثلاً.ان الواحد منهم يكره البنت و لكنهم يزعمون ان لله البنات سبحانه.

كلاً لله المثل الأعلى.و للمشركين مثل السوء.و ان لهم النار و ان الشيطان وليهم.

و لعل آيات الدروس الأخيره هذه تهدينا الى ضروره التسليم بان النعم من الله.

و عدم الانبهار بالنعم و بمن يملك النعم من البشر.أو بما هى وسيله للنعم من مصادر الطبيعه.أقول عدم الانبهار بها لكى يهبط الإنسان الى حضيض الشرك فينسى ان



المثل الأعلى لله سبحانه.

و هكذا الآيات (٧٤٤) فهي في الوقت الذي تذكّرنا بأنّ الرزق و الوحي من الله. تبين لنا: مجموعته من النعم مثل الماء الذي ينزله الله من السماء فيحى به الأرض. و يرزقنا شرابا لذيذا من بين فرت و دم لبنا خالصا. و يرزقنا السكر من ثمرات النخيل و الأعناب. و شراب ثالث يرزقنا من النحل فيه شفاء للناس.

تلك نعم الله فلما ذا نشكر غيره أم نعبد سواه؟ و يقلب الله البشر من حياه الى موت. و ربما الى هرم و يفضل بعض الناس في الرزق. فهل نعبد سواه. فهل يملك الرزق غيره؟ و هو الذي جعل للناس من أنفسهم أزواجا و أولادا و حفده. و رزقهم من الطيبات فلما ذا يكفرون بنعمه الله. و يعبدون غيره و هو لا يملك رزقا. أو يقرونه بسوء و يضربون له الأمثال سبحانه؟ و يبدو ان الآيات هذه تخفف من (سوره) الانبهار بنعم الله. لكي يخلص المرء لربه عبادته. و يحضه حبه.

و هكذا الآيات (٨٣/٧٥) تذكر الناس بان الله وحده يملك ناصيه الأقدار بينما الشركاء المزعمون هم كعبد مملوك لا يقدر على شيء. فمن هو أحق بالعباده؟ و ان الله يملك غيب السموات و الأرض. كما يملك امر الساعه. و هو الذي أنعم على البشر بالعلم بعد أن خرج من بطن امه لا يعلم شيئا. و هذه الطيور في جو السماء ما يمسكهن الا الله.

هكذا الولايه لله. و انه السلطان القائم بأمر العالمين و هكذا نعم السكن الدائم أو المتنقل كالخيم و نعمه الأثاث و المتاع. و نعمه الظلال. و الأكنان و الثياب أيام

السلم و الدروع للحرب أو ليست من تمام نعمه الله؟ فلما ذا الكفر و انكار نعمه الله؟ و يستمر السياق و عبر الآيات (٨٩/٨٤) ينذر الكفار و الظالمين و المشركين الذين يبعثون و لا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينظرون. و لا ينقذهم شركاؤهم و القوا جميعا السلم الى الله. و بيد ان كبراءهم أشد عذابا. و يؤكد السياق على شهاده الرسول هنا لك. و ان الكتاب لا بد ان يقرن بالشاهد على الناس. و انهما لن يفترقا.

و يعود القرآن الكريم (٩٧/٩٠) يبين واحدا من أهم نعم الله. و هو الكتاب الذى أوحاه الرب لعبده يتم نعمته على الناس. و يبين السبيل الى الانتفاع بالنعم و جمله القول فى تنظيم الحياه حتى تكون طيبه: هى العدل. و الإحسان و إيتاء حقوق ذوى القربى. و اجتناب الفحشاء و المنكر و البغى. و هكذا الوفاء بعهد الله. و الالتزام بالأيمان. (و يشدد عليها القرآن توكيدا و ربما لأنها أهم منظم للعلاقات الاجتماعيه).

و رعايه التساوى امام القانون. لكى لا تستضعف طائفه طائفه ثانيه. بل لما تعتقد انها أرجى منها. و اجتناب استغلال اليمين استغلالا سيئا.

ثم الصبر (و لعله لمقاومه إغراء الشهوات).

و يشجع السياق العمل الصالح لأنه مفتاح الحياه الطيبه. و هكذا يبين الكتاب منهاجا كاملا للحياه الطيبه.

و لكن كيف نستفيد من القرآن؟ لأن الشيطان قد يغويننا عنه. أو يجعلنا نحرف آياته فان الآيات (١٠٥/٩٨) تبين لنا منهاجا لفهم القرآن.

أولا: بالاستعاذه بالله حين قراءته من الشيطان.

ثانياً: بالتسليم لكل آياته لأن روح القدس قد نزله بأمر الله فلا اختلاف و لا نقص فيه و شبهات الكفار مرفوضه حيث قالوا بان رجلاً أعجمياً يعلم الرسول هذا القرآن الذى هو قمه البلاغه.

ثالثاً: اجتناب الافتراء على الله «الكذب».

السييل الى الأيمان التعالى عن الحياه الدنيا. و استحباب الآخره عليها. و هكذا تكون النعم فى الدنيا نافعه لمن ملكها و أما من ملكته النعم و استحباب الحياه الدنيا على الآخره فان الله لا يهديه لأنه يكفر بالله و برسالاته.

هكذا تبين الآيات (١١٣/١٠٦) الموقف السليم من نعم الله. و يبدو ان الذين يستحبون الحياه الدنيا. و يفضلون نعمها على نعم الله فى الآخره هم الذين يشرحون للكفر صدرًا فيسلب منهم الرب أدوات الوعى. و أولئك هم الغافلون.

أما من يسمو بنفسه عن الدنيا. و يهاجر بعد ان يفتن فى الله و يجاهد و يعبد فان الله بعدها لغفور رحيم.

أن تساميه عن الدنيا ينفعه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها.

و إن الكفر بالله. يسلب النعم فى الدنيا أيضاً. كما ضرب الله مثلاً قريه أسبغ الله عليها نعمه الأمن و الرزق فلما كفرت أذاقها الله لباس الجوع و الخوف.

هكذا جزاء من امتلكته الدنيا و لم يسمع لنداء الرسول. و بالتالى لم يستفد من نعمه الوحي التى تحافظ على سائر النعم.

و هذا لا يعنى أبدا ترك نعم الله. كالأبل يعنى:

اولاً: تنظيم العلاقه معها. بحيث لا تنسينا ذكر الله.

و ثانيا:تنظيم الاستفادة منها كما امر الله.

و هكذا تبين الآيات(١١٩/١١٤)حدود الله فى الانتفاع بنعمه.و هذا بعد من ابعاد التقوى التى جاءت الآيات الأولى فى هذه السوره لتأمرنا بها.

علينا الا نحرم الطيبات على أنفسنا.بل نأكل منها و نشكر الله على نعمه.

أما المحرمات فهى الميتة و الدم.و لحم الخنزير و ما اهلّ لغير الله به(الا عند الاضطرار).

و حرام الافتراء على الله،و الكذب عليه بان هذا حلال و هذا حرام.

أما اليهود فقد ظلموا أنفسهم فحرم عليهم أشياء بسبب ظلمهم.

أما رحمه الله على هذه الأمة فهى واسعة حيث ان الله رفع القلم عمن عمل سوء بجهاله ثم تاب و أصلح.

و يعطى القرآن الكريم و عبر الآيات(١٢٣/١٢٠)أسوه للذين آمنوا من قصه إبراهيم كيف كان شاكرا لأنعم الله.و علينا اتباع ملته.

أما قصه السبب و حرمة الصيد فيه.فهى خاصة بالذين اختلفوا فيه(١٢٤).

و الرسول مهبط وحى الله يدعو قومه بالحكمه و الموعظه الحسنه.و هو المثل الأعلى للعدل و الإحسان و للصبر و الاستقامه.وسعه الصدر.و سيره الرسول شاهده على صدق رسالته.و إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨/١٢٥).

و هكذا تحدد سوره النحل العلاقة السليمه مع نعم الله.حيث يزداد المؤمن بها ايمانا لربه.و تسليما لرسالات ربه و نبذا للشركاء و استقامه امام المفسدين و الحمد لله رب العالمين.



## [سوره النحل (١٦): الآيات ١ الى ٩]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا لِيُقِيطَ الْإِنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَ عَلَى اللَّهِ قِصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)

## اللغه

٦[تريحون]:من أراح بمعنى رد الانعام بالعشى الى المراح و هو محل استراحه الحيوانات.

[تسرحون]:ترسلونها صباحا الى محل الرعى و السرح و هى مأخوذه من السروح.

٩[قصد]:القصد استقامه الطريق.

ص:١٦

هدى من الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِاسْمِ اللَّهِ، برحمته الواسعة الدائمة، بعلمه و حكمته، بقدرته و تديره، تشرع هذه السوره.

يستعجل المشركون دائما جزاء أعمالهم، زاعمين أن التأخير دليل العدم، كالا..فها هو أمر الله المتمثل فى تحقيق ما أنذر به الرسول قد أتاكم ليجازيكم على شرككم، دون أن يقدر الشفعاء على انقاذكم من عذاب الله.

و تهبط الملائكه بين حين و آخر من أمر الله، بالروح الذى يحمل رساله ربه إلى الناس بالإنذار بضروره التوحيد، و الأمر بالتقوى. و لا أحد يفر من الجزاء، لأن خلق السماوات و الأرض قائم على أساس الحق، و لا إله ينقذ البشر من عذاب الله.

تعالى الله عن شركهم.



و من الذى يستكبر على الله؟! إنه هذا الإنسان الذى كان أصل خلقه نطفه، فإذا به يديم الجدل و بكلّ وقاحه فى الحقائق، بالرغم من انه لا- يزال بحاجة إلى نعم الله، فهذه الأنعام خلقها الله للإنسان يستدفعى بها، و ينتفع منها، و يأكل منها، و يتخذ منها وسائل الزينه، و وسائل النقل الى بلد بعيد يشق على الأنفس الوصول إليه، كل ذلك آيه رحمه الله و رأفته بالبشر، كما خلق الرب الخيل و البغال و الحمير لكى يمتطيها البشر و يتخذ منها زينه، هذه نعم ظاهره، و هناك نعم باطنه لا نعرفها، و الله الذى هيا النعم حدد البرامج التفصيليه للانتفاع الأفضل منها، حين بين لنا بفضل السبيل المستقيم إليها، و لكن دون أن يفرض علينا السير عبره، و لو شاء الله لهدى الناس جميعا.

## بينات من الآيات:

## بين الخلق و الأمر:

[١] يبدو ان أمر الله هو إبداعه و انشاؤه الذى يتم باحداث الإراده، و يعبر عنها القرآن بكلمه- كن- قائلا: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و يبدو أن هناك فرقا بين الأمر و الخلق، فالخلق قد يكون بالواسطه، و حسب السنن التى أجازها الله، بينما الأمر هو الخلق المباشر الذى لوحظ فيه الإنشاء و الإبداع.

و عذاب الله للأمم المنحرفه، كما و رساله الرسل أمران إلهيان إبداعيان، لا يخضعان للسنن المعروفه لدينا.

و حين جاء الرسل بالإنذار استعجل الكفار ما اندروا به، و اتخذوا من التأخير دليلا على عدم وجود الجزاء، و جاءت الآيه تنذرهم باقتراب ساعه الجزاء..

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ

ص: ١٨

و الواقع أن شركهم بالله، و زعمهم ان هناك آلهه تمنعهم من دون الله، هو الذى جعلهم يطمثون و لا يأخذون الإنذار بجديده كافيه، و نفى ربنا ما أشركوا به..

سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ فهو منزه و هو أسمى من أن تساويه بشريك، و هو خالق كل شىء.

## روح رسالات الله:

يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ [٢] و الله ينزل الملائكه ملكا بعد ملك، مؤيدين بالروح، و الروح-حسبما يظهر من النظر فى مختلف الآيات التى تحدتثنا عنه-هو: ذلك الملك العظيم الذى يؤيد الله به رسله، و الذى يأتى الى الأرض فى ليله القدر مع الملائكه و هناك قول آخر يقول: ان الروح كلمه الحياه التى يلقيها الله سبحانه الى الأشياء فيجيبها لمشيئته، و عدد إلقاءه و انزاله على نبيه إحياء فى قوله: «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا» (١) فإن الوحي هو الكلام الخفى و التفهيم بطريق الإشاره و الإيماء، فيكون إلقاء كلمته تعالى- كلمه الحياه-الى قلب النبى صلى الله عليه و آله و حيا للروح إليه (٢) و إذا كان الروح ملكا، فإن الباء هنا تدلّ على الاستعانه، أى مستعينا بالروح و مؤيدا، أما إذا كان الروح جوهر الرساله المركب من نور العلم و الهدى، و هو الذى يحيى البشر كما قال سبحانه: «اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» فإن الروح يكون النور الذى جاء به الملائكه الى الأرض، و هذا المعنى قريب أيضا من

ص: ١٩

١- (١) الشورى (٥٢)

٢- (٢) الميزان للعلامه الطباطبائى-ج ١٢-ص ٢٠٦.

قوله سبحانه: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ».

مِنْ أَمْرِهِ وَ الْمَلَائِكَةَ تَصْدُرُ انْطِلَاقًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَلَا تَعْمَلُ حَسَبَ أَهْوَائِهَا، لِذَلِكَ فَهَمَّ يَهْبِطُونَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ الْمُصْطَفِينَ.

عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَالرَّسُلُ عِبَادُ اللَّهِ وَ لَيْسُوا أَنْصَافَ آلِهِ، أَمَا مَحْتَوَى الرِّسَالَةِ وَ جَوْهَرُهَا فَهُوَ التَّالِي:

أَنْ أَنْذَرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ فِي كُلِّ الشُّؤْنِ، وَ الَّذِي يَتَجَسَّدُ فِي التَّقْوَى، هُوَ جَوْهَرُ الرِّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.

[٣] وَ حِينَ يَنْذِرُ رَبَّنَا عِبَادَهُ مِنَ الْإِنْحِرَافِ عَنِ خَطِّ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْسَجِمُ مَعَ أُسَاسِ الْخَلْقِ، حَيْثُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَ أَنَّهُ هُوَ الْمَهِيمُنْ عَلَيْهَا دُونَ شَرِيكَ، فَالْبَشَرُ إِذَا شَذَّوْا عَنِ سُنَنِ الْكُونِ، فَلَا أَحَدٌ يَنْقُذُهُمْ مِنْ جَزَاءِ انْحِرَافِهِمْ، لِأَنَّ رَبَّنَا تَعَالَى عَنِ الشَّرْكَاءِ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ الْكُفَّارُ أَنْدَادًا لَهُ سَبْحَانَهُ فَلَا يَغْنُونُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا.

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [٤] وَ مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي يَخَالِفُ سُنَةَ الْكُونِ؟! أَوْ لِمَ يَخْلُقُ مِنْ نَطْفِهِ، فَإِذَا بِهِ يَتَحَوَّلُ إِلَى مِجَادِلٍ يَلْقَى الْحُجَّةَ بَعْدَ الْحُجَّةِ. وَ يَخْتَارُ رَأْيَهُ الْخَاصَّ بِهِ، وَ يَفْنَدُ سَائِرَ الْأَرَءَاءِ بَلْ تَرَاهُ قَدْ يَتَحَدَّى سُنَةَ الْحَقِّ بِلَا اسْتِحْيَاءٍ!!

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ [٥] والإنسان بحاجة الى الطبيعه من حوله، يتفاعل معها، فلا بد ان يكتيف نفسه مع السنن العامه التى تحكمها، فترى الانعام كالغنم و البقر و الإبل خلقها الله لكى ينتفع بها البشر من عدده أبعاد.

أولاً: انها تدفع جسد الإنسان، بأصوافها و أشعارها.

وَ الْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ثانياً: ان للانعام (و هى الإبل و البقر و الغنم) منافع أخرى فى أنها تحمل الإنسان. أو ليس الإبل سفينه الصحراء أو لم تكن الأبقار أفضل وسيله للزراعه سابقاً؟ افهى تحرث الأرض و هى تروى الأسره باللبن و مشتقاته و هى الى جانب ذلك ثروه عظيمه بسبب سرعه تناسلها.

وَ مَدْفَعٌ ثالثاً: يأكل الإنسان من الأنعام باعتبارها أفضل مصدر للغذاء، و أنسب طعام للإنسان، و من أخصب الحيوانات نسلها، و أسرعها نمواً..

وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ [٦] رابعاً: و هى تشبع حاجه نفسيه للبشر، حاجه السيطرة على الطبيعه، و تسخيرها لأهدافه، و التفاعل معها. إن منظر الأنعام حين تعود من مراعيها بالليل ليريحها أصحابها فى مراتبها. إن هذا المنظر يملأ العين بهجه و القلب سرورا، و يشبع كل أبعاد النفس البشريه التى تحن إلى أمها الطبيعه. كما ان منظرها و هى تسرح أول الشروق، يطلب أصحابها لها الرزق، يشبع غرور المسؤولىه عند

البشر.

وَ لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسِيرُونَ إِن الْحيوانات الأليفه تشبع تقريبا ذات الحاجه النفسيه التى يشبعها الأولاد عند أبناء آدم و لكن بدرجة أدنى.

إن خالق الإنسان و جاعل الغرائز فى نفسه، هو خالق الأنعام التى تشبع هذه الغرائز، و هذا هو الحق الذى أرسى عليه الله بناء السماوات و الأرض.

[٧] خامسا: و يحتاج البشر الى مراكب فى البر كحاجته إليها فى البحر، و فى ذات الأنعام و بالذات فى الإبل هذه الفائدة الكبيره..

وَ تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ أَى تحمل الأنعام أحمالكم الى البلاد البعيده التى يشق عليكم بلوغها.   
إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ و فر هذه النعم جميعا لكم لأنه ذو رأفه و رحمه، و ربما الفرق بين الرأفه و الرحمه يكمن فى أن الأول يلاحظ النفع الحالى، بينما يلاحظ فى الثانى النفع حالا و مستقبلا.

[٨] والى جانب الأنعام خلق الله للإنسان حيوانات آخر للركوب و الزيته، فيها -تقريبا- ذات المنافع و لكن بدرجات متفاوتة لا يعلمها البشر..

وَ الْخَيْلَ وَ الْبُغَالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ من أنواع المنافع الماديه و المعنويه التى لا نعلم مدى حاجتنا إليها.

ص: ٢٢

[٩] و الله الذى خلق كل هذه النعم فضل لنا كيف نستفيد منها، و وضع البرامج التى تمنع الإسراف أو الإفساد فيها، أو الشذوذ فى الاستفاده منها!!.

وَ عَلَى اللَّهِ قَضِيْدُ السَّبِيْلِ فَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ فَيَبِيْنُ بِفَضْلِهِ الطَّرِيْقَ الْقَاصِدَ الْمُسْتَقِيْمَ إِلَى الْغَايَاتِ النَّبِيْلَةَ، فَلِأَنَّهُ الَّذِي خَلَقَ تِلْكَ الْأَحْيَاءَ لِفَائِدِهِ الْبَشَرِ، فَهُوَ الْعَلِيْمُ بِمَنْهَاجِ الْاِنْتِفَاعِ بِهَا، فَهُوَ الَّذِي يَبِيْنُ لَنَا السَّبِيْلَ الْمُسْتَقِيْمَ فِي ذَلِكَ، وَ لَكِنَّهُ لَمْ يَجْبِرْنَا عَلَى ذَلِكَ جَبْرًا، فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَسْلُكُوْنَ السَّبِيْلَ الْجَائِرَ الْمَائِلَ عَنِ الْحَقِّ.

وَ مِنْهَا جَائِرٌ وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِيْنَ

ص: ٢٣

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَيَخَّرْ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَلَأَ ذَرَأًا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)





هدى من الآيات:

بعد ان ذكرنا الرب بآياته. من خلق السموات و الأرض، ثم خلق الإنسان من نطفه، و إعطائه النطق ثم خلق الأنعام. و الخيل و البغال و الحمير. مبتداء بالخلق الأعظم فالأعظم و أنعمه الأكبر فالأكبر. أقول: بعد ان ذكرنا الرب بها فى الدرس السابق لعلنا نخلص العباده لله، و نترك الشركاء من دونه.

أخذ السياق-بعدئذ-يتدرج عبر سائر النعم الأقرب منها إلينا فالأقرب.

فذكرنا بالمنافع التى جعلها فى المطر. و تغير الأنواء و اختلاف الليل و النهار. و ما فيها من منافع و نتساءل من الذى انزل المطر من السماء فاخرج المراعى و الثمرات و وفر الماء للشرب؟ إنه الله.

و من الذى أنبت فى الأرض زرعاً بماء السماء، و أنبت أشجار الزيتون و النخيل

و الأعناب و ألوانا من الثمرات الأخرى؟ انه الله، و لكن المتفكرين من الناس هم الذين يهتدون بهذه الآيات و سخر الليل و النهار للإنسان، و سخر الشمس و القمر كما سخر النجوم. كل تجرى فى فلكك. أن هذه الآيات ينتفع بها من ينتفع بعقله، و هىء فى الأرض للبشر ألوان المنافع، فمن تذكر اهتدى بهذه الآيات الى الله. خالقها و مديرها.

و جعل الله البحر بحيث يستفيد منه الإنسان لحما طريا، كما أودع فى قاعه أنواع الزينه، و هياها للسفن التى تمخر فيه، كل ذلك لكى يسعى الإنسان من أجل رزقه ثم يشكر الله عليه.

و إذا خرجت الى البر رأيت الجبال التى تقوم بدور المراسى (1) تحافظ على تعادل الأرض و تمنع ميلانها، و أودع فيها مخازن المياه التى تتفجر أنهارا، كما جعل فيها طرقا يسلكها البشر و يهتدى فيها بعلمه، و لعله يهتدى الى ربه بذلك العلم.

و الله سبحانه أودع فى السماء علامات يهتدى بها البشر، و وراء كل آيه حقيقه، و وراء آيات الكون حقيقه الالوهيه، فهل الذى يخلق كمن لا يخلق، لماذا لا نتذكر؟ كل تلك النعم - التى لو عديتها لما أحصيتها - شاهدته على ان الله غفور رحيم بعباده.

## بينات من الآيات:

### اشاره

[١٠] الله الذى قدر الكون بحيث انزل لكم و من أجل استمرار معاشكم ماء من السماء تشربون منه، كما ينبت لكم الله به مراعى لانعامكم، و لو لا المطر من اين

ص: ٢٧

---

١- (١) المراسى: جمع مرساه بمعنى انجر السفينه الذى تقف به فى البحر.

تأكل الانعام؟! هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ قَالَ الازهرى:الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقم.و هذا الرأى أقرب الى السّياق هنا، كما هو الأقرب الى أصل معنى الشجر و هو ظهور الشىء أو اختلاطه ببعضه.

فِيهِ تُسَيَّمُونَ الكلمه مأخوذه من الاسامه،و هى الرعى يقال اسمت الإبل أى رعيتها.

و قال بعض المفسرين:ان الآيه تدل على ماء الشرب انما هو من السّماء فقط.

و هو كذلك واقعا.

[١١]و الماء الواحد يهبط على الأرض الواحده،فاذا تنبت به ألوانا مفيده من الثمرات.

يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ و أكثر طعام البشريه من الحنطه و الحبوب و الخضروات و بالتالى من الزرع.

وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنَابَ و هى الثمرات الأكثر نفعاً للجسم البشرى، و الأكثر انتشاراً فى مختلف الأقاليم.

وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ يوفّر الله لكل ارض ما يناسبها،و يناسب حاجه أهلها،ففى ثمره كل ارض

المواد الأشد ضروره بالنسبه الى سكان تلك الأرض.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

### مراحل العلم و هدف الانعام:

[١٢]تختم هذه الآيات بالكلمات التاليه «يتفكرون-يعقلون-يذكرون- لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ -تهتدون-»فما هي العلاقة بينها؟ ولماذا جاءت متدرجه.علما بأن التدبر فى نهايات الآيات يفهمنا معانى الآيات و لربما أعطانا علما جديدا؟ يبدو ان مراحل تكون العلم عند الإنسان هي التاليه:

ألف:مرحله جمع الحوادث و ربطها ببعضها و التعرف على علاقتها الثابته ببعضها،و الحصول منها-بالتالى-على قانون عام يحكمها،و هذا يحصل عن طريق التفكير،لان التفكير-حسبما يبدو لى-هو قلب المعلومات و خلطها و اعاده فرزها جاء فى المنجد(الفكر ج أفكار:تردد الخاطر بالتأمل و التدبر بطلب المعانى).

و الآيه الماضيه ربطت الحوادث الظاهره(هطول الأمطار،و اخضرار الأرض و اختلاف الثمرات)ببعضها،و جعلتها جميعا آيه الخلق عن طريق التفكير،فقال ربنا: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» لأنه بسبب قلب المعلومات نحصل على انها آيه الله.

باء:مرحله تخزين التجارب و الاستفاده منها فى فهم الحوادث الجديده،و يبدو ان هذه العمليه تسمى بالعقل-حسبما تدل عليه الكلمه-إذ أن أصل العقل مستوحى من العقال،و هو الذى يحفظ الناقه،

و جاء فى الحديث:

«العقل حفظ التجارب» و ربطت هذه الآيه بين العقل و بين التعرف على سر تسخير الطبيعه للبشر،لان

فهم هذه الحقيقه أصعب و بحاجه الى تجارب مختزنه أكبر.يقول ربنا:

وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ فَاخْتَلَفَ سَنَنَ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ مِنَ الظَّلامِ وَ السَّكُونِ، وَ ركون الطبيعة الى الراحة.

اختلافها عن النهار و ما فيه من الضوء و الضوضاء، و النشاط في الشئى كل ذلك جاء لمصلحه البشر، كما سخر الله الشمس و القمر.

وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ وَ قد لا- تكون النجوم جميعا مسخرات للبشر إلا- انها تنفع البشر، و ترتبط بتسخير الشمس و القمر، آتت النهار و الليل.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فعن طريق تخزين التجارب و الاستفاده منها سوف يبلغ البشر درجه من العلم تؤهله لمعرفة سرّ الطبيعة، و ان كل شىء فيها قد نظم لمصلحه البشر، و ان عليه ان يستفيد منها لحياته، و لكن لا يزال أمامنا مسافه حتى نصل الى ذروه العلم ما هى تلك المسافه؟ انها التذكر.

[١٣] بعد العقل يأتى دور التذكر و هو المرحله المتقدمه فى مسيره المعرفة.

جيم: و هى مرحله استيعاب التجارب من أجل العمل، فكيف نستفيد من الطبيعة المسخره لنا؟ هل كل شىء فيها صالح فى كل وقت و لكل شخص؟ كلا..

إذ ان حقيقه الأشياء مختلفه، و كل شىء نافع لوقت و لشخص، بالرغم من انها جميعا خلقت للبشر.

وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ

ص: ٣٠

ما أظهره الله في الأرض و ما انشأه و فطره من اجلكم و لمنفعتكم.

مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ [١٤] و الله سخر الطبيعه للإنسان، و لكن على الإنسان ان يسعى هو بدوره من أجل إنجاز هذا التسخير في بعض الأحيان، فليس النعم تأتي دائما كماء السماء، بل قد تحتاج الى معالجه جاده و الى المخاطره كالصيد في البحر. و السفر عبره للتجاره.

وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسِيَّ تَخْرُجُوا مِنْهُ جَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا فَالبحر مثل مخزن كبير لأفضل أنواع اللحوم تحصل عليها فيه بأقل جهد و كذلك للحلى.

وَ تَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ الْمَخْرَجُ شِقَ الْمَاءِ عَنِ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ. و يحدث هذا الشق صوتا يشبه صوت العاصفه، و هنا يذكرنا القرآن بمرحله رابعه للعلم هي:

دال:مرحله الاستفاده العمليه من العلم، تلك التي نسميها اليوم التقنيه، و ربما يسميها القرآن بالاكتساب.

وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أى تسعوا فى البحار للحصول على رزقكم الذى هو فضل الله، و بعدها تأتي المرحله الخامسه و هي:

هاء:مرحله الرضا النفسى، ذلك الذى يفرزه الشكر فان إشباع حاجات الجسد

عن طريق النعم لا- تكفى، إذا ظلت النفس قلقه، تحرص أبدا على شىء مفقود، أما إذا شكر الإنسان ربه، و عرف ان النعمه ليست من حقه، بل هى من فضل الله، و تذكر الأيام التى كان يحتاج إليها و كيف حصل عليها بسعيه أو برزق الله، فان نفسه تمتلأ سكينه و هدوءا «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» .

و تبقى أماننا درجه نعرج فيها الى ذروه الكمال فى درجات العرفان، و هى درجه الهدايه التى تذكرها الآيه التاليه.

[١٥] كما السيفينه فى اعالي البحار بحاجه الى مرساه تحفظها وسط الأمواج المجنونه، كذلك الأرض التى تسبح فى الفضاء تدور حول محور الشمس، بحاجه الى ثقل يرسبها و يوقف اهتزازها، و الجبال هى تلك المراسى.

وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَى وَضَع اللَّهُ فَوْقَ الْأَرْضِ جِبَالًا عَالِيَةً.

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ أَى لِكى لا تتحرك بكم فترعجكم إنَّ الجبال متصله من الداخل ببعضها، لتكون حصنا منيعا للأرض يمنع الزلازل و الهزات التى يتعرض لها كو كبننا بسبب الغازات الداخليه. كما انَّ الجبال تمنع العواصف الشديده التى تجوب سطح الأرض باستمرار، و تمتص قوتها و هى- فى ذات الوقت- تعطى قوه اضافيه للأرض لمقاومه جاذبيه القمر، و فجر خلال الجبال عيوننا. بسبب مخازن المياه العظيمه فى بطن الجبال.

وَ أَنهَارًا

ص: ٣٢

و لقد كان من الممكن ان تمنع الجبال اتصال البشر ببعضهم، بيد أنّ الله هيا بينهما سبلا و هذه من أعظم النعم الإلهيه حيث انك لا تجد سلسله جبال متراصه كالجدار يفصل بين الأراضى.

وَ سُبُلًا كَيْفَ يَهْتَدِي الْإِنْسَانُ إِلَى مَآرِبِهِ فِي الْأَرْضِ عِبْرَ هَذِهِ السَّبِيلِ؟ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَى الْحَقَائِقِ مِنْ وَرَاءِ الْآيَاتِ، إِذِ الْآيَاتُ هِيَ السَّبِيلُ الْمُؤَدِّيَةُ إِلَى الْحَقَائِقِ.

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [١٦] يَهْتَدِي الْبَشَرُ عَنْ طَرِيقِ مَعَالِمِ السَّبِيلِ إِلَى غَايَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَهْتَدِيَ عَنْ طَرِيقِ الْآيَاتِ فِي الْأَرْضِ وَ فِي السَّمَوَاتِ إِلَى حُكْمِهِ اللَّهُ وَ قُدْرَتِهِ.

وَ عَلَامَاتٍ كَتَلَكِ الَّتِي يَضَعُهَا عَلَى السَّبِيلِ.

وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ وَ إِذَا كَانَ الْبَشَرُ يَهْتَدِي بِالنَّجْمِ إِلَى سَبِيلِهِ فِي الْأَرْضِ، وَ الْعَلَاقَةُ خَفِيَّةٌ بَيْنَ النَّجْمِ فِي السَّمَاءِ وَ سَبِيلِ الْأَرْضِ، فَكَيْفَ لَا يَهْتَدِي إِلَى اللَّهِ عِبْرَ آيَاتِهِ؟! وَ آيَاتُ اللَّهِ أَوْضَحُ شَهَادَةٍ. وَ أَصْرَحُ دَلَالَةٍ وَ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْأَرْضِ النَّبِيُّونَ وَ الْأَوْصِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَهْتَدِي بِنُورِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ.

### أفلا تذكرون:

[١٧] كَيْفَ لَا يَمَيِّزُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ الْمَخْلُوقِ، بَيْنَ اللَّهِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ، وَ بَيْنَ



الأرباب المخلوقين العاجزين؟! أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [١٨] أو أنى ألقينا بنظرنا، وجدنا آية عظيمه من آيات الله تدلنا على أحديته، و أنى تقلبنا فانما تحيط بنا نعم الله التي لا تحصى، فلما ذا الجهل؟ ولماذا الكفر؟! وَإِنْ تَعِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ان كل سنه الهيه نعمه، و كل موهبه نعمه، و كل قدره نعمه، و كل عضو بل كل جزء من عضو، بل كل خليه نعمه، ان خلايا المخ تعد بالبلايين و فقدان كل خليه يسبب نقصا.

و ربنا الغفور ذو الرحمه، فلو لا غفرانه، إذا لسلبنا بعض النعم بسبب غفلتنا عنها و عن شكرها، كما انه برحمته، يفيض علينا من نعمه التي لا تحصى.

اشاره

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرَتُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَزْمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرَتُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَّا يَسَاءَ مَا يَزُرُونَ (٢٥) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَتْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

اللغة

٢١] أيان: في اي وقت.

٢٧]تشافون]:تخاصمون و تنازعون.

٢٨]السلم]:الاستسلام و الخضوع.

ص:٣٦

### هدى من الآيات:

من الذى تحق عبادته؟ الذى خلق و أنعم و غفر و رحم أم الذى لا يخلق ذبابا؟ حول هذا كان الدرس السابق.

و نكرر من الذى تحق عبادته؟ الله الذى يعلم السر و أخفى، أم الذين يدعوهم المشركون، من الأصنام التى لا تخلق شيئا و هم يخلقون؟ و ليس فقط لا- يعلمون السر، بل و لا- يملكون الحياه، و لا- شعور عندهم حتى يبعثون يوم القيامة؟! و الله إله الخلق أجمعين، واحد لا- شريك له، أما المشركون فهم لا- يؤمنون بالآخره و السبب ان قلوبهم جاحده للحق لصعوبته عليها، و لأنهم يفتشون عن العلو فهم مستكبرون.

حقا يعلم لله سرهم و اعلانهم، و الله لا يحب المستكبرين الذين يبتغون علوا فى الأرض، فيخالفون الحق بوعى و إصرار، لذلك يستصغرون الحق الذى هبط عليهم من الله، و يقولون انه أساطير الأولين.

و هؤلاء يحملون أثقال ذنوبهم من دون ان تنقص عنهم بالتبرير، و يحملون أيضا شيئا من ذنوب الناس الذين يضلونهم و لبس ما يحملون.

و أنّ المستكبرين يمكرون فى آيات الله، و يحاولون منع الناس عنها بشتى الحيل، كما فعل الذين من قبلهم، و لكن الله ينسف بناءهم من الأساس فاذا بالسقف ينهدم عليهم و يهجم عليهم العذاب من حيث لم يحتسبوا.

أما فى يوم القيامة فان الله يذلهم بان يقول لهم شماتة: اين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله و تشقون عصى الوحده من أجلهم؟! فيسكتون. أما أهل العلم فإنهم يقرون للمشركين الخزي و السوء لكفرهم.

و من هم الكافرون؟ أنهم الذين يظلمون أنفسهم، و عند الموت يتبرءون من أفعالهم و ينكرونها، و يدعون انهم لم يكونوا يعملوا شيئا من السوء، بيد ان الله يخبرهم بعلمه بأعمالهم فيدخل كل منهم فى النار، من باب الذنب العذى ارتكبه و يبقى خالدا فيها، و تلحقه اللعنه بسبب تكبره فى الأرض.

## بينات من الآيات:

### من نعبد؟

[١٩] علم البشر محدود و يتكامل عبر مراحل، و يختص بظواهر الأمور، و الله محيط علما بالسر و العلن، و بالسر قبل العلن، لأن كل شىء يقع فى السر قبل ان يعلن عن ظهوره.

□ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ □ مَا تُعْلِنُونَ [٢٠] و من يعلم السر و العلن أحق بالدعوة، ممن لا يخلق و لا يعلم!!

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَالسَّوَالُ مِنْ هُمْ هَوْلَاءُ؟ قَالُوا: هِيَ الْأَصْنَامُ، وَيبدو لى أنهم الطغاه و المستكبرون الذين ترمز إليهم الأصنام، و وفق هذه النظره نجرى فى تفسير الآيات التاليه.

[٢١] إن أول صفات الآلهه المزيفه هى انها أموات، لا علم لهم و لا قدره الا بقدر ما يهب الله لهم من علمه و قدرته.

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ و ربما جاء التأكيد على انهم غير احياء، لان المراد بالأموات ليس حقيقه الموت، فوجب التأكيد.

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ أى انهم ينتظرون الجزاء لكفرهم من دون معرفه يومه، فهم مسئولون أمام الله.

قال الطبرسى (ره) و هو يفسر الآيات: الأصنام أموات غير احياء، و أكثر كونها أمواتا بقوله غير احياء، لنفى الحياه عنها على الإطلاق، و ما يشعرون أيان يبعثون معناه: و ما تشعر هذه الأصنام متى تبعث للجزاء، و قيل فى الآيه هم أموات يعنى الكفار فى حكم الأموات، لذهابهم عن الحق و الدين و لا يدرون متى يبعثون! (١) و إذا فسرنا الآيات بالأرباب الذين هم بشر، لا نحتاج الى هذه التفسيرات و الوجوه البعيده عن ظواهر الآيات.

ص: ٣٩

١- (١) عن كتاب نور الثقلين ج ٣ ص ٤٨.

[٢٢] أما الإله الحق العزى ينبغي ان تخلص العباده له فهو الله. و ليس عدم ايمان البعض به الا بسبب نقص فيهم، حيث ان قلوبهم منكروه تستبعد ما يرد عليها من الحق.

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَ سبب جحودهم هو طلب العلو و الاستكبار.

وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ [٢٣] و لكنهم يخفون السبب الحقيقى لجحودهم و هو الاستكبار، و تكريس عباده الذات، بينما الله يعلم اسرارهم و اعلانهم، و يكره حالتهم هذه.

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ كلمه لا جرم مأخوذه من الكسب (حسبما جاء فى المجمع عن أبى مسلم) يعنى لا يحتاج معرفه هذا الأمر الى اكتساب علم، لأننا نفهمه بلا تكلف و بوضوح. و قال البعض إن (الجرم) بمعنى قطع التمر من الشجر و إذا أضيف إليه (لا) فانه يعنى ليس هناك شىء يقطع هذا الأمر أو يخالفه.

[٢٤] و لكى يغلفوا استكبارهم بتبرير مقبول عند الناس، تجدهم يحسبون أنفسهم تقدميين، و ينسبون الأفكار الصحيحه الى العصور الماضيه، و كأن الزمن يعنى الحق و يجعله باليا.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ و الأساطير جمع أسطوره- فى مثل وزن أحداثه- و هى ما كتب و ربما توحى اللفظه بما كتب باطلا.

[٢٥] إن المستكبر يرى فى الحق عدوه الخطير، لأنه يريد ان يستغل الناس و ييسط عليهم جناح طغيانه، و إذا كان الناس عارفين بالحق فلن يسمحوا له بذلك، لذلك يبث الدعايه تلو الدعايه ضد الحق، و لكن ما هى العاقبه؟ ان عاقبته تحمّل أوزار الذين يضلهم بدعاياته، بالإضافة الى أوزاره.

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ و الأوزار هى أثقال الذنوب، باعتبار ان الذنب لا ينتهى بل سوف يبقى كثقل يتحمله صاحبه يوم القيامة، و قد يشترك اثنان فى تحمل وزر ذنب دون ان يخفف أحدهما عن الآخر، و قد جاء

فى الحديث النبوى الشريف:

«من سن سنة حسنه كان له أجرها و أجر من عمل بها دون ان ينقص من أجره شىء، و من سن سنة سيئه كان له وزرها و وزر من عمل بها» و الآيه توحى بان فرض الشيطره على أحد، إذا لم تكن فى طريق يعلم الفرد سلامته، يعتبر جريمه كبيره.

[٢٦] و لا- يكتفى المستكبرون بالدعايه، بل يتأمرن ضد الحق و جبهته بشتى أنواع المكر و الخدع، و مكرهم يشبه مكر الذين كانوا من قبلهم، و كيف ان الله نسف أساسهم حتى وقع عليهم السقف.

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ



هبط السقف بسبب تزلزل القواعد التى قام عليها و هم تحته.

وَ أَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ فَهُمْ كَانُوا يَزِينُونَ السَّقْفَ، و يحاولون المحافظه عليه، فاذا السقف ينهدم بسبب نسف قواعد.

ان آيات سوره العنكبوت قد تكون أفضل تفسير لهذه الآيه، حيث ان الكفار الذين اعتمدوا على الماء، و بنوا بناءهم على قواعد الحضاره غرقوا فى البحر فتلاشوا كقوم فرعون، و كذلك الذين ركنوا الى مناعه بيوتهم كعاد دثروا بالريح و بالصخور التى بنوا بناءهم بها و هكذا كل قوم اعتمدوا من دون الله على قواعد ماديه أتى عليها الله، و دمرهم بها و هم لا يشعرون ان خطأهم الأكبر كان اعتمادهم على هذه القوه الزائله.

[٢٧] ثم عذابهم فى الدنيا لا العذاب فى الآخره بل ان استكبارهم سوف يجر إليهم العار و الخزى.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَ يَقُولُ أَإِنَّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ أَى تشقون عصى الوحده من أجلهم، أو بتعبير آخر كنتم تتعبون أنفسكم دفاعا عنهم، تناضلون جبهه الحق من أجلهم، و كان الحرى بكم ان تحاربوهم.

قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ فَلَهُمْ عَذَابٌ نَفْسَى هُوَ الْعَارُ، و عذاب جسدى يسوؤهم، و هذه الآيه توحى بقيمه العلم و فائدته. حيث ان أعظم سبب لاستكبار المستكبرين و استغلالهم للناس هو انعدام العلم عند الناس.

[٢٨] و هل الكافرون هم الذين يجحدون بالسنتهم، أو ان كل مستكبر عن الحق و ظالم لنفسه يواجه ذات العذاب؟ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ أَى فى الوقت الذى كانوا يظلمون أنفسهم، أما من تاب قبلئذ فحسابه يختلف.

فَعَالَمُوا السَّلَامَ مِمَّا كَذَبُوا نَعْمَلُ مِنْ شَرِّهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ، و يحسبون أنفسهم فوق الحق، و فوق المسؤوليه، فوق القانون و يستضعفون الناس.

بِأَنَّ إِنْ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنْ الاستكبار يبدأ من ظلم الناس و استصغارهم و قد يرتكبه واحد من ادنى الناس تجاه من هو ادنى منه.

جاء فى نص شريف مأثور عن الأمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«و من ذهب يرى ان له على الآخر فضلا فهو من المستكبرين».

فقلت: انما يرى ان له عليه فضلا بالعافيه إذا رآه مرتكبا للمعاصي؟ فقال «هيهات هيهات فلعله أن يكون قد غفر له ما أتى، و أنت موقوف تحاسب أما تلوت قصه سحره موسى» (١).

[٢٩] آتئذ يساقون الى أبواب جهنم، كل جزء منهم يدخلها من الباب الذى اختاره فى الدنيا لنفسه، فمنهم من اختار باب الطغيان على العباد، و منهم من اختار باب طاعه الطغاه، و منهم من يدخل من باب الفساد فى الأرض و هكذا.

ص: ٤٣

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنِ الْحَقِّ، وَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ  
منكره.

و آيات هذا الدرس إذا ما قسناها بآيات الدرس السابق التي كانت حول العلم رأيناها تعالج حالة التكبر عن الحق التي هي أخطر أعداء العلم، و تتدرج من الإنكار الى الاستكبار الى التكبر. كما ان الآيات السابقة كانت تتدرج من التفكير الى التعقل الى التذكرة الى الشكر فالهداية.

ص: ٤٤

أشاره

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا أَنْزَلْنا رُبُكُمُ فَآلُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ لِمَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)  
 جَنَّاتٍ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ  
 يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ  
 (٣٤) وَ قَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَّا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لَا آبَاؤُنَا وَ لَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥) وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ  
 هَدَى اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَبِئْرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ (٣٦) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَيَّ هُدَاهُمْ فَإِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٧)

اللغة

٣٤ [حاق بهم]: حل بهم و أحاط.



هدى من الآيات:

فى الدرر السباق ببن السباق موقف الكفار من الرساله و أما المتقين فان موقفهم هو انها خير، حيث تهايا منهاج الإحسان الذى يؤدى الى الحسنات فى الدنيا، و فى الآخرة جزائهم الأوفى حيث يستقر المتقون فيها بسلام.

هنا لك حيث الجنان الخالده التى يدخلونها، يجدون فيها الأنهار تجرى من تحتها، و تتحقق أمانهم و ذلك جزاء المتقين الذين تنتهى حياتهم بخير، يسلم عليهم الملائكه التى تتوفاهم، و يبشرونهم بدخول الجنة بأعمالهم الصالحه.

و لا يهتدى الكفار بعقولهم، بل ينتظرون هبوط الملائكه لينظروا إليها بأعينهم، أو نزول العذاب الذى يندرون به، و لكن الدنيا دار ابتلاء، فاذا ظهرت الحقائق فان العذاب لا يرد عنهم، و لا تقبل توبتهم، بأنهم ظلموا أنفسهم و لم يظلمهم الله، هنا لك يجدون سيئات أعمالهم، و يأخذهم ذلك العذاب الذى استهزءوا به.

و من الكفار من يبرر انحرافه الفكرى و السلوكى بالفكره الجبريه، و يقول: لو شاء الله لمنعنا عن عباده الشركاء، أو اتباع القانون الباطل، و هذا تبرير قديم، و لا يسع الرسل سوى البلاغ الواضح، و بعدئذ تبقى لهم حریتهم و اختيارهم، و ابتلاء الله لهم، و الله لم يأمرهم بعباده الطاغوت، بل بعث الأنبياء لخلاص الناس من الطاغوت، فمنهم من استجاب لدعوه الرسل فهدى، و منهم من لم يستجب فاضله الله، و المكذبون بالرسل أخذوا بأشد العذاب باعتبارهم أحرارا فى تصرفهم و تكذيبهم، فانظروا فى آثار السابقين.

و الله لا يكره أحدا على الهدى، بل لا يهدى من يختار الضلاله، و لا ينصره و لن ينصره أحد.

### بينات من الآيات:

### جزاء المتقين:

[٣٠] تلك كانت نظره المستكبرين الى رساله، أما المؤمنون الذين اتقوا فلم تحجب الذنوب عقولهم عن فهم الحقائق فإذا سئلوا عن رساله قالوا أنها خير.

وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا وَ لَا يَذُوقُ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ غَيْرَ الْمُتَّقِينَ وَ اِبْرَزَ سِمَاتِ الْمُتَّقِينَ هُوَ الْإِحْسَانُ الَّذِى يَثْمُرُ حَسَنَاتِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لِنِعَمِ دَارِ الْمُتَّقِينَ [٣١] أما دار المتقين فهى متمثله فى جنات خالده.

جَنَاتٍ عِزْنَ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ وَ هَذَا الْإِطْلَاقُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ تَتَحَقَّقُ أَمَانِيهِمْ هُنَاكَ، فَهَم رَاضُونَ عَنِ وَضْعِهِمْ بِالْكَامِلِ، وَ هَذَا الرِّضَا لَا يَتَحَقَّقُ أَبَدًا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: مَا كَلِمَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يَدْرِكُهُ! وَ هَذَا فَارِقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ أَهْلِ النَّارِ.

كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ أَمَّا غَيْرُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْهَم يَظْلُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى تَذْهَبَ آثَارُ الذُّنُوبِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا، وَ بَعْدَئِذٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

[٣٢] وَ الْمُتَّقِي يَبْقَى فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ وَ هُوَ الْمَوْتُ، إِذْ يَخْشَى أَنْ تَزُلَّ قَدَمُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى نَهَائِهِ فَإِذَا اسْتَمَرَ عَلَى الْهَدْيِ حَتَّى الْمَوْتُ فَهُوَ الطَّيِّبُ.

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هُنَاكَ مَسَافَةٌ زَمْنِيَّةٌ وَاسِعَةٌ بَيْنَ الْمَوْتِ وَ دُخُولِ جَنَاتِ الْخُلْدِ، إِلَّا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَبْشُرُ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ بِأَنَّهَمْ دَاخِلُوهَا حَتْمًا، مَظَافًا إِلَى أَنَّهَمْ يَعْيشُونَ خِلَالَ الْفَتْرَةِ فِي جَنَّاتٍ وَ رِيَاضٍ مِمَّا ثَلَّةَ بِجَنَاتِ الْخُلْدِ، فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ .

[٣٣] أَمَّا غَيْرُ الْمُتَّقِينَ، فَانْ أَكْبَرَ خَطَأَهُمْ أَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ أَحْاطَهُ الْخَطَرِ بِهِمْ حَتَّى يَعْتَرِفُوا بِهِ، وَ انْتِزِدَ لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ، ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ اخْتِبَارٍ وَ انْمَا يَخْتَبِرُ مَدَى إِيمَانِ الْفَرْدِ وَ تَقْوَاهُ، وَ قُوَّةُ إِرَادَتِهِ وَ عَقْلُهُ إِذَا انْذَرَّ بِالْخَطَرِ وَ أَبْلَغَ بِالْحَقَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَرَاهَا، أَمَّا بَعْدَئِذٍ فَكُلُّ النَّاسِ سِوَاهُ، وَ كُلُّ شَخْصٍ يَهْرَبُ مِنَ الْخَطَرِ الَّذِي يَبْصُرُهُ، وَ لَكِنِ الْعُقَلَاءُ



وحدهم يتجنبون الخطر فى الوقت المناسب، و عند ما تأتيهم نذره. و تظهر لهم ارهاصاته.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَى هَلْ يَنْتَظِرُونَ الْمَلَائِكَةَ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ انْعَدَمِ الْإِبْتِلَاءِ.

أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ مِنَ الْعَذَابِ، فَانْشُدْ يُؤْمِنُونَ، وَ مَاذَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ إِذَا رَأَوْا الْعَذَابَ؟ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَدَمَرَهُمُ اللَّهُ شَرِّ تَدْمِيرٍ.

وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ان مثل هؤلاء كمثل رجل يبصر بعينه بئرا فلا يعترف بها حتى يقع فيها و تهشم عظامه، فيقول الآن آمنت انها كانت بئرا! فلما ذا إذا زودت بعين، أو ليس لكى ترى أمامك الطريق؟! و تتجنب البئر قبل الوقوع فيه.

لماذا زود الإنسان بالعقل؟ أو ليس لكى يبصر الغيب، أما الشهود فيحس به حتى الحيوان! و لماذا زود بالإرادة؟ أو ليس لكى يتحدى الشهوات، أما الاسترسال معها فانه ليس بشيء! هكذا الخطر متى يقدر الإنسان على معالجته؟! عند ما ينتبه له بسبب علاماته المبكرة، أما إذا أهدق به فكيف الفرار؟! [٣٤] هكذا قامت الدنيا على أساس الانتفاع بالعقل و الارادة، و الكفار لم يستفيدوا منهما.

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا عَمِلُوا وَ لِحَاقٍ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَي حَلَّ بِهِمُ الْفِكْرُ الَّذِي اسْتَهْزَءُوا بِهِ، فَقَدْ انْتَقَمَ مِنْهُمْ الْفِكْرُ الْحَقُّ الَّذِي سَخَرُوا مِنْهُ، كَمَا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ السَّيِّئَةَ، تَحَوَّلَتْ إِلَى مَشَاكِلٍ وَ صَعُوبَاتٍ دَمَرَتْ حَيَاتَهُمْ.

[٣٥] إِذَا فَمَا أَنْتَظِرُ تَحْوِيلَ الْحَقِّ الْمَبْلُغِ بِهِ إِلَى وَقَعِ مَشْهُودٍ خَطَأً كَبِيرًا ارْتَكَبَهُ الْهَالِكُونَ مِنْ قَبْلِنَا، وَعَلَيْنَا تَجَنُّبُهُ، وَ خَطَأً آخَرَ هُوَ الْقَدْرِيَّةُ، وَ الْإِعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتْرَكْنَا أَحْرَارًا فِي تَصَرُّفَاتِنَا، إِلَّا لِأَنَّهُ فَوَّضَ إِلَيْنَا شُؤُونَ الْحَيَاةِ فِيهِ نَفْعَلُ كَمَا نَشَاءُ، وَ لَوْ كَانَ يُرِيدُ غَيْرَ ذَلِكَ لِأَجْرِنَا عَلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الطَّغَاةِ.

وَ قَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ فَلَا عَبْدُنَا الْمَالَ الْمَتَمَثِّلُ فِي الرَّأْسِمَالِيَّةِ، وَ لَا عَبْدُنَا الْقُوَّةَ الْمَتَمَثِّلَةَ فِي الطَّاغُوتِ، وَ لَا عَبْدُنَا التَّرَاثَ الْمَتَمَثِّلَ فِي الْآبَاءِ.

نَحْنُ وَ لَا آبَاؤُنَا وَ لَا حَرَمُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَلْنَا هَذَا حَلَالًا وَ هَذَا حَرَامًا حَسَبَ أَهْوَانِنَا، كَمَا فَعَلَ الْجَاهِلِيُّونَ، حِينَمَا حَرَّمُوا الْبَحِيرَةَ وَ السَّائِبَةَ، وَ كَمَا يَضَعُ الْجَاهِلِيُّونَ الْيَوْمَ قَوَانِينَ تَكْبِلُ طَاقَاتِ النَّاسِ. وَ بِتَعْيِيرِ آخِرٍ لَمْ نَخْضَعْ لِسَيَادَةِ السَّلْطَةِ الْفَاسِدَةِ، وَ لَمْ نَطْبِقِ التَّشْرِيعَاتِ الْبَشَرِيَّةَ.

كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ عَبَدُوا الطَّاغُوتَ، وَ شَرَّعُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَ ادَّعَوْا أَنَّ اللَّهَ فَوَّضَ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ الْأَمْرَ، وَ لَكِنْ لِمَاذَا بَعَثَ اللَّهُ الرَّسُلَ؟ فَهَلْ عَلَى الرَّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

فلا الله فَوْضُ أمر الحياه الى البشر، لأنه بعث الرسل، و لا أنه يريد ان يكره الناس على الهدايه، فاذا لم يكرهم فهو راض عنهم، لأن مهمه الرسل تنتهى عند البلاغ، لتبدأ مسئوليته الإنسان نفسه.

### الكلمه البالغه:

[٣٦] و هكذا بعث الله الرسل بكلمه بالغه الوضوح: عباد الله و رفض الطاغوت.

وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اذْعُبُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ الطَّاغُوتَ يفرض نفسه على الناس و لا يكفى السكوت عنه، بل انه رجس يجب الاجتناب عنه، يجب التحصن منه، يجب الحذر، يجب التمرد و الثوره عليه، إذا لم يفوض الله أمر العباد إليهم ليختاروا لأنفسهم حكومتهم، أو ليسكتوا ان شأؤوا عن يريدهم استغلالهم و تضليلهم، كلاً.. بل أتم حجتة عليهم بان بعث في كل أمة رسولا يأتمون به، و يتفاعلون مع بعضهم، حتى لا يبقى أحد منهم يقول لم أكن أعلم.

و لكنه لم يشأ ان يكرهم على قبول الهدايه.

فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ الَّذِي يَهْتَدِي فَاللَّهُ يَهْدِيهِ وَ لَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَخْتَارَ ذَلِكَ، وَ الَّذِي يَضِلُّ فَاللَّهُ يَضِلُّهُ وَ لَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَخْتَارَ ذَلِكَ، لَئِنْ قَالَ رَبَّنَا: «حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ» أَى وَجبت ضلالته بعد أن أختار ذلك، و كلّ يتحمل مسئوليته.

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ

فلو ان الله يرضى لعباده الكفر، إذا لم يعذب الكافرين؟! [٣٧] و مره أخرى يؤكد ربنا ان الهدى ليس جبرا من الله، و لذلك فلا ينتظر أحد ان يأتي نبي يكرهه على الهدايه، و لا يقولنّ إذا لم يأت من يجبره فما تقصيري.

كلا.. أنت مسئول، و الرسول ليس مسئولا عنك.

إِنْ تَحْرِضْ عَلَيَّ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فَلَا يَسْلُوا أَنفُسَهُمْ بِهِذِهِ التَّبْرِيرَاتِ، وَ لَا يَنْتَظِرُوا أَحَدًا لِيَنْصِرَهُمْ، كَلَا لَا أَحَدٌ يَنْصِرُهُمْ، اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ النَّاصِرُ، وَأَنْتَ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَيْهِ حَصَلَتْ عَلَيَّ سَعَادَتُكَ الْمَنْشُودَةُ.

ص: ٥٣

وَ أَقْسِمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللّٰهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعِذًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي  
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَيُعَلِّمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّهُمْ قَوْلًا لِّشَيْءٍ إِذَا أَرَادُوا أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠) وَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا فِي اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَيَّ رَبِّهِمْ  
يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَمِعُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنَا  
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لُبِّيْنًا لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

### هدى من الآيات:

و لكى يتهرب الكفار من صعوبه العلم بالآخرة، حلفوا بالله الايمان المغلظه ان الله لا يبعث من يموت افاكد الله لهم انه قد وعد أن يبعثهم فلن يخلف الله وعده، و أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقه.

و الهدف من البعته تبيان الحق فى اختلافاتهم، و إثبات كذب الكفار لهم، و ليست هناك صعوبه فى البعث إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

و فى المقابل نجد الذين يتحملون مسئولييه ايمانهم بالحق، فإذا هم يهاجرون عن أرضهم حين لا يجدون حربه العمل بالحق، فيعدهم الله حسنه فى الدنيا و أكبر منها فى الآخرة، حيث أخفيت عنهم نعمها التى لا توصف، لأن هؤلاء يصبرون على الأذى، و يتوكلون على الله فى مقاومه الكفار.

و بعضهم يناقش فى صدق الرسول لأنه بشر كسائر الناس، علما بان الله قد

بعث من قبله رجالاته - لا - يميزهم عن غيرهم سوى الوحي، ألا - فسألوا أهل العلم الذين ذكروا بالبينات والزبر. و القرآن ذكر أنزل على محمد صلى الله عليه و آله بهدف توضيح الرساله التي نزلت عليهم تدريجيا، و الغايه الأسمى لها اثاره عقولهم، و تحريضهم على التفكير.

## بينات من الآيات:

### العلم دليل الحقيقه:

[٣٨]السياق القرآنى يتبع عاده أكثر من خط فكري واحد خلال درس أو سوره، لأنه كتاب الله الذى لا يشغله شأن عن شأن، و إذا تدبرنا فى نهايات آيات هذا الدرس الكريم تبين لنا أن السياق يحدثنا أيضا عن العلم، بالإضافة الى حديثه عن الإيمان بالبعث، و عن الهجره فى الله، و عن الرساله، بل يكاد العلم يكون الخط الرابط بين موضوعات الآيات هذه، ذلك ان العلم مسئوليه خطيره لأنه قرين العمل، و يهتف به فإن وجدته و إلا ارتحل، و لو لا العمل بالعلم فإن القرآن لا يسميه علما، ذلك ان العلم فى الإسلام - ليس مجرد تراكم المعلومات فى الحافظه البشريه كما تراكمها مثلا فى الكمبيوتر، بل هو انكشاف المعلومات بوضوح أمام العقل النير. و عند ما تنكشف الحقائق فإن العمل وفقها نتيجته فطريه لها.

و لكن هل العمل بالعلم سهل؟ كلا.. أو لم يقل

الحديث الشريف:

«حديثنا صعب مستصعب» فإن أمام العمل عقبات نفسيه و واقعيه لا بدّ من تجاوزها و التغلب عليها.

و لكى يتهرب البعض من مسئوليه العلم يجهلون، و يحلفون الإيمان المغلظه على جهلهم.

ص: ٥٦

و من جهه أخرى فإن العلم بالآخره يبدو كحجر الزاويه فى العلم، لأن فهم الدنيا و ما فيها من مسئوليات و قيم و حقائق لا يمكن دون الاعتراف بالآخره، و إلا فكل شىء فى الدنيا يبدو لغزا و سرا كبيرا.

و من هنا كان إنكار الآخره بمثابة جهل مطبق بالحياه الدنيا، هذه التى قد تنتهى فى أیه لحظه و من حكمه معروفه.

و من جهه ثالثه: العلم بالآخره، يجعلنا نؤمن بان هناك حقا ثابتا فى هذا العالم، و اننا سوف نعرفه و نحاسب على أساسه فى يوم ما لذلك لا بد أن نبحث عنه و أن نجعله هو المحور لتفكرنا و عملنا.

و فقدان محوريه الحق يشبه سقوط قاعده البناء، كل شىء فيه ينهدم، فإذا لم يكن هناك حق و باطل واقعيان، و إذا لم يكن هناك حسن و قبح عقليان - حسب تعبير الفلاسفه - فلما ذا ترانا نبحث فى العلم؟ و ما هو المقياس فى الصراعات؟ هل المقياس هو الأنا، أم الأقوى، أم ماذا؟ و يبدو ان الآيتين توضحان هذه الحقيقه:

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ الْقِسْمَ فِيمَا لَا يَعْلَمُ الْفَرْدُ دَلِيلَ عَلَى تَأْكِيدِهِ عَلَى جَهْلِهِ وَ فِرَارِهِ مِنَ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ،  
و إلا فلما ذا التأكيد على القسم على ان الله لا يبعث الموتى؟ بلى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ إن وعد الله حق، و  
قد وعد أن يبعث من يموت، و أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

يقول العلامة الطباطبائي: (أى لا يعلمون انه من الوعد الذى لا يخلف،



و القضاء العدى لا- يتغير لاعراضهم عن الآيات الداله عليه،الكاشفه عن وعده و هى خلق السماوات و الأرض،و العدل و الإحسان،و التكليف النازل فى الشرائع الإلهيه). (١)

و قال البعض: أن المعنى لا يعلمون وجه الحكمه فى البعث فلا يؤمنون به. (٢)

و يبدو أن القرآن،ينفى علم أكثر الناس كعلم،كى لا تتخذ الأكثريه مقياسا،بل يكون المقياس هو الحق الذى يتبين فى الآخره،و تنتهى الآيه الى بيان حقيقه العلم و مقياسه،و الله العالم.

### لماذا البعث؟

[٣٩]من أهداف النشور بعد الموت تبيان الحق،و كشف زيف الكفار، و هكذا يكون من حكم الزمان بالآخره،الإيمان بوجود مقياس ثابت للحق،يرجع إليه الناس،فيحكم بينهم فيما اختلفوا.

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ □ □ فلا يستطيع أحد من أن يبدل الحق بالباطل،و يخدع نفسه ان الباطل قد أصبح حقا،لأن رأى الأكثريه-حسبما يزعم أغلب الناس-هو مقياس فهم الحق و الباطل،كلا..ان وراءنا يوما يميز فيه الحق عن الباطل بوضوح كاف.

[٤٠]و يزعم الكفار أن البعث مستحيل،و لا يعلمون ان الله لو أراد شيئا،قال له:كن فيكون.

ص: ٥٨

١-١) الميزان-ج ١٢-ص ٢٤٧.

٢-٢) مجمع البيان-ج ٥-ص ٣٦٠.

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و تكرر كلمه (القول)ربما جاء لبيان ان الإراده ليست نعمه فى القلب،أو ترويا فى النفس، كما هى لنا نحن البشر،انما هو كالقول (فعل)بيدعه الله إبداعا،

و قد جاء فى الحديث الشريف عن أبى الحسن -عليه السلام- حينما سأله أحد أصحابه عن الإراده:من الله أم من الخلق؟قال عليه السلام :

«الإراده من الخلق الضمير،و ما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل،و أما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك،لأنه لا يتروى و لا يهّم و لا يتفكر،و هذه الصفات منفيه عنه و هى صفات الخلق،فإراده الله الفعل لا غير ذلك يقول له:

كن فيكون بلا لفظ،و لا نطق بلسان،و لا همه،و لا تفكر،و لا كيف لذلك،كما انه لا كيف له. « (1)

### واجب الهجره:

[٤١]و كثير من الناس يتركون ما يعلمون،و يعلمون بالجهل خشيه المجتمع الفاسد و الطاغوت،بينما ينبغى أن يتمرّدوا عليهما فإذا ظلموا،و لم يجدوا حيله، هاجروا من تلك الأرض،و أرض الله واسعه،دعهم يهاجروا لكى يعودوا أقوى الى بلادهم.

وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ أَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ،و من أجل العمل بأوامر الله.

مَنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا لَتَبُوُنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً فسوف يهيه الله لهم:أرضا رحبه،و حياه حسنه،و حريه و أمنا.

ص: ٥٩

وَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ و عليهم ألا يبحثوا فقط عن أجر الدنيا، و فائده العلم انه ينقلنا الى رحاب الآخرة و ما فيها من أجر كبير.

[٤٢] كل ذلك بشرط أن يتحملوا الأذى في سبيل الله، و ألا يستسلموا لضغوط الطاغوت، و لا ينسوا قضيتهم الرسالية.

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

### سبيل المعرفة:

[٤٣] إنهم يجادلون في رساله محمد صلى الله عليه و آله لأنه رجل مثلهم، و هل بعث الله إلا رجالا أهم ما يميزهم عن غيرهم الوحي؟! وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ و على الإنسان أن يبحث عن الحقيقة بنفسه، فإذا لم يجدها يبحث عن وجدها من الذين صاغت المعرفة شخصياتهم، فتميزوا عن غيرهم بمعرفة البيئات و الزبر.

فَسَبِّحُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَإِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فلا يحق لكم تقليد الآخرين، كما لا يجوز إتباع من لا يعرف شيئا عن البيئات و الزبر، أو يعرف و لكن لم ينتفع بها عمليا فلم يتذكر هو شخصيا بالوحي، و لم يتعظ بمواعظه الرشيدة، و هذه الآيه و التي بعدها تحدد شروط التقليد، أو بتعبير آخر تحدد شروط اتباع الجاهل للعالم، و هما يشيران الى حقائق عقلية فطر البشر عليها.

[٤٤]عالم الطبيعه و عالم التاريخ و عالم الطب و من أشبهه، لا يمكن تقليد أحدهم في شؤون الحياه مما يتصل بالدين، بل عالم الدين الذى تذكّر بالأدله و عرف المحتويات.

بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبْرِ البينات هى الشواهد الواضحه، أما الزبر فانها الكتب التى تحتوى على العلوم الإلهيه. و لان البيّنات قد جاءت فى آيات قرآنيه أخرى مقارنه بكلمه الهدى، مثل قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَ الْقُرْآنِ، فإن معناها-حسبما يبدو لى-هو التفاصيل الواضحه للتعاليم السماويه، بينما الهدى أو الزبر التى تحتوى عليه، هى البصائر و الإشارات (المحكّمات)..التي فصلت بعضها فقط.

و بناء على هذا التفسير فإن كلمه بالبيّنات و الزبر متعلقه بقوله تعالى: أَهْلَ الذُّكْرِ و قال البعض انها متعلقه بقوله سبحانه: وَ مَا أَرْسَلْنَا و قال العلامة الطباطبائى: (أى أرسلناهم بالبيّنات و الزبر، و ذلك ان المعنى فى الآيه السابقه، أنما هى بيان كون الرسل بشرا على العاده فحسب، فكأنه لما ذكر اختلج فى ذهن السامع انهم بماذا أرسلوا؟ فأجيب عنه فقيل بالبيّنات و الزبر، أما البيّنات فلا ثبات رسالتهم، و أما الزبر فلحفظ تعليماتهم). (١)

و أقول: كما أرسل ربنا رسوله بالبيّنات و الزبر، كذلك كان أهل الذكر يتذكرون بها، علما بان المتعلق أقرب الألفاظ السابقه، و الأقرب هنا: الذكر،

ص: ٦١

خصوصا بإضافه الأهل، و لا سيما و الكلمه غامضه و أكثر إثاره للتساؤل من كلمه «أرسلنا» ثم إن المتعلق ينبغى أن يكون حسب رأيهم كلمه الوحي لا أرسلنا، فتدبر.

### هدف البعته:

و هكذا انزل الذكر الى الرسول بهدف تحقيق واحد من أمرين:

الأول: أن يكون الرسول قدوه يتبع، و هذا يشبه التقليد.

الثانى: أن يثير عقول الناس و يحرك الراكد من أفكارهم، فيحصلون على العلم مباشره. و الهدف الأول يشمل جميع الناس، بينما يختص العقلاء بالثانى.

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

ص: ٦٢

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧) أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلَالَهُ عَنِ الْأَيْمِينِ وَالْأَسْمَائِلِ سَاجِدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي آتِيكُمْ فَارْهَبُونَ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْزَوْنَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

هدى من الآيات:

ان الذين يعملون السيئات بمكر، و يعالجونها بأفكارهم معالجه، ينبغي الا- يأمنوا من مكرهم، فقد يخسف الله بهم جانبا من الأرض، أو يتعرضون للعذاب من حيث لم يتوقعوا، أو يحيط بهم عذاب الله و هم يبحثون عن المعاش فى البر و البحر، فلا يستطيعون رد العذاب عن أنفسهم، أو يأخذهم الله بعذابه و هم متيقظون فى كل وعيهم فلا يستطيعون رده، و لكن الله يؤخر عنهم العذاب لأنه رؤف بهم رحيم.

و لماذا يمكرون السيئات؟ لماذا لا يعبدون ربهم؟ أو لا يرون الى خلق الله أنى نظروا كيف يتحول ظلاله عن اليمين الى الشمال، و كل هذا الخلق يسجدون لله خاضعين، بلى كل ما فى السماء، و كل ما فى الأرض يسجد لله، من الأحياء و الملائكة، دون ان يستكبروا شيئا، و هم يخافون ربهم ان يأتيهم عذابه من فوقهم، و لذلك يطيعون الله فى كل ما يأمرهم به.

أما الناس فبعضهم يتخذون الشركاء من دون الله، بينما أمرهم الله الا يعبدوا

الهيئن اثنين، لأنه لا إله إلا الله إلهها واحدا، ينبغي ان يرهب جانبه، و ان لله كل شىء فى السموات و الأرض، و له الحاكميه الواجبه، فلما ذا يحذرون غير الله فيعبدونه؟! بينما النعم منه و عند النعم يستغيثون اليه، و لكنهم إذا كشف الضر عنهم يشركون بالله، كافرين بما آتاهم الله من خير و من كشف الضر، فدعهم إذا يتمتعون فسوف يعلمون غدا مصيرهم المحتوم.

## بينات من الآيات:

### الحاكميه الإلهيه:

[٤٥] الله هو الحاكم، و له الدين الواجب، أما الذين يشرّعون لأنفسهم الأنظمه الباطله، و يتدعونها بقوه خيالهم، من أجل الوصول الى أهدافهم السيئه التى يخططون للوصول إليها تخطيطا واعيا، فإنهم لا يأمنون عذاب الله.

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَى مَكْرًا يَعْمَلُونَ بِهِ السَّيِّئَاتِ، فالهدف كان شيئا، و لكنهم استخدموا حيلتهم الشيطانيه للوصول إليها، فهم أكثر ذنبا ممن يعمل السيئات مخطأ أو حسب الصدفة، فهل أمن هؤلاء مكر الله؟ مثلا:

أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ مِنْ فَوْقِهِمْ أَوْ مِنْ أَطْرَافِهِمْ.

يقول العلامة الطباطبائى: هذه الآيه و الآياتان بعدها إنذار و تهديد للمشركين، و هم الذين يعبدون غير الله سبحانه، و يشرّعون لأنفسهم سننا يستنون بها فى الحياه، فما يعملون من الأعمال مستقلين فيها بأنفسهم، معرضين عن شرائع الله النازله من



طريق النبوه، استنادا الى حجج داحضه (واهيه) اختلقوها لأنفسهم، كلها سيئات.

و أضاف قائلا: السيئات مفعول مكروا بتضمينه معنى عملوا: أى عملوا السيئات ماكرين. (1)

و كلمه الدين واصبا فى السياق تدل على ما استوحاه العلامه الطباطبائى من معنى التشريع فى الشرك.

[٤٦] و البشر بحاجه الى الكسب، و الاكتساب محفوف بالأخطار، و الله سبحانه يحفظ الإنسان حين يسعى لرزقه، و لكنه إذا شرع لنفسه قوانين باطله لسعيه، فقد يتركه الله فريسه للأخطار.

أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ أَى فِي سِيرِهِمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ لِكِتْشَافِ الرِّزْقِ.

فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ لَا يَهْرَبُونَ مِنْ مَلَاَحِقِهِ الْعَذَابِ، وَ لَا يَفْلَتُونَ مِنْ يَدِ الْعَقُوبَةِ.

### أنواع العذاب الإلهي:

[٤٧] عذاب الله ألوان:

الأول: العذاب الفجائي الذى لا ينتظره، و يأتى من دون سابق إنذار مثل الخسف و الزلازل.

الثانى: العذاب الذى يسببه البشر بأخطائه كأن يركب البحر فتقلب به

ص: ٦٦

الثالث:العذاب التدريجي كأن يعذب الله أمه بالقحط فيموتوا بالتدريج.

و لكل لون من العذاب ألم خاص يدعنا نتحذر منه،و قد حذرنا القرآن منها جميعا.

فعن اللون الأول من العذاب و الثانى حذرتنا الآيه الأولى و الثانيه،أما عن اللون الثالث فيقول سبحانه:

أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ قَالَ الطبرسى:التخوف و التنقص و هو ان يأخذ الأول فالأول حتى لا- يبقى منهم أحد،و تلك حاله يخاف منها الفناء و يتخوف الهلاك،و يقال:تخوَّنه الدهر. (١)

و جاء فى الحديث المأثور:

«التخوف هو التيقظ» و الواقع ان معنى التخوف الأصلى هو التيقظ اشتقاقا من كلمه الخوف،و لكن يسمى الهلاك التدريجى بذلك،لأن الإنسان يخشاه و يسعى جهده لتجنبه،فلا يستطيع ذلك مما يسبب له ألما جسديا و نفسيا،و ربما كان هذا اللون من العذاب هو الأكثر ألما،و لذلك طمأن ربنا عباده بأنه رؤف رحيم.

فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوُفٌ رَّحِيمٌ فبالرغم من استحقاقهم العذاب التدريجى،الا انه يتابع نعمه عليهم برأفته و رحمته.

ص:٦٧

[٤٨] لماذا الشرك بالله العظيم؟ أو ليس الكون كله ساجد لله، خاضع لمشيئته؟! أَو لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ نَاطِرِينَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ أَشْيَاءٍ!! مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّئُا ظِلَالُهُ أَي يتحرك ظلالة من اليمين الى اليسار.

يقول الطبرسي: التفيؤ التفاعل من الفىء، يقال فاء الفىء يفىء إذا رجع و عاد بعد ما كان ضياء الشمس قد نسخه، و يضيف قائلا: الفىء ما نسخه ضوء الشمس، و الظل ما كان قائما لم تنسفه الشمس، و يستنتج من ذلك ان معنى الآية يتميل ظلالة عن جانب اليمين و جانب الشمال.

عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ وَ ربما جاء السياق بلفظ اليمين مفردا بينما جمع الشمائيل، لأنه قد اتخذ جانب اليمين مبدأ الحركة، بينما جعل جانب الشمال مآلها، و الحركة تبدأ من مكان و لكنها تسير فى أماكن مختلفة.

سُجِّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ كُل شىء يسجد لله داخرا خاضعا صاغرا، بالرغم من أننا نراها و كأنها واقفه، حيث لا يتحرك الا ظلالة فقط، و لكنها فى الواقع تسجد لله، تسبحه و تستجيب أوامره،

و فى السجود معنى لا نفهمه من الخضوع و هو معنى الفعل.

[٤٩] و كما الأشياء الجامده التى تتحرك حولها الظلال و هى جامده ظاهرا، لكنها تسجد لله، كذلك الأحياء فى الأرض و الملاك فى السماء.

وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِي الْاَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ هُمْ لَا يَشْتَكِرُونَ بِالرَّغْمِ مِنْ عَظَمَتِهِمْ بِالنِّسْبَةِ اِلَيْنَا نَحْنُ الْبَشَرُ الَّذِيْنَ نَسْتَكْبِرُ وَ نَتَّحَدَى اِرَادَةَ اللّٰهِ.

[٥٠] و كل شىء يخشى ربه الذى يشعر انه فوقه قاهره.

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ الْعَذَابِ يَأْتِي مِنْ فَوْقٍ وَ كَذَلِكَ الثَّوَابِ، يَقُولُ رَبَّنَا: « وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوْعَدُونَ » و هذا هو شعور الفرد أيضا تجاه ربه المحيط به علما و قدره..

وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [٥١] و يبقى الإنسان بين الخلق أجمعين يخضع لما هو خاضع لله، يخضع للشمس و القمر و النجوم، يخضع للأنوار و الأشجار و الأحجار، يخضع للثروه، و القوه، و الدعايه.

وَ قَالَ اللّٰهُ لَا تَتَّخِذُوا الْهَيْبَةَ اثْنَيْنِ اِنَّمَا هُوَ اِلٰهُ وَّاحِدٌ فَلَمَّا ذَا نَرَهَبُ جَانِبَ الطَّبِيعَةِ، حَتَّى نَعْبُدَهَا، وَ لِمَا ذَا نَرَهَبُ الطَّاغُوتِ حَتَّى نَسْتَسَلِمَ لَهُ؟! اَلَا فَلْنَخْشَى رَبًّا وَّاحِدًا صَمَدًا.

فَاَيُّهَا فَارَاهِبُونَ

ص: ٤٩

«و من خاف ربه أخاف الله منه كل شيء، و من لم يخف ربه أخافه الله من كل شيء» إن أكثر ما تتم العباده من جانب البشر للأشياء، انما تتم بسبب الهيئه و الرهبه، الا فلتسقط هيئه الطبيعه الا فلنرهب ربه! و خالقها فقط!!

### تجاوز الخوف شرط العباده:

[٥٢] و إذا تجاوزنا الخشيئه من الطبيعه، و تحررنا من رهبتها أسلمنا الوجوه لرب العالمين، و خضعنا لحاكميته و سيادته القانونيه، و بالتالي لدينه الواجب.

وَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مِنْ بِيَدِهِ نَاصِيَهُ الطَّبِيعَةِ لَهُ السِّيَادَةُ التَّشْرِيعِيَّةُ.

وَ لَهُ الدِّينُ وَ أَصْبَأَ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: وَصَبَ الشَّيْءُ وَصُوبًا إِذَا دَامَ، وَ وَصَبَ الدِّينَ وَجِبَ. (١)

أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ لِمَاذَا نَتَحَذَّرُ مِمَّنْ لَا سِيَادَةَ لَهُ؟ إِنَّ السِّيَادَةَ لِلَّهِ، وَ أَنَّ التَّشْرِيعَ الَّذِي يَعْكَسُ هَذِهِ السِّيَادَةَ هُوَ لِلَّهِ، وَ أَنَّ مَخَالَفَةَ تَشْرِيعِهِ وَ سِيَادَتِهِ هِيَ مَا نَحَذَّرُ مِنْهُ.

[٥٣] و عمليا نحن بحاجة الى الله في كل صغيره و كبيره، فما من نعمه الا و هي لله، و عند فقدها نستغيث به ليعيدها علينا. فله السيادة أم لغيره؟!  
ص: ٧٠

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ الجوار: الاستغاثة برفع الصدمه.

[٥٤] و لكنه ما ان يرفع الضر حتى تعود حجب الشرك تفصل بين قلب البشر و ربه ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ و الشرك هنا قد يعنى الخضوع لقانون غير قانونه، إن لحظات الحاجه هى أكبر شاهد على سفاهه الشرك، لأننا آنئذ نرى بوضوح شديد عجز الشركاء، فهل الطاغوت و السلطه السياسيه الفاسده التى تخضع لها هى التى تنقذ من أمواج البحر حين تكاد تبتلع السفينه؟! أم ان الثروه و الأثرياء تقدر ان تنقذ طفلنا المشرف على الهلاك فى غرفه العناية القصوى؟! من الذى نتوسل اليه آنذاك؟ أو ليس الله، فلما ذا نعود و نخضع لقانون البشر؟! [٥٥] إن ذلك كفر بنعم الله التى وهبها الله لنا.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ و الشكر هو الذى يدعم النعم، أما الكفر بها فصاحبه ينتظر اليوم الأسود.

فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فان المتعه اليوم، تستتبع ندما طويلا طويلا.

اشاره

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَيْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ (۵۶) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (۵۷) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (۵۸) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (۵۹) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۶۰) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فإِذَا أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (۶۱) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسَيْنِي لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ (۶۲) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهَوَّ وَرِيَّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۶۳)

اللغه

۵۹[یتواری]:یستتر حياء و خجلا.





هدى من الآيات:

إن الشرك يقتضى أن يتنازل البشر عن جزء من نعم الله عليه لمصلحه الآلهه التى يزعم ان لها تأثيرا حقيقيا عليه، و لا يحق له ذلك و هذ كذب على الله يتحمل المشرك مسئوليته غدا.

و ينسبون الى ربهم الأمثال السيئه، فمثلا- لأنهم يكرهون البنات، يجعلون لربهم البنات، بينما يجعلون لأنفسهم الذكور اللذين يشتهونهم، فحين يبشر أحدهم بمولود أنثى، يبقى وجهه مسودا لزياده الغضب الذى يكظمه، و تراه يتخفى عن الناس، و هو متردد هل يخفى ابنته فى التراب أم يبقى عليها على ذله و هو ان؟ و ساء ما يصفون به ربهم. انهم لافتقارهم الى مقياس الحق، و ذلك بسبب كفرهم بالآخره، يتخذون أسوأ القدوات لأنفسهم.

فدعهم فى غيهم- بالرغم من نسبتهم السيئه لله- فإن الله لو أخذ الناس كلما

ظلموا أنفسهم، لما ترك عليها من دابه، ولكنه -و لحكمه- يُؤخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .

و تراهم يصفون ربهم بما يكرهون لأنفسهم، و يزعمون أن لهم الحسنى بينما ليس لهم إلا النار، و انهم مجموعون إليها، و هذا ليس خاصا بهم، فلقد بعث الله الأنبياء بهذه الرساله للناس، فزَيَّن لهم الشيطان أعمالهم، و هو وليهم اليوم و لهم عذاب أليم.

## بينات من الآيات:

### الشرك عبوديه و ذل:

[٥٦]الشرك عبوديه و تقيد، و فقدان لاستقلال البشر و حريره أمام قوى الطبيعه أو القوى الاجتماعيه، و يتجسد الشرك فى الأغلال التى يضعها الإنسان لنفسه باسم الأنظمه و القوانين و يقيد بها حياته، و عاده ما يقدر البشر هذه الأنظمه.

و بكلمه: الشرك هو تنازل طوعى عن رزق الله لمصلحه الطبيعه أو لمصلحه مراكز القوى.

وَ يَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ، و رؤساء القبائل، و قاده الأحزاب، و قوى التسلط، و كلما لا يعلم الإنسان ان الله أمر باتباعها، و ان فى اتباعها مصلحه الإنسان الحقيقيه، يجعل المشركون لهؤلاء..

نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ أَي جِزء من نعم الله، و ذلك بسبب جهلهم بواقع الأصنام الحجرية و البشريه،

و انها لا تملك لهم شيئا،والله لا يرضى أن يتنازل البشر عن حرته و كرامته و عن حقوقه شيئا،لأنه هو الذى رزقه له لا لغيره.

تَاللّٰهِ لَكُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ [٥٧]للحياء مثلا،و فيها خطان،الأول:مثل القيم الساميه الكريمه،و خط القوه و العلم و الحره،و الثانى:مثل الشهوات و الأهواء،و خط الضعف و الجهل و العبوديه.

و المشرك يجعل نفسه محور عقيدته،فيقيس العالم كله بما يشتهي و يهواه، و تنقلب عنده المعايير،و يتخذ مثله من أرذل المثل،كما يتبع خط الضعف و الجهل و العبوديه.

إنه يصبح أنانيا الى درجه ينسب كل خير إلى نفسه و ينسب الى ربه تعالى الكذب،و بالرغم من أن الخير و الشر عنده ليسا هما الخير و الشر فى الواقع،إلا- انه ينسب الى ربه ما يراه هو شرا.إنك تراه ينسب الى الله البنات اللاتى يزعم أنهن منقصه لأبيهن و لكنه يرفض أن تكون له البنات،و يبحث دائما عن الذكور،فإذا افترضنا-جدلا-ان البنين خير فلما ذا لا تنسب الخير لربك،بل لنفسك فقط؟!.

وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْوَالِدِ.

### مكانه المرأه فى الجاهليه:

[٥٨]بينما الواحد منهم يشتد غضبه إذا أخبر بأنه رزق مولودا أنثى.

و هذا مثل من واقع المشرك الذى يحرم نفسه من أفضل نعم الله من ريحانته من الدنيا، من بهجه البيت، من البنت النظرة، بسبب جهله و شركه و خضوعه للأعراف الجاهليه، انه حكم سىء جدا.

و لقد كانت عاده و أد البنات من أسوأ العادات الشركيه، و أول ما بدأ لهم ذلك أن بنى تميم غزوا كسرى فهزمهم، و سبى نساءهم و ذرارهم، فأدخلهن دار الملك، و إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا مِنْ شِدَّةِ الْحَنَقِ وَ الْغَضَبِ.

وَ هُوَ كَظِيمٍ يَكْظُمُ غَيْظَهُ لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مِنْ نَفْسٍ عَنْهُ غَيْظَهُ.

[٥٩] و يتهرب من الناس خجلا، و لكى يختلى الى نفسه و يفكر فى حل لمشكلته، فهل يدفن أبنته حيه فى التراب، أم يبقياها و يتجرع الهوان و الذل على نفسه؟ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَى يحتفظ بالمولود بما فيه من ذل و هوان.

أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَى يخفيه فى التراب.

أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

و اتخذ البنات جوارى و سرايا، ثم اصطلحوا بعد برهه و استردوا السبايا فخيرن فى الرجوع الى أهلهن، فامتنعن عده من البنات، فاغضب ذلك رجال بنى تميم فعزموا ألا تولد أنثى إلا و أدوها و دفنوها حيه، ثم تبعهم فى ذلك بعض من دونهم، فشاع بينهم و أد البنات. (١)

### عباده الذات جذر الانحراف:

[٦٠] و الجاهلى الذى لا يؤمن بوجود مقياس للحق غير ذاته، حيث يجعل أهواءه و شهواته و نزعاته الفرديه و الإقليميه، و الاستكبار على الناس، و ظلمه للضعفاء، و يجعل خيالاته و أساطيره الموروثة، يجعل -بالتالى- كلما يتصل بجانب الضعف و العجز و الاستسلام مثلا أعلى لنفسه، لأنه لا يرى أن هناك يوما يطبق فيه الحق بلا لبس و لا خداع و لا نقيصه، فلما ذا البحث عن الحق؟ و لماذا يجعله أساسا لحياته، و مقياسا لتقييم الأشياء؟ و شيئا فشيئا يرحل عن قلبه ذلك الضوء الذى كان يهديه أبدا للحق، فلا تبقى فى قلبه إلا ظلمات الشهوات.

لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ هَذِهِ آيَةُ الْكَرِيمِ ۖ تَشْهَدُ بِمَا شَهِدْتَ بِهِ الْآيَةُ الْآخِرُ فِي سُورَةِ صَالَى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ، فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ . (٢)

فلقد كان نسيان الحساب و يومه سببا للضلاله.

ص: ٧٨

(١-١) الميزان- ج ١٢- ص ٢٧٧.

(٢-٢) ٢٤/٠ ص.

وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ أَعْلَىٰ مَثَلًا لِحَقِيقَةِ الْبَشَرِ، هو الوصول إلى القوه و الفضيله، لكى يحقق الفضيله بما يملكه من قوه، و الله عزيز و حكيم، و من يتبع مثل الله فهو يصل إلى العزه و الحكمه باذنه.

و القرآن يهدى بهذه لكلمه الى ما يجب به كل منا بوجدانه، إذ أن هناك خيطان خط الهدى و العقل، و خط الظلم و الطغيان. و من يؤمن بالآخره سيصل بإيمانه بيوم الحساب الى الخط الأمثل.

### حكمه الأجل:

[٦١] و لكن لماذا يترك الله العزيز الحكيم الناس يخالفون الحق، بل ينسبون الى الله الأمثال السيئه؟ أ فلا يدل ذلك على رضا الله بما يفعلون؟ كلا.. انما هي حكمته و رحمته.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ إِنَّ كُلَّ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ تَظْلِمُ فِي أَيِّ وَقْتٍ وَ بِالنَّسْبِ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ، تكفى سببا لعذاب الله، و لأن الله الذى خلق الأحياء للإنسان و سخرها له، فإن ظلم الإنسان يكفى سببا فى هلاك الدواب جميعا، و هكذا أغرق الله فرعون و جزء من دوابه، و أهلك الله عادا و ثمود و المؤتفكه و قوم لوط بدوابهم و مواشيهم.

[٦٢] و يكفى الجاهليين ذنبا ما يفترون على الله، أ فلا نرى كيف يجعلون لله تلك البنات التى يكرهونها لهم؟!

وَيَجْعَلُونَ لِدَاهِ مَآكِلَ يَكَرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ وَيُزْعَمُونَ أَنَّ الْأَوْلَادَ الذِّكْرَ شَيْءٌ حَسَنٌ، وَانْهَمْ لَهُمْ، كَلَا.. أَنَّ الْأَوْلَادَ فَتَنَهُ، وَ عَدَمَ الْوَفَاءِ بِحَقْوَقِهِمْ يُؤَدَى بِهِمْ إِلَى وَسْطِ النَّارِ.

لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ أَى حَقًا، وَ بَلَا حَاجَةَ إِلَى تَفْكَرِ.

وَ أَنَّهَمْ مُفْرَطُونَ أَى مَعْجَلُونَ إِلَى النَّارِ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَطٌ وَ إِفْرَاطٌ، إِذَا تَقَدَّمَ، وَ الْإِفْرَاطُ الْإِسْرَافُ، وَ سِرَّهُ إِنْ صَاحَبَهُ يَتَقَدَّمُ الْآخِرِينَ، وَ مَعْنَى الْآيَةِ-عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ-إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ.

### لماذا التسائل؟

[٦٣] وَ يَبْقَى السُّؤَالُ: لِمَاذَا هَبَطَ هَذَا الْفَرِيقَ إِلَى هَذَا الْحَضِيضِ؟ لِمَاذَا افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ؟ لِأَنَّهَمْ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ فَزِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، فَأَصْبَحَ الشَّيْطَانُ أَقْرَبَ صَدِيقٍ لَهُمْ، وَ كَانَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمَ.

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهَيَّوْا وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ رَبِّمَا يَدُلُ لَفْظُ الْيَوْمِ عَلَى مَرَحَلَةٍ مَّا بَعْدَ التَّرْتِيبِ، سِوَا فِي الدُّنْيَا أَوْ بَعْدَ الْمَوْتِ، أَمَا

هنا فان انحرافهم عن الحق يجعلهم يبحثون أبدا عن شياطين الأنس لاتباعهم، أما في الآخرة فان هؤلاء الأشخاص يقودونهم الى نار جهنم.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

ص: ٨١



وَمِنْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِنُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ  
 الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا  
 خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَ  
 أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخِيلِ أَنْ أَنْزِلْ مِنْ الْجِبَالِ يُّيُوتَا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ  
 رَبِّكِ ذُلُلًا- يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ  
 يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي  
 الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَلَيْسَ اللَّهُ بِجَعَدُونَ (٧١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ  
 أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَابِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ بِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)  
 وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
 وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)



هدى من الآيات:

إن للحق مقياسا يتجسد فى الآخرة فى الحساب، و يتجلى فى الدنيا بالكتاب الذى أنزله الله لفض الخلفات، و إيصال الناس إلى صميم الحق، و توفير الرفاه لمن يؤمن منهم به.

و الكتاب مظهر لرحمة الله، كما ماء السماء الذى يحيى به الله الأرض بعد موتها، و من يسمع حق السمع يستدل بهذه النعمة على رحمة الله، فلا يضرب لله الأمثال الباطلة، بل يهتدى إلى أن لربه المثل الأعلى، أو ليس الله أودع فى حياه الأنعام عبره، كيف يسقى الله من بعض الأجهزة و الأعضاء المودعه فى بطونها المحتويه على فرث و دم، يسقينا لبنا خالصا هنيئا لمن يشربه؟! و من رحمته انه رزقنا من ثمرات النخيل و أنواع التمور، و من ثمرات الكروم، و أنواع الأعناب ما نتخذ منه سكرًا حلوا، و رزقا حسنا، إن هذه عبره أخرى و آيه لقوم يعقلون.

وقد أوحى ربنا الى النحل لكي تتخذ من الجبال بيوتا، وكذلك تبني بيوتا في الشجر، وفيما بينيه الناس من العمارات المختلفه، ثم أمرها الله بأن تأكل من كل الثمرات، ثم تتحرك عبر السبل التي جعلها الله لها، فإذا ببطونها تصبح ياذن الله ينبوعا لشراب مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، وهكذا يصل المتفكرون إلى ما وراء هذه الظاهره من آثار رحمه الله.

و تقلبات الحياه البشريه كيف أنه يخلقه الله ثم يميته، والبعض من الناس يطول عمره و يصل إلى وضع غير محمود، حتى لا يعلم بعد علم شيئا.

و هكذا فضل الله الناس بعضا على بعض فيما رزقهم إياه بحكمته، فلا يستطيع ذوى الفضل أن يعطوا رزقهم لمن هو دونهم، و يملكونهم حتى يصبحوا سواء، و لكن مع كل ذلك نجدهم يكفرون بنعمه الله، و يتخذون من الرزق وسيله للاستعلاء.

و هكذا جعل الله للناس أزواجا من أنفسهم، و رزقهم الذريه و الأولاد، و رزقهم من الطيبات، و مع ذلك يتركون نعمه الله و يؤمنون بالباطل المتجسد في الشركاء من دون الله، الذين لا يملكون شيئا من الرزق من السموات و الأرض، و لا يستطيعون شيئا.

كل هذه الآيات و غيرها تدل على أن لله المثل الأعلى، و لا يجوز لنا ان نقيس ربنا بخلقه، و نضرب له الأمثال الباطله، فإن الله يعلم الحق و نحن لا نعلم، و لا يجوز أن يحكم الجاهل على العالم سبحانه!

**بينات من الآيات:**

**الكتاب ميزان الحق:**

[٦٤] كما أن للحق مقياسا ثابتا يتجلى في اليوم الآخر على شكل جزاء، فلا

ص: ٨٥

تختلط هنا لك الشهوات بالعلم، و لا الخرافات المزيفه للنفس بالحق، كذلك فى الدنيا أنزل الله كتابا ينطق بالحق، و يفرّق الحق عن الباطل.

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ لَكِن لَيْسَ هَذَا هُوَ الْهَدَفُ الْوَحِيدُ، بل لكى يبلغ الإنسان بالكتاب عمق الحق فيهدى اليه، ثم لكى ينال بتطبيقه على ذاته رحمه و رفاه جم.

وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ان من لا يؤمن بالحق ينتفع بالكتاب فائده واحده هى: رفع الخلاف الظاهر بينه و بين الآخرين، كما استفاد الأعراب من الإسلام قبل أن ينفذ الأيمان الى قلوبهم، فقد خضعوا للإسلام كحكم سياسى، فنفعهم تسليمهم له وحده سياسيه، و لكن بعد أن آمنوا وصلوا بأنفسهم الى الحق، و نالوا الخير الواسع.

### القرآن مطر الرحمة:

[٦٥] و كتاب الله كماء السماء يحيى الله به الأرض بعد موتها.

وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَشْكُرُونَ سوف نستمع الى ثلاث عبارات جاءت كشرط مسبق لاستيعاب عبره الحياه، و فهم خلفيات طبيعه و هى بالتدرج. السمع، و العقل، و التفكير، و هى مراحل العلم الذى يهب الله للإنسان نوره، ثم يسلبه إذا بلغ أرذل العمر، و هى مرحله الإحساس المباشر، أو تجربه البسيطة الآتية عن طريق السمع، و هى أقرب الاحاسيس إلى الشؤون العقلية، كما أنها وسيله حضاريه لنقل تجارب الأجيال

لبعضها، ولنقل تجارب الناس المعاصرين لبعضهم، ثم تأتي مرحلة الحفظ و تراكم التجارب التي هي العقل حسبما

جاء في الحديث الشريف:

«العقل من العقل» و ان

«العقل حفظ التجارب» في النهايه تأتي مرحلة التفكير، و ذلك بربط التجارب إلى بعضها مما نسميه نحن بالتحليل أو التعقل، و يبدو أن المعرفة الحق لا- تحصل من دون اجتياز المراحل جميعا، و لكن القرآن الحكيم ربط بين كل مرحله و بين آيه إلهيه لحكمه بالغه قد لا نفهمها الا بالتدبر.

### الأنعام عبره و رحمته:

[٦٦] و يتجلى اسم الرحمة الإلهي في الأنعام التي نعتبر بها عند أدنى نظره، و نتعرّف من خلال النظر إليها على الهدف من خلقها، و ما يتصل بهذا الهدف من هدف أسمى لخلقها البشر هو العلم و العمل.

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ فَمَنْ خَلَّالَ النَّظَرِ فِيهَا وَ التَّدْبِرِ فِي أُمُورِهَا، نَفِذَ إِلَى الْهَدَفِ مِنْهَا، وَ لَكِنْ كَيْفَ؟ نُشَيِّقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ كَيْفَ يَمِيزُ اللَّهُ اللَّبْنَ عَنِ الْفَرْثِ، وَ هِيَ الزِّيَادَةُ الَّتِي تَهْبِطُ إِلَى الْكِرْشِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ فَتَصْبِحَ سَرَجِينًا، وَ عَنِ الدَّمِ الَّذِي يَجْرِي فِي الْعُرُوقِ لِيَصْبِحَ.

لَبِنًا خَالِصًا

ص: ٨٧

من الشوائب و الجراثيم.

سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ فِيهِ الْفَائِدَةُ لَخُلُوصِهِ، وَاللَّذَّةُ لِأَنَّهُ هَنِءٌ يَحِبُّهُ الطَّبَعُ الْبَشَرِيُّ.

[٦٧] و آيه أخرى هي الثمار النافعه كالرطب و العنب، و ما ينتهيان اليه من السكر و التمر و الزبيب.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سِكْرًا وَ رِزْقًا حَسِينًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ لَا رَيْبَ أَنَّ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْكُرُومِ مِنْ أَفْضَلِ الرِّزْقِ مَذَاقًا، وَ فَائِدَةً طَيِّبَةً، أَمَا السُّكْرُ فَقَدْ اخْتَلَفَتْ كَلِمَاتُ الْعُلَمَاءِ فِيهَا، وَ أَمَّا الْقَوْلُ مَا جَاءَ مَأْثُورًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «السُّكْرُ مَا حَرَّمَ مِنْ ثَمَرِهَا، وَ الرِّزْقُ الْحَسَنُ مَا حَلَّ مِنْ ثَمَرِهَا» (١) وَ قَدْ يَوْسَعُ فِي مَعْنَى السُّكْرِ حَتَّى يَشْمَلُ عَدَمَ الْإِنْتِعَاشِ، وَ لَا رَيْبَ أَنَّ الْعَنْبَ وَ التَّمْرَ يَسْبَبَانِ الْإِنْتِعَاشَ، وَ الْإِنْتِعَاشَ بِهَا لَا يَبْلُغُ مَسْتَوَى فَقْدَانِ الْعَقْلِ حَتَّى إِذَا زَادَ مِنْهُ الشَّارِبُ.

### النحل آيه بينه:

[٦٨] و هناك رزق الهى يختلف عما ينبت من الزرع أو يجرى من الضرع هو:

العسل الذى هيا الله النحل له، حيث ألهمه أن يبنى بيوته السداسيه الشكل، البارعه و البالغه الدقه، و ذلك فى كنف الجبال، أو فى سوق الأشجار، أو فى الأبنيه.

ص: ٨٨

وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَلَّا الْعَرْشَ هُوَ الْكُرُومِ الَّتِي تَقَامُ فَوْقَ سَابِطٍ مَرْتَفِعٍ.

### معنى الوحي:

و نتسائل: كيف الوحي؟ قبل الإجابة لنعرف معنى الكلمة، و التي يقول عنها اللغوى الراغب: الوحي الإشاره السريعه، و ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز، أو بصوت مجرد عن التركيب، أو بإشاره و نحوها.

و قال العلامة الطباطبائي: و المحصل من موارد استعماله: أنه إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قصد إفهامه.

(١) فالإلهام بإلقاء المعنى فى فهم الحيوان من طريق الغريزه من الوحي:

«وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ».

(٢) و كذا ورود المعنى فى النفس عن طريق الرؤيا: «وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ» (القصص ٧).

(٣) أو ورود المعنى فى النفس عن طريق الوسوسه: «إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ» (الأنعام ١٢١).

(٤) و من الوحي التكليم الإلهى لأنبيائه و رسله: «وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا» (الشورى ٥١).



و الوحي من الله الى النحل يتناسب و جو الآيات العام،الذى يهدينا الى آيات الله فى الحياه،ليبرز دور الإلهام فى العلم،ابتداء من إنزال الكتاب،إلى العلم الذى يسلبه الله عمن يبلغ أرذل العمر.

حيث ان الآيه هذه تشير الى دور الألهام المباشر من قبل الله فى حياه النحل، فكيف بالإنسان؟ و ان من يتعالى على الوحي المنزل من السماء فانما يتكبر على أوضح و أبسط الحقائق التى يعيشها فى حياته،و هى النور الذى يضىء له دروب الحياه،و قد يكون ذلك سببا لتسميه هذه السوره المباركه باسم النحل.

[٦٩]ثم أمر الله النحل بان تأكل من زهره الأثمار،و التى هى خلاصه مواد الثمر قبل بروه،متخذة السبل الإلهيه،و الأنظمه التى وضعها الله للحياه،حتى تتحول تلك الزهرات الى شراب سائغ.

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا- أى الطرق المعبده التى هياها الله لك،فقد جعل الله للهواء سبلا كما للأرض،و هى الأيسر سلوكا و الأقل مطبات هوائيه،و يتعرف عليها الطيارون بصعوبه،بينما أوحى الله بها إلى النحل و غيره مما يطير بجناحيه.

يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ و العسل يلقيه النحل من فيه،بعد أن يتفاعل فى بطنه،و لذلك عبر ربنا عن ذلك بأنه يخرج من بطون النحل.

فيه شفاءٌ للناسٍ من أمراضٍ مختلفه،و يعطى الجسم حيويه و مناعه عن الأمراض.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ إِنَّ النحل هذا الحيوان المستهان في الدنيا، يأمره الله بأن يحقق هذا الهدف، و علمه وسائل ذلك وكيف يبنى بيته؟ وكيف يتخذ لنفسه يعسوبا، وكيف يتوالد؟ كل هذه السنن الإلهيه تستقطب اهتمامنا، وتجعلنا نعترف خاشعين بأن للكون المهيب إليها يدبر شؤونه سبحانه، ويبدو أن معرفه أسرار النحل بحاجه إلى بحث مثابر، ولذلك عقب الله الآيه بأن النحل آيه للمتفكرين، بينما لا تحتاج آيه الثمرات إلى ذلك الجهد الفكري، بل إلى حفظ التجارب الزراعيه، لذلك بين السياق هناك ان الثمرات آيه لمن يعقلون، و اكتفى في مراقبه الأمطار بالسماع فقال:

«لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» و هكذا تختلف أسرار الحياه فبعضها تفهم بأقل دراسه، بينما بعضها الآخر تفهم بدراسه معمقه، و تبقى بعضها متوسطه.

### دليل التدبير:

[٧٠] و تطورات الحياه البشريه تهدينا إلى تلك الإراده التي توجه حياتنا، لقد خلقنا الله و حين يشاء يسترد أمانته منا فيميتنا، و قد يشاء أن يعمر الفرد طويلا حتى يبلغ سن الدناءه، فإذا به يفقد ما حصل عليه أيام شبابه من علم و خبره.

وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ أَى الْعمر الأكثر هبوطا، كما كان فى أيام الصبا و الطفوله.

لِكِنِّي لَا يَغْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ فَأصل علم الإنسان هبه الهيه، و يزداد بالسمع و الاعتبار و التعقل و التفكير، بينما علم الله واسع دائم.

[٧١] والإنسان حرفى الحياه، و لكن حرته محدوده، مما يهدينا إلى أن يد الغيب تدبر حياته، و أن الحرية المحدوده التى يملكها إنما هى لاختباره و ليست من ذاته، لذلك ترى مواقع الناس فى المجتمع و الدرجات العليا أو الدنيا التى يتفاضلون عبرها، إنها نفوذ إلى أصول تكوينيه صعبه التغيير، أو مستحيله التغيير، فلقد فضل الله بعض الناس على بعض فى الذكاء، أو فى النشاط، أو الصحه، و تهيئه فرص التقدم، فهل يقدر هؤلاء على تحويل صفاتهم إلى أولئك؟ كلا..

□ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ وَ هُوَ النِّعْمَةُ الَّتِي يَهَبُهَا اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ بِسَعْيِهِ، وَ طِيبَ نَفْسِهِ، أَوْ امْتِحَانَهُ وَ ابْتِلَاءَهُ النَّاسَ بِهِ  
مثل: العلم، و العافيه، و الأمن.

فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ فَلَا يَقْدِرُ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُعْطُوا رِزْقَهُمُ الْإِلَهِيَّ لِمَنْ هُمْ  
دونهم، و لمن هم محكومون لهم.

و التعبير القرآنى: ﴿مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يوحى بالزقيه التى كانت شائعه فى أيام نزول القرآن- و يبدو لى- أنه يشمل أيضا كل المراتب الاجتماعيه التى يقتضيها التفاضل بين الناس فى الكفاءات الطبيعيه، ذلك لأن الكفاءه تقتضى -بالطبع- هيمنه صاحبها على من هو دونه فيها، فالعلم و القوه يعلوان الجهل و الضعف، و صاحبهما يملك و لو بنسبه معينه من لا علم و لا قوه له.

و لا أحد ينكر اختلاف الناس فى الكفاءه الطبيعیه، و ان هذه الكفاءه لا تقبل التحول من صاحبها الى من هو دونه، حتى يصبحوا جميعا سواء فيها.

إن نظام الكون قائم على التفاعل بين أجزائه، و قد أمرت سنه الله فى الناس ان يتعاون بعضهم مع بعض مثلما تتفاعل أجزاء الكون، و لكى يتعاونوا احتاج بعضهم إلى البعض الآخر، و اختلفت كفاءاتهم، و لو استغنى الناس عن بعضهم إذا لبقوا كالحیوانات يعيشون أفرادا، و لم يتقدموا و لا خطوه واحده فى طريق الحضاره.

□  
أَفِينَعْمَهُ اللهُ يَجْحَدُونَ إن نعمه التفاضل التى تنتهى إلى التعاون و التقدم نعمه كبيره، لا بد من شكرها عن طريق رضا الناس بها و قبولها كواقع، ثم انطلاق كل واحد من موقعه فى سبل الخير و الفضيله.

### نعمه الأزواج:

[٧٢] و الى جانب نعمه التفاضل الطبيعى، و نعمه الحاجه المتبادله، و بالتالى نعمه التعاون الذى فرض على البشر فرضا، نجد نوعا آخر من الحاجه المتبادله و التى تؤدى إلى التعاون و هى الحاجه الى الزوج.

□  
وَ اللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَ حَفْصَةً فَلَوْ لَا الْحَاجَةُ النَّفْسِيَّةُ وَ الْفَيْسُولُوجِيَّةُ وَ الْاجْتِمَاعِيَّةُ الْقَائِمَةُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَ الزَّوْجَةِ لَمَا تَمَّ هَذَا التَّعَاوُنُ الْعَمِيقُ وَ الْوَاسِعُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ.

إنها نعمه كبيره أسبغها الله علينا، إذ جعل لنا من أنفسنا أزواجا، و كأنهن

فلقه منا، انتزعت من كل ابعاد وجودنا، و كأن كل جزء فى الذكر أنفصل عنه جزء فى الأنثى، و انه يبحث عنه حتى يلتقى الذكر بالأنثى، فلتلقى كل أجزاء وجوديهما الجسديه و النفسيه و العقليه.

و من الأزواج ينسل البنين و البنات، و أزواج البنات و هم الحفده، أو أبناء البنين كما جاء فى تفسير آخر، أو أبناء البنات كما جاء فى حديث كريم، و أصل الكلمه مشتق من لفظه الحفد و هو: الإسراع فى العمل، و منه قيل للأعوان «حفده» لإسراعهم فى الطاعه (١).

و يبدو أن الحفيد هو الفرد الذى يخدم الشخص، سواء كان ابن ابنه أو ابن بنته أو زوج بنته أو ابنها.

و رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ و كلما كثر نسل الفرد زادت نعم الله عليه، بينما يقتضى الحساب البشرى ان يتناقص، أو لا يدل على أن الله هو الرزاق؟ أ فَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ و يزعمون أن رازقهم الأغنياء أو الدوله أو الأصنام.

و بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ أى هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، تراهم يكفرون بنعمته، حيث يتوجهون تلقاء الشركاء من دونه.

ص: ٩٤

[٧٣] أ ترى الغباء و السفاهة؟ كيف يترك البشر خالقه الرزاق، و يتوجه بالعبادة و الطاعة لمن لا يملك رزقا، و لا يقدر على أن يسلبه رزقه؟! وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئًا وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ وَ ربما توحى كلمه الاستطاعة بالقدره التى يكتسبها البشر اكتسابا، بينما الرزق و الملك قد يأتيان بلا تعب، و الأصنام لا تملك و لا تستطيع، أو بتعبير آخر: لا تقدر على شىء من الرزق سعت أو لم تسع فى سبيل القدره.

[٧٤] كيف يشبه البشر ربه بخلقه؟ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ فتقولوا: فلان يرزقنا.

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، وَ الْبَشَرُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، فلا يحق للبشر ان يتخيل ربه أو يتوهمه سبحانه، أو يحدد لفعله كيفا أو مكانا.

اشاره

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَ مِّن رَّزْقِنَا مِنَّا رِزْقًا حَسِينًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مُوَلَّاهُ أَيَّمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦) وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧) وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَ جَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَ مِّنْ أَصْوَابِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَ مَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَ جَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨١) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَ أَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣)

اللغة

٧٦[أبكم]:الذى يولد أخرس لا يفهم و لا يفهم.





هدى من الآيات:

قد يفقد البعض منا قدره الطبيعي، إمّا لقانون اجتماعي أو لنقص طبيعي، فيقعده به العجز عن أي عمل، كالعبد المملوك أو الأبيكم، و يضرب القرآن بهما مثلا على واقع الكافر الذي يفقد قدره الايمان و العدل و الحق.

و الله سبحانه الذي يؤمن به المؤمنون عالم، و قادر، فعنده غيب السماوات و الأرض، و تتجلى قدرته في الساعة، فأمرها مثل خطفه أو أقرب.

و الله مصدر العلم، أو لم يخرجنا الله من بطون الأمهات لا نعلم شيئا؟ ثم وهب لنا السمع و الأبصار و القلوب بهدف الشكر له! و الله مصدر القدره، فهو الذي سخر الطير في جو السماء، لا يستطيع أحد أن يحفظهن الا الله، ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون.

و الله مصدر الرحمه، فقد جعل للناس سكنا في بيوتهم، كما وفر لهم من جلود

الانعام بيوتا خفيفه فى السفر و الحضر، و هيا لهم من أصواف و أوبار و أشعار الانعام متاع البيت. من فراش و دثار و معاش الى حين الانتقال من دار الدنيا الى دار القرار.

و هو الذى وفر للإنسان الظلال و الملابس السلميه و الحريره، لتقيه من عاربه الطبيعه و من بأس بعضهم، و أتم نعمته على البشر لكى يسلم وجهه الى الله، و لكنه يتولى و يعرض، و يكتبى الرسول بإبلاغ الرساله، لأن الأدله واضحه إذ يعرفون نعمه الله و لكنهم ينكرونها، و أكثرهم كافرون بربهم.

## بينات من الآيات:

### ظلم الطاغوت:

[٧٥] عند ما كانت الملكيه المطلقه نظاما سائدا فى المجتمعات قبل انتشار نور القرآن، و كان العبد المملوك لا يقدر على شىء إلا بأذن مولاه. يضرب القرآن بذلك العبد مثلا على واقع ذلك الإنسان الذى يقيد نفسه بإغلال الشرك، فيجعل نفسه عبدا لغيره و قد خلقه الله حرا.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عِبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ و يمكننا ان نضرب ذات المثل من واقع الشعوب التى استعبدها الأقوياء، و لم يتركوا لها شيئا يتصرفون فيه بحريتهم، هل هم سواء و من أنعم الله عليه بالايامن، و حرر نفسه من أغلال الشرك و عبوديه ذوى الثروه و السلطه و التضليل؟! وَ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ كَلَّا.. الذى أعطاه الله الحريره و زوده بحب الخير فهو لا ينفق رياء، و لا يكتم إنفاقه عن الناس خوفا، بل ينطلق فى إنفاقه من إرادته الحره، يستهدف مرضاه الله،

ولا يرجو ولا يخشى أحدا.

□  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هِيَ لِلْإِنْسَانِ كُلِّ فِرْصِ الْخَيْرِ، وَفِرْ لِه الْحَرِيهِ الْكَامِلِه، وَزُودِه بِالْأَحَاسِيْسِ الْخَيْرِه.

□  
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَالْجَهْلُ آفَه الْحَرِيهِ، وَلَأَنَّ الْجَهْلَ يَتَفَشَى فِي الْأُمَمِ الضَّالِّهِ، فَانِه يَسْهَلُ اسْتِعْبَادُهُمْ مِنْ قَبْلِ الطَّغَاةِ.

### ظلام الجبت:

[٧٦] كان ذلك مثلا ضربه القرآن الحكيم من واقع شخص سلبه الطاغوت حرته، وحوّله الى موجود عاجز، و يضرب القرآن مثلا آخر من واقع من يسلبه الجبت حرته، فاذا به كالأبكم الذي ولدته أمه و أذنه صماء لا تسمع شيئا، فلم يتعلم اللغة و لم يتفاعل مع الحضارة، و بقيت تجاربه محدوده بحدود ذاته، كالإنسان الذي ينمو في غابه، هل يستوى هو و من أوتى العدالة و الاستقامه؟ وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَي ثَقِيلٌ عَلَى مَنْ يَلِي أَمْرَهُ وَ يَشْرَفُ عَلَيْهِ..

□  
أَيُّمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ كُلَّمَا بَيْعْتَهُ إِلَى مَكَانٍ لَا يَنْفَعُ شَيْئًا.

ص: ١٠٠

هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ فَهَذَا الَّذِي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ فَصِيحُ اللِّسَانِ قَوِي الْجَنَانِ لَا يَخْضَعُ لِلضُّغُوطِ وَلَا يَخْشَى مِنَ التَّهْدِيدِ.

وَ هُوَ عَلِيٌّ صِدِّيقٌ مُسَيِّمٌ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَحْتَقِقَ أَهْدَافَهُ مِنْ أَقْرَبِ الطَّرِيقِ إِنْ هَذَا مِثْلَانِ لِلْمَشْرُوكِ وَالْمَوْحِدِ، فَبَيْنَمَا الْمَشْرُوكُ مَنغْلَقٌ عَلَى ذَاتِهِ، لَا يَكَادُ يَنْفَتِحُ عَلَى الْعَالَمِ مِنْ حَوْلِهِ، بَلْ يَجْحَدُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَعْبُدُ ذَاتَهُ، وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ وَلَا يَتَفَكَّرُ، وَ لِذَلِكَ فَهُوَ لَيْسَ فَقَطْ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّخْطِيطِ السَّلِيمِ لِنَفْسِهِ، بَلْ إِذَا خَطَّطَ الْآخَرُونَ لَهُ شَيْئًا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِنْجَازِهِ، أَقُولُ: بَيْنَمَا الْمَشْرُوكُ هَكَذَا، تَرَى الْمَوْحِدَ لَيْسَ فَقَطْ عَادِلًا بِنَفْسِهِ، بَلْ وَيَقُودُ الْآخِرِينَ نَحْوَ الْعَدَالَةِ.

وَ هَذَا الْمِثْلَانِ يُمْكِنُ تَطْبِيقُهُمَا عَلَى الْجَاهِلِ وَالْعَالَمِ أَيْضًا، لِأَنَّ السِّيَاقَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْعِلْمِ أَيْضًا.

[٧٧] وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْقُدْرَةِ.

وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ لَعَلَّمَهُ الْمَحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ فَهُوَ يَأْمُرُ بِهَا فِي أَقَلِّ مِنْ رَمْشَةِ الْعَيْنِ فَتَأْتِمُرُ.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

و من أراد العلم و القدره،فعليه أن يؤمن بالله،و يتوكل عليه.

[٧٨]هل العلم من ذواتنا نحن البشر؟إذا لكننا عالمين منذ الميلاد؟ كلاً..حينما أخرجنا الله لم نكن نعلم شيئاً،ثم هياً الرب لنا وسائل العلم الظاهره و الباطنه،فأعطانا السمع و الأبصار، كما أعطانا الأفئده.

وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ السَّمْعَ هُوَ:الأحساس الذى يتقدم ذكره فى القرآن،لأنه الاداء الأولى لنقل تجارب الأجيال الى بعضها عبر اللغه، كما انها تنقل أيضا المفاهيم العامه التى تتجاوز الظواهر الجزئيه،ففائدتها أهم و التعبير عنها يأتى بصيغه مفرد(فلا يقال اسماع)لأن المفاهيم العامه أقرب الى المجردات الكليه،و يلاحظ فيها العموم الذى يتجلى بالأفراد،بينما الجزئيات التى تعرف عن طريق البصر يلاحظ فيها التنوع، فهى أقرب الى الجمع.

وَ الْأَفئِدَة وَ هى القلوب التى تجمع الأفكار و تحلل المعلومات،و لولاها لما كانت الحواس مفيده الا بقدر فائدتها للحيوان أو أقل.

### لعلكم تشكرون:

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ الهدف الأسمى لنعم الله على البشر ليس التكامل الجسدى و المادى،بل المعنوى و الروحى،و التعرف على النعم و على اهميتها،و على الفوائد الكبيره لها،

ص:١٠٢

و الانتفاع بها فيما أمر الله، و فيما خصصت النعم لها، و التعرف من خلالها بالتالى - إلى ينبوع الخير و معدن الرحمه، إلى الرفيق الأعلى.. كل ذلكم أسمى من الاستفاده الجزئيه لهذه النعم حسب الحاجات العاجله، و كل ذلك يجمعه معنى الشكر.

و الآيه هذه لا تعنى أن العقل و بالتالى العلم ينشأ بتكامل طبيعى عند البشر، بل بالعكس تماما، إذا كدت الآيه على ان ربنا جعل لنا الأفئده التى هى مركز العقل، فمن دون هذه النعمه كيف كان يتسنى لنا العلم؟ [٧٩] و أشرف العلم معرفه الله، و لا تتم المعرفه من دون الايمان، إذ تبقى الشهوات و صفه الشرك كالسدود المنيعه التى لا تدع تيار المعرفه ينفذ الى القلب.

ان الجاحد لا يرى فى الطيور التى تسبح فى الفضاء الا ما تسجله اذاه التصوير، بينما المؤمن تنفذ بصيرته الى معرفه الله الذى أمسك الطيور فى جو السماء.

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اى فى الهواء المحيط بالأرض، و لو لا- الهواء لما كانت الطيور قادره على البقاء فى الجو، و لو لا- الجاذبيه المحيطه بالأرض لقتفت الطيور بمجرد صعودهن فى كره أخرى، أو فى الفضاء اللامتناهى.

[٨٠] و هكذا القلب المؤمن الذى أسلم لله يعرف ما وراء نعم الله من عبر و أهداف.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْكُمْ أَوْلَادًا وَيَجْعَلُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ أَجْرًا عَظِيمًا

وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ أَي بِيوت الجلد التي هي خفيفه للسفر و الحضر.

وَ مِنْ أَصْوَابِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَي أصواف الضأن و أوبار الإبل و اشعار المعز.

أثاثاً كالفراس و الدثار التي يتمتع بها الإنسان لأجل مسمى.

وَ مَتَاعاً إِلَى حِينٍ [٨١] تِلْكَ كَانَتْ نِعْمَةَ السَّيِّكِنِ، وَ أَمْتَعَهُ الْإِنْسَانَ الَّتِي تَحْفَظُ الْبَشَرَ مِنْ اخْتِلَافِ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ، وَ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ تَقِي السَّائِرَ فِي الصَّحْرَاءِ حَرَّ الظَّهِيرِ، وَ الْكَهُوفِ تَحْمِي الْإِنْسَانَ مِنْ عَادِيَةِ الْبَرْدِ وَ الْحَرِّ، وَ مِنَ الْوَحُوشِ الضَّارِيَةِ.

وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا كَالْأَشْجَارِ الَّتِي أَنْبَتَهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ لِيَسْتَظِلَّهَا الْإِنْسَانُ.

وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا أَي مَوَاقِعَ تَسْتَرُونَ فِيهَا.

وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْنُكُمْ فَهَنَّاكَ مَلَابِسَ السَّلْمِ تَقِي حَرَّ الْجَوِّ، وَ مَلَابِسَ الْحَرْبِ (كَالدَّرْعِ) تَقِي حَرَّ

السيف.

كَذَلِكَ يُنمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ هكذا يحوط الله برحمته الواسعه الإنسان الضعيف، ليعلم حاجته الى ربه، فيسلم اليه وجهه، ولا يتجبر عليه.

إذا الهدف الأسمى لنعم السكّن و ما يحفظ البشر من شرور الطبيعه هو: دفعه الى التسليم لربه، ليحافظ بذلك على نفسه من غضب الله.

### الهدايه بين الإكراه والاختيار:

[٨٢] و لكن لا- تبلغ قوه الدفع درجه الإ-كراه، فالله يريد ان يهدى الإنسان بما يوفر له من نعم، و لكنه لا- يريد أن يجبره على ذلك، فإذا أعرض عن الرساله فليس على الرسول سوى إبلاغ الرساله اليه.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [٨٣] و ليس النقص فى الآيات، أو فى وسائل المعرفه عند البشر، بل فى اراده الكفر التى عقدوا العزم عليها.

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ

ص: ١٠٥



وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)

هدى من الآيات:

الَّذِينَ يَتُولُونَ و يعرفون نعمه الله و ينكرونها-حسبما ذكرهم الدرس السابق- ينتظرون يوم العذاب الأكبر، حين يبعث الله شهيدا من كل طائفه من الناس ليشهد عليهم، فاذا شهد لهم العقاب دون أن تجرى محاوله لإصلاحهم كما كان فى الدنيا، ثم حين العذاب لا يخفف عنهم شفقه بهم، و لا تعطى لهم مهله لدخولها، و لا تبقى لديهم حيله إلا محاوله يائسه لالقاء مسئوليه انحرافهم على من أطاعوهم و اتبعوهم من دون الله و هم الشركاء يتبرءون-بدورهم-من أمرهم، و سكت الجميع و استسلموا لله، و تبخرت الأفكار التبريريه التى كانوا يفترونها من دون الله.

و لكن الكفار الّذين أضافوا الى كفرهم جريمه إضلال الناس، و قطع الطريق على من أراد مرضاه الله، لهؤلاء المزيد من العذاب بسبب افسادهم فى الأرض و إضلال الآخرين.

[٨٤] كل جيل من البشر، و كل فريق من الناس يعيشون في قريه أو ضاحيه، يشهد عليهم واحد منهم، يكون أفضلهم سلوكا و أقربهم الى الله زلفى، ابتداء من الأنبياء و الأولياء، و مرورا بعباد الله الصالحين و العلماء العدول، و انتهاء بكل من يسبق من حوله فى طريق الله خطوه واحده، فحتى هذا الأخير شهيد على الآخرين بنسبه تلك الخطوه التى سبق الناس بها الى الله.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا و هذا الشهيد هو أمام قومه عند الله، فان اتبعوه ظاهرا قادهم الى الجنة، و ان خالفوه ساقهم الى النار، و شهد عليهم عند رب العالمين.

يقول العلامة الطبرسى: بين سبحانه أنه يبعث فيه (يوم القيامة) من كل أمه شهيدا و هم: الأنبياء و العدول من كل عصر، يشهدون على الناس بأعمالهم.

و قال الصادق عليه السلام :

«لكل زمان و أمه امام تبعث كل امه مع امامها» (١) ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ اى انهم لا يمكنهم ان يعتذروا، و لا يحاول أحد ارضاءهم أو إصلاحهم كما كان الشهداء يفعلون فى الدنيا، فيسعون من أجل إصلاحهم و الاستماع الى حديثهم.

[٨٥] و يوم القيامة يعرض الظالمون الذين غصبوا حقوق الآخرين، و اعتدوا

ص: ١٠٨

على حرمان الله، يعرضون على النار ثم لا يخفف عنهم العذاب ولا تعطى لهم مهلة.

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ أَمَا قَبْلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِالتَّوْبَةِ، وَتَأْخِيرِهِ بِالدَّعَاءِ.

### مسئولية الانحراف:

[٨٦] و يبدأ يومئذ الصراع السِّاخن بين المشركين، و بين من عبدوهم من الطغاه و رموز الفساد السِّياسى و الاجتماعى و الاقتصادى، فيتبرأ كل فريق من الآخر.

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ وَ طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابَ وَ يتركهم، لأنهم كانوا- فى زعمهم - مجبورين، كانوا شعبا اعزلا- لا- حول لهم فى مقاومه الطاغوت، كانوا أبناء قبيله لا قوه لهم فى التمرد على رئيس القبيله، كانوا جميعا رعاى لا علم لهم حتى ينتقدوا علماء السوء و وسائل الاعلام المضلله، إذن ينبغى أن يتحمل القاده العذاب عنهم، و لكن الشركاء و هم طغاه السِّياسه و الاجتماع و الاقتصاد تبرؤوا بدورهم.

فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ أَيْ أَلْقُوا هَذَا الْكَلَامَ.

[٨٧] و خضع الجميع، الشركاء و المشركون بهم، لله رب العالمين.

وَ أَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ فَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ خَاضِعِينَ لِلَّهِ.

وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ فَقَدْ زَالَتْ عَنْهُمْ نَحْوُهُ الْجَاهِلِيَّةُ، وَ تَلَكُ الْأَفْكَارُ الْبَاطِلَةُ الَّتِي زِينُوا بِهَا شُرَكَاهُمْ، زَالَتْ عَنْهُمْ الْأَسْمَاءُ الْبَرِيقَةُ، وَ الْعَنَاوِينَ، وَ الشَّعَارَاتُ، وَ مَا فَلَاسَفُوا بِهِ تَسْلُطَهُمُ الْبَاطِلِ، وَ مَا افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.

### عذاب المضل أشد:

[٨٨] وَ لَكِنْ لَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ الشُّرَكَاءَ مُتَسَاوِينَ فِي الْعَذَابِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، كَلَّا.. الْقَادَةُ الَّذِينَ ظَلَمُوا النَّاسَ أَشَدَّ عَذَابًا، لِأَنَّهُمْ أَفْسَدُوا عُقُولَ النَّاسِ، وَ مَنَعُوهُمْ مِنْ مِمَارَسَةِ حُرِيَّتِهِمْ وَ السَّيْرِ فِي طَرِيقِ اللَّهِ.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ.. كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَ لَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَةَ الْجَاهِ وَ الْمَالِ وَ الْعِلْمِ.

وَ صَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَاتَّخَذُوا هَذِهِ النِّعَمَ وَسِيلًا لِلتَّسَلُّطِ عَلَى النَّاسِ، وَ مَنَعَ النَّاسَ مِنْ مِمَارَسَةِ عِبَادِيَةِ اللَّهِ وَ تَطْبِيقِ مَنَاجِحِهِ.

زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ أَي فَوْقَ جَزَائِهِمُ الطَّبِيعِيِّ مِنَ الْعَذَابِ.

بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ لِأَنَّهُمْ صَدَّوْا النَّاسَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَفْسَدُوا فِطْرَةَ النَّاسِ بِتَضْلِيلِهِمْ وَافْتِرَاءِ الْكُذْبِ عَلَيْهِمْ، كَمَا صَدَّوْا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ عَمَلِيًّا بِالْإِرْهَابِ، فَأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ حَيَاتِهِمْ بِسَلْبِ الْحَرِيَةِ وَالْإِسْتِقْلَالِ عَنْهُمْ، وَالْآيَةُ هَذِهِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّضْلِيلَ نَوْعٌ مِنَ الْإِفْسَادِ.

[٨٩] وَيَبْعَثُ اللَّهُ الرَّسُولَ شَهِيدًا عَلَى النَّاسِ فِي عَصْرِهِ وَالْعَصُورَ مِنْ بَعْدِهِ، بَعْدَ أَنْ زَوَّدَهُ بِكُلِّ مَا يَنْفَعُهُمْ، كِتَابًا.. فِيهِ تَفْصِيلُ مَنَاجِحِ الْحَيَاةِ، وَيَهْتَدِي بِهِ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ، كَمَا يُوفِّرُ لَهُ أَفْضَلَ حَيَاةٍ، وَيُبَشِّرُ بِحَيَاةٍ أَفْضَلَ فِي الْآخِرَةِ.

وَيَوْمَ نَبَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيْنَا هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ

اشاره

إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَ أَوْفُوا  
 بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعِيدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا  
 كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ قُوَّةَ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ  
 لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَشِئَنَّ  
 لَكُمْ كُنُتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوا آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعِيدٌ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَكُمْ  
 عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ  
 بَاقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً  
 وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)





هدى من الآيات:

لقد بينت الدروس السابقة فضيله العلم و قيمه التقوى و حاجه الإنسان إلى المدینه بنائها و أمتعتها و إلى نظام اجتماعى توحيدى بعيد عن الشرك، و إلى قياده سماويه تتجسد فى الرسول، و ها هو هذا الدرس يأمرنا بالعلاقات الإسلاميه المثلى بين أبناء آدم، بأن يعطى كل فرد حقه، و أن يزداد له بالإحسان، و أن يبنى الحياه الأسريه على أساس العطاء، و ان يتقى الفحشاء و المنكر و الاعتداء، تلك هى موعظه الله الهادفه لتوجيه الإنسان.

و أن يحترم الجميع عهودهم و أيمانهم التى أشهدوا عليها الله، و ألا ينكثوا أيمانهم التى أكدوها بينهم، كتلك المرأه الخرقاء التى كانت تنقض آخر النهار ما غزلته أوله، فلا- تجعلوا اليمين و سيله للغدر للحصول على نصيب أوفر من الدنيا. و لا- لكى يتعالى بعضكم على بعض، ان الله يختبركم باختلافاتكم الطبيعیه، و غدا يبين لكم من كان منكم على حق و من لم يكن، و لو شاء الله لبيّن ذلك هنا، فنصر صاحب

الحق بالغيب الظاهر، و لكنه شاء أن يدعكم أحرارا ليسألكم عن أعمالكم، و لكي يُضِلَّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ حسب حكمته.  
فلا تجعلوا الدين وسيلة للغايات الماديه، فتحلفوا كذبا و غدرا فتزل بالكفر قدم كانت ثابتة بالإيمان، و يصيبكم سوء الجزاء بسبب انهيار الثقة بينكم. و صدكم عن سبيل الله المتجسد في العهد، كما يسجل لكم عذاب عظيم.  
و عهد الله الذي تخونونه أعظم شأنا من المصلحه الماديه التي تبيعونه لها، فإن ما عند الله لمن ثبت على عهده خير من مصلحه الدنيا التي تفنى و يبقى ما عند الله فقط، و الله يجزي الصابرين بخير ما عملوا.  
ذلك الخير هو توفير حياه طيبه لهم، في الدنيا و جزاء حسن في الآخره.

### بينات من الآيات:

### العدل سنه اجتماعيه و واجب الهى:

[٩٠] على كل واحد من أبناء المجتمع الاسلامى ان يكون عادلا، يعطى كل شخص حقه الفطرى و القانونى، و ليس الحفاظ على العدل مسئوليته الدوله فقط، لأن المجتمع الذى لا يشعر أبنائه بضروره تطبيق القانون و احترام حقوق الآخرين، لا يمكن للدوله فيه أنى كانت أن تجبره على ذلك.

□  
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْعَدْلُ لَا يَتَنَافَى مَعَ اخْتِلَافِ الدَّرَجَاتِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا آيَاتُهُ، إِذْ قَدْ تَكُونُ الْمَسَاوَاهُ أَقْبَحَ ظَلَمٍ، فَلَيْسَ سِوَاهُ الْجَاهِلِ وَ الْعَالِمِ، الْكَسُولِ وَ النَشِيطِ، الْمَضْحَى بِنَفْسِهِ وَ الْجَبَانَ.. وَو.إلخ.

و بالرغم من حاجه المجتمع إلى قانون يحدد أبعاد العدالة، و حقوق الطبقات المختلفه، حسب مساعيهم و حاجاتهم و حاجه الناس إليهم، و مما يجعل للعداله معان مختلفه حسب القوانين و الأعراف.

إلا ان العدالة واقع فطرى لا يختلف البشر فى خطوطه العريضه، و ان اختلفوا فى التفاصيل.

و لكن قد يتعاسر الناس فى تطبيق العدالة، فنحتاج إلى القضاء الذى لا يرضى عنه كل الخصماء، كما لا يطمئن الإنسان إلى نتائجه مائه بالمائه.

### الإحسان ضروره العدل:

و لذلك يأمر القرآن بالإحسان، الذى هو التنازل عن بعض الحقوق للآخرين، و الذى يسع رحابه العدالة و يزيد.. فيقول:

وَ الْإِحْسَانِ وَ يُؤَكِّدُ الْإِسْلَامَ عَلَى الْإِحْسَانِ لِدَوَى الْقُرْبَى لِيَشْكَلَ الْخَلِيَةَ الْأُولَى فِي الْكِيَانِ الْاجْتِمَاعِي.

وَ إِبْتِءِ ذِي الْقُرْبَى وَ جَاءَ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ الْإِسْلَامِيَةِ أَنْ تَفْسِيرُ ذِي الْقُرْبَى هُوَ: «أَهْلُ بَيْتِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ السَّلَامِ» وَ أَنَّ الْإِبْتِءَ هُوَ الْخَمْسُ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ (٤١) مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، وَ قَدْ نَسْتَوْحَى ذَلِكَ مِنْ سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ شَهَادَةِ الرَّسُولِ عَلَى الْأُمَّةِ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ.

وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ

الفحشاء كما قال في المفردات: ما عظم قبحه من الأفعال، ويبدو من أصل اللفظه أن الفحشاء هي تجاوز الحد، والذي يتناسب مع الإسراف و التبذير، و من المعلوم: أن الإسراف أصل كل خطيئه و رأس كل رذيله.

اما المنكر فهو الذنوب التي ينكرها الناس.

و يبدو ان معناه هو كل فحشاء قبيحه عند الناس، و هي أشد من سائر أنواع الفحشاء، بينما البغى هو تجاوز حقوق الناس بصوره عليه، أو عن طريق الغش و الخداع و..و..

يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أنها حقائق فطر قلب البشر عليها و هو بحاجة إلى من يذكره و يعظه بها.

### الوفاء لا النقض:

[٩١] المجتمع الذي يمتلك أساسا لعلاقاته، و ركيزه يعود إليها عند الضروره، يستطيع ان يتبادل بسهولة، و المجتمع الاسلامى قائم على أساس الالتزام بالعهد و اليمين، اللذين يؤكدان باسم الله.

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا فَلَأَنْ أَبْنَاءَ الْمَجْتَمَعِ يَتَمَسَّكُونَ بِقِيَمِهِ التوحيد، و لأنهم لا يضحون بأيمانهم ابتغاء عرض الحياه الدنيا، فإنهم يعتمدون على بعضهم فى أمورهم الاقتصاديه، و حتى فى شؤونهم السياسيه.

إن الثقة المتبادله هي أعظم رصيد يملكه المجتمع المسلم فى معاملته مع بعضه،

ذلك لأن شرف التوحيد يأبى لهم ان يغدروا ببعضهم و هم يؤمنون برعايه الله عليهم.

□  
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ [٩٢] تروى قصص العرب أن امرأه قرشيه خرقاء كانت تغزل هي و جواريتها عرض النهار، فاذا أمسى نقضت الغزل، و تركته كحالته السابقيه أنكاثا، لا فتل فيه و لا إبرام، فنهى القرآن الحكيم أن نكون مثلها، نتعب أنفسنا في أمر الدين حتى إذا أحكمناه عدنا ننقضه بنكث العهد و نقض القسم.

□  
وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَوْ كَالَّذِينَ نَقَضَتْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ. ثم نقضت من بعد قوه.

□  
أنكاثاً جاء في (المجمع): و كل شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث، حبلا كان أو غزلا.

□  
تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَي تَسْتَعْمِدُونَ اليمين و سيله للغدر، و الدخل - في الأصل - كلما دخل الشيء، و ليس منه، و يكن به عن الخدعه و الخيانه.

□  
أَنْ تَكُونَ أُمَّةً هِيَ أَرْبِي مِنْ أُمَّةٍ أَي يهدف ان تكون أمة أعلى من أمة اخرى و تتسلط على أختها و تحافظ على سيطرتها بالخداع.

و ما الحلف و العهد، و ما نوازع السلطه و الاستعلاء إلا ابتلاء الهى .

إِنَّمَا يَبْتَلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ و لن يصبح الحق باطلا بتضليل الناس، و لن يصبح السىء صالحا بتبريره للنفس أو للآخرين، إذ ان هناك يوما يكشف الله فيه الحق لكل الناس.

وَ لِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [٩٣] و لكن لماذا لم يبين الله فى الدنيا واقع الخداعين، المتسلطين على رقاب الناس؟ ان لهذا حكمتين:

الاولى: ليمنح نعمه الهدايه للبعض، و يسلب نور العقل من آخرين حسب اختيارهم هم، لا حسب علمه سبحانه.

الثانيه: ليجازى صاحب الخير، و فاعل الشر بالعمل الذى ما رسوه بكل اختيار و حريه.

وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ لَتَسْتَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

### آثار اليمين الكاذبه:

[٩٤] و عاد السياق ينهى عن الخداع فى اليمين، و يحذر من آثاره الفكرية و الاجتماعيه.

أ/ فمن الناحيه الفكرية: حنث اليمين و نكث العهد يسبب ضلاله صاحبه، فاذا بتلك القدم الثابته بسبب الإيمان تزل بالحنث و النكث، و ماذا ينفع الثبات فى

أوضاع عاديه، إنما الثبات عند ما تهب عواصف المصالح.

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعِيدَ ثُبُوتِهَا ب/و من الناحية الاجتماعية: لا يمكن ان يستخدم الفرد يمينه (و بالتالى شرفه و حسن سمعته عند الناس) إلا مره واحده، و بعدها يكشفه الناس، بل و تشيع عند الناس فكره خبيثه هي: أن أهل هذا البلد لا يحترمون اليمين، فلا- يحترم بعضهم يمين البعض، و إذا سقطت قيمه اليمين الاجتماعيه أغلق باب واسع للثقه و للتعاون، و بالتالى أنهار البناء الاجتماعى، و يذوق الجميع فاجعه تهاونهم باليمين، و صدهم عن سبيل الثقه بها.

وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ و سبيل الله هو كل خير، و كل تقدم و عمران و رفاه للناس، و منع الناس عن سبيل الله. و صدهم عنه قد يكون بإغلاق طرق التعاون و اليمين من أفضلها، إذ لا شىء من القوانين و الوثائق و الضمانات و الرهون بسهولة اليمين و لا بقوته فى إشاعه الثقه و التعاون.

وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [٩٥] و كما اليمين العهد الذى يشتري به البعض ثمنًا قليلا و إن كانت قيمه الثمن الذى يقبضه الفرد بيع شرفه و عهده و ايمانه فانها ستكون قليلة، لأنها تسقط هيبه العهد فيسد باب كبير للرحمه.

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

فمن يبدل رحمه الله ببضع دراهم يكسبها من نكث العهد أو بسلطه زائله أو ما أشبهه!؟

## خلود الجزاء:

[٩٦] علما بأن ما عند الله من خير يبقى ببقاء الله سبحانه، بينما حطام الدنيا يزول بزوال العوامل التي أنشأته.

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ إِنَّ الْحَقَّ الَّذِي يَضْمَنُ اللَّهَ ثَبَاتَهُ، أبقَى من الباطل الذى يضمه غرور الإنسان، و خداع الشيطان، لقد خلق الله السموات و الأرض بالحق، فلذلك تخدم حركة الكون سلطه الحق، بينما الباطل يجرى فى عكس حركة الطبيعه و التاريخ.

فطره الإنسان حق، لأن القوانين النفسيه و الجسميه و الاجتماعيه السائده على أبعاد حياه البشر لا تتغير منذ خلق الله آدم و إلى الأبد، فإذا كانت فطره الإنسان قائمه على أساس الوفاء بالعهد، فإن المجتمع القائم على أساس شرف العهد يكون أبقى، و خير الله أكثر مما يحصل عليه بعض الأفراد بسبب الغدر و المكر.

إلا أن الحق بحاجة إلى الزمن حتى يظهر، و لذلك فإننا بحاجة إلى الصبر حتى يخدمنا الزمن.

وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَان طيبات العمل تنمو فى عمق الزمن، بينما يذهب العمل السيئ كما يذهب غطاء السيل برغم ظهوره و بروزه،

و قال الحديث: «للباطل صوله و للحق دوله».



[٩٧] الحق فى واقع الشىءى صلاح، فمن اتبع الحق فان عمله صالح، ينمو مع نمو الطبيعه، و يزرع بذلك بذور الحياه الطيبه لنفسه فى ارض الزمن المباركه، ليحصد جزاء حسنا فى الدنيا و اجرا كريما فى الآخره.

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَ هَكَذَا يَغْفِرَ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا سِيئَاتِ عَمَلِهِ، و يحفظ له صالحات عمله ليجزيه بها خيرا.

و جاء فى حديث مأثور أن «الحياه الطيبه هى القنوع» و لا- ريب أنه كنز من كنوز الله التى لا- تنفذ، و تطيب الحياه كلما طابت النفس البشريه فى مواقفها منها، فإن الرضا أطيّب من كل الطيبات.

و كلمه اخيره: إنّ العهد ليس فقط أساس التعامل المالى فى المجتمع، بل قبل ذلك أساس التعاون السياسى، و إذا انعدم شرف العهد فى أمه، فسوف يبدأ بالتشردم السياسى، و قديما قيل: «لا وفاء لملك و أن الملك عقيم».

و لذلك أكد القرآن الحكيم فى هذا الدرس على حرمه نقض العهد من أجل سلطه قوم على آخر، و أن تكون أمه هى أربى من أمه.

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (١٠٥)

كان الدرس السابق بعض تعاليم القرآن الاجتماعيه الرشيدته التي لا ينكرها الا الجاحدون، و هي تدل على ان الكتاب من الله، بيد أن الكتاب لا يفهمه إلا من تخلص من سلطان الشيطان، و لا يتخلص منه إلا المتوكلون الذين يستعينون بالله من شره، اما الذين يقولونه و يجعلونه شريكا في أمورهم بطاعته، فإن الشيطان يتسلط عليهم و لا يدعهم يبصرون نور القرآن.

و قد ينسخ الله آيه بآيه لعلمه بالمصالح العامه التي تتغير وفق الظروف، فأنثذ يجد المشركون فرصتهم في اتهام الرسول بأنه مفتر، لجهل أكثرهم بحكم الآيات. كلا..

إنّ القرآن كتاب الله الذي أنزله روح القدس بالحق من الله، ليكون تثبيتا لإيمان المؤمنين، و هدى لهم، و بشرى إلى حياه أفضل.

و يقولون: إنّ الرسول يتعلم من بعض النصارى المبادرين بالإسلام، دون ان يعرفوا الفرق بين لسان النبي و لسانهم، فبينما ذلك اللسان أعجمى نرى القرآن

يحدثنا بلسان عربى ميبين، و ليس الجدل فى القرآن إلا بسبب جحودهم به، و لا يهدى الله قلبا جاحدا، بل يذيقه عذابا أليما.

و كيف يفترى الكذب شخص مخلص لربه، محسن إلى الناس كمحمد صلى الله عليه و آله و الذى يعرف أن الكذب أبعد خصله عن المؤمن، و لا يفترى الكذب الا الذين لا يؤمنون بآيات الله، و أولئك هم الكاذبون حقا؟!!

### بينات من الآيات:

### توكل على الله:

[٩٨] القلب البشرى يلفه الظلام الآتى من طبيعه الضعف و الجهل فيه، و من تأثير جاذبيه الطبيعه، و بالرغم من أن هذه النفس قد أوتيت قبسا من نور الحقيقه هو الذى نسميه بالعقل و الاراده، إلا أن على الإنسان أن يتحدى الظلام المحيط بنفسه عن طريق إثارة عقله، و يتحدى ضعفه و يأسه و خوفه بالتوكل على الله.

ان أقوى الحجب التى تمنع النور عن قلب البشر هو: الخوف من الحقيقه، و الجبن عن مواجهه القوى الفاسده و الباطله التى ترفض الحقيقه.

الاستعاذه بالله، و الطلب المباشر منه لكى يحفظ الإنسان من خطر القوى التى ترفض الحق، إنه العلاج المباشر لمشكله الخوف من الحقيقه، و لمقاومه سلطان الشيطان على القلب.

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ لكى نبلغ قمه الحقيقه المتمثله بالقرآن لا بد أن نتجاوز جاذبيه الأرض، و القوه التى بها نقاوم هذه الجاذبيه المتجسده فى الشهوات هى قوه التوكل على الله،

و الاستعاذه نوع من التوكل، و تفترق عنه فى أن الاستعاذه طلب ملح من الله بإنقاذ الإنسان من شر محقق، و أى شر أخطر من شر العقيدة الباطله، أو من شر الجهل بالحقيقه الذى تخلقه وساوس الشيطان فى القلب؟! و فى طول فتره تلاوه القرآن لا بد أن يستعين البشر بربه.

### التوكل حصن المؤمن:

[٩٩] الشيطان ينفذ الى قلب الشخص، و يتجسد فى شكل القوى السياسيه و الاجتماعيه المحيطه به، و لكن المؤمن الذى يتوكل على الله يحفظه الله من هذا الشيطان الذى يجرى فيه مجرى الدم.

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ بينما الذى لا- يؤمن بالله يتسلط عليه الشيطان، فيضله عن الحقيقه لضعف إرادته.

[١٠٠] الذى يتخذ الشيطان وليا و قائدا مطاعا، فيشرك بالله و يتخذ من الشيطان شريكا مزعوما لله، و يعبد الله حينا و يعبد و يطيع الشيطان حينا آخر، إنه يقع فريسه الشيطان الذى لا يستطيع ان يتخلص من شره إلا بالاستعاذه بالله.

إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ يبدو أن هناك فريقين يتسلط عليهما الشيطان، إنسيا كان شيطانهما أو جنيا، ظاهرا كالطغاه و المستكبرين، أو باطنا كالعقائد الفاسده و العقد النفسيه.

الفريق الأول:الذين يتخذون الشيطان وليا، و يخلصون الانتماء اليه كمثل

أئمه الكفر، والمأ من حول الفراعنه، و البطانه من حول الطغاه.

الفريق الثانى:الذين يطعون الشيطان خوفا و طمعا و سواء هذا الفريق أو ذاك فإنهم جميعا يصبحون عبيد الشيطان، و يفقدون حريتهم و استقلالهم و ثروتهم التى يصادرها الشيطان.

القوى الاستكباريه فى الأرض المتمثله اليوم فى «امريكا» و«روسيا» و اقمارها المفسدين، لم يفوضوا بالسيطره على الشعوب المستضعفه من قبل الله الحكيم سبحانه، إنما نحن الذين خضعنا لإيديولوجيتهم فأخضعونا لمصالحهم، أو خضعنا للثروه و القوه رهبا و رغبا، فامتلكوا دوننا ناصيه الثروه و القوه، و استعبدونا صاغرين.

و الآن كيف نتخلص؟ لا بد أولا من التحرر عن إيديولوجيه الاستعمار، و عن التبعية المطلقه للمال و الرجال، ثم العوده إلى الله، و الاستعاذه به من شر الشيطان، ذلك لأن الطبيعه ترفض الفراغ، و القلب البشرى ينقاد إما لسلطه الله أو لتسلط الطاغوت، فإذا رفضنا ولايه الله استعبدنا الشيطان، و لا- حياذ بين الحق و الباطل، كما لا- مسافه بين الكفر بالله و رفض حاكميته على الإنسان، و بين الإيمان بالطاغوت و الخضوع لتسلطه و استغلاله.

و السِّيَاق القرآنى يشير إلى هذه المعادله، إذ يأمرنا ربنا بالاستعاذه بالله و التوكل عليه، ثم يبيّن أن الشيطان عاجز عن التسلط على المتوكلين بالله.

و نتساءل معا:هل تعنى الاستعاذه مجرد التوجه القلبى الى الله؟ أم ان تطبيق مناهج السِّماء فى الوحده و الصبر، و الاستقامه و السعى، و القياده الرشيده، كل أولئك بعض معانى الاستعاذه بالله، و بالتالى طرق مقاومه العبوديه للشيطان الانسى

## شيطان الفكر:

[١٠١] الشيطان الثقافى أخطر على الإنسان من زملائه شياطين الثروه و الإرهاب و الزينه؟ ذلك لان قدره الإنسان على التمييز بين الحق و الباطل ليست عاليه، و ذلك لسبب بسيط أن القلب البشرى يتعرض لعواصف الشهوات، فيخبو ضوء العقل، و لو لا تدخل قوه غيبية هى قوه الإيمان و التوكل، فإن رياح الشهوه تكاد تطفئ مشعل العقل.

من هنا كانت الشبهات خطيره، و من هنا أيضا لم يتخلص حتى المؤمنون من وساوس الشيطان، فغفر الله لهذه الأمه المرحومه ما يوسوس به الشيطان إذا لم يعتقد به المؤمن.

و من الشبهات ما أثاره الشياطين حول تبدل الأحكام الشرعيه وفق متغيرات الظروف فقالوا: إذا كان الرسول صادقا إذا لم يأت كل يوم بقانون جديد و مخالف للقانون السابق؟ بل قالوا: إذا كانت رسالات السّماء صادقه إذا ما اختلفت شرائعها؟! و لكن الله اعلم بما ينزل، و هم جاهلون و لا يعلمون أن الحياه تتغير، و كل قانون يناسب وضعنا، فإذا نزل فيه كان حكيما، و إذا تخطاه كان سفها.

وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَهُوَ عَالِمٌ بِحُكْمِ النِّسْخِ وَ التَّغْيِيرِ.

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَإِذَا تَرَسَخْتَ هَذِهِ الشَّبَهَةَ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ مِنَ السَّهْلِ إِزَالَتِهَا، لِذَلِكَ كَانَ عَلَيْنَا الْاسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ أَبَدًا حِينَ قَرَأَهُ الْقُرْآنَ، بَلْ حِينَ دَرَسَهُ أَيَّ قَضِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ حَتَّى لَا يَخْتَلِطَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فِي أَذْهَانِنَا.

[١٠٢] إن الذين يكذبون و يبدلون آراءهم كل يوم، بل بين ساعه و أخرى انما يتبعون أهواءهم، بينما الكتاب نزله الله بسبب روح القدس المعصومه عن الزلل، و المقدسه عن الأهواء، و حكمه هذه الروح التي ترافق الرسول أن تثبت المؤمنين و تعصمهم من غوايه الشيطان و من شبهاته.

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَاَلْحَقَّ الْمَثَلُ فِي سَنَنِ اللَّهِ، فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ، هُوَ بَاطِنُ آيَاتِ اللَّهِ، كُلُّ آيَةٍ مَظْهَرٌ لِسَنَنِهِ إِلَهِيَّةٍ رَاسِخَةٍ فِي ضَمِيرِ الْخَلْقِ. وَ السَّنَنُ لَيْسَتْ وَاحِدَةً وَ كَذَلِكَ الْآيَاتُ.

و الاختلاف بين الخلق موجود، و دليل على وحده خالقهم، كذلك الاختلاف في آيات الله الكاشفه لتلك السنن موجود، و كاشف عن علم الله سبحانه.

لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا فَاَلَّذِينَ آمَنُوا يَعْتَصِمُونَ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَ يَظْلَهُمْ رُوحُ الْقُدُسِ بِقَبْسٍ مِنْ نُورِهِ.

وَ هُدًى وَ بُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، هَدَاهُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ وَ بَشَرَهُ بِحَيَاةٍ طَيِّبَةٍ، وَ إِذَا تَكَامَلَ فَانَهُ سَوْفَ يَصِيحُ مُؤْمِنًا، وَ الْمُؤْمِنُ يَمْلِكُ قُوَّةَ إِلَهِيَّةٍ تَحْفَظُهُ مِنَ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، وَ مِنْ شَبَهَاتِهِ وَ هَذَا يُسَمَّى بِالْعَدَالَةِ، وَ يَقُولُونَ خَطَأً أَنَّهَا مَلَكَهَ فِي النَّفْسِ؟



[١٠٣] وشبهه اخرى يطرحها الشيطان.

وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ يَلْحَدُونَ: أى يميلون. فقد قالوا: أن رجلا اسمه (ابو فكيهه مولى بنى الخضرى) كان اعجمى اللسان، و كان قد اتبع نبي الله و آمن به، و كان من أهل الكتاب، قالوا أنه يعلم الرسول!! و بعض التفاسير تقول: إنه غير هذا الرجل، و لكنه على أى فرض كان أعجمى اللسان، و القرآن نزل بلغه عربيه واضحه.

و هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ

### الرد على الشبهه:

إن الترجمة تحمل طابعها مهما كانت بلاغه المترجم، لان كل لغة تعبر عن ثقافه خاصه صيغت تلك اللغة على مقاسها، و اللغة العربيه لم تكن قادره على التعبير بدقه عن الأفكار المدخيله، و لم تكن واضحه بذلك الوضوح المتناهى فى البلاغه و النفاذ الى القلب، لو لا- أن ملاقيها قد تعمق فى فهم المحتوى، و اهتمدى إلى الموضوع الذى يعبر عنه، و واضح أن التعبير المفصل لا يكون من دون فهم عميق للفكره، فكيف يعبر الرسول عن كل تلك الأفكار المفصله و الدقيقه إذا كان مجرد مترجم؟! [١٠٤] ثم ان القلب الذى لا يؤمن بالله لا يقدر أن يعبر عن الله، و أن ينطق باسم الله بهذا الوضوح و الصراحه و القدره، ذلك لأن.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [١٠٥] وَالْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ لَا يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ، خُصُوصًا وَ رَسُولَ اللَّهِ أَكَّدَ بوضوح مدى جريمه الافتراء على الله، فكيف يرتكب بنفسه لو كان مؤمنا هذه الجريمه؟! إِنََّّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَ شَخْصَ رَسُولِ اللَّهِ هُوَ أَظْهَرَ مَصَادِيقَهُ بِلا ريب، فَإِنَّهُ يَخْشَى مِنَ الْكُذْبِ، بَلْ إِنَّهُ قَوِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْكُذْبِ، وَ عَالِمٌ لَا يَتَوَرَّطُ فِي الْكُذْبِ.

و لذلك

جاء في الحديث النبوي: عن عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه و آله قال:

«هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك! قال: هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك! قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: لا!» (ثم اتبعها نبي الله صلى الله عليه و آله « إِنََّّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . »

ص: ١٣١

اشاره

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ إِسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَزْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَ تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمَهُ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ (١١٣)

اللغة

١٠٩ [لا جرم]: حقا- لا محاله.

ص: ١٣٢

١١٢ [رغدا]: طيبا واسعا.

ص: ١٣٣

هدى من الآيات:

فى الدروس السابقه حذرنا الرب الكرىم من الكفر بعد الإيمان، و الزلل بعد الثبات و ذلك بمناسبه الحديث عن النكث و الحنث. و ها هو الدرس يفصل القول فى الكفر بعد الإيمان بصفه عامه، فيحذر من غضب الله الذى يحل بمن يرتد عن دينه -قولا أو عملا- إلا الذى أكره على الكفر بطريق لسانه، بينما لا يزال قلبه مطمئنا، و إنما المرتد من استقبل الكفر بصدر رحب و ذلك له عذاب عظيم، لأنه فضل الحياه الدنيا على الآخرة، فسلب الله منهم نور الهدى، و يطبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و هم غافلون عن أوضح الحقائق من حولهم، و بالتأكيد سوف يخسرون أنفسهم فى الآخرة.

بينما الثابتون على الهدى برغم ما يتعرضون له من مكروه، و يهاجرون الى الديار الآمنه من بعد الابتلاء، فإن الله بالنسبه إليهم غفور رحيم، يشملهم برحمته فى يوم تأتي كل نفس تدافع عن ذاتها، فلا تعطى إلا جزاء عملها الأوفى، دون أن

نظلم من عملها شيئاً.

و أما من يكفر بعد إيمانه فإن الله يضرب له مثلاً من واقع قريه كانت آمنه مطمئنه يأتها رزقها واسعا طيبا، من كل مكان، ولكنها كفرت بأنعم الله فشملهم الجوع و الخوف بسبب أفعالهم، و كلما حاول رسولهم أن يهديهم لم يسمعوا له، بل كذبوه و كانوا ظالمين لأنفسهم فى ذلك.

### بينات من الآيات:

### الإيمان مسؤليه:

[١٠٦] ما هو الإيمان؟ هل أنه مجرد العمل؟ أم مجرد كلام؟ كلا.. انهما مظهران للإيمان، و لكن الإيمان شىء آخر. أنه موقف الشخص من الحياه الدنيا، و مدى اطمئنانه بها، و استحبابه لها بالقياس الى الآخرة، فالذى يريد الدنيا بقلبه و يفضلها على الآخرة فإن الله لا يهديه سبيلا.

و إذا كان الإيمان موقفا قلبيا فما هو دور القول؟! أو ليس مواقف البشر تتحدد بأقوالهم؟! بلى.. و لكن قد يتلفظ الإنسان بلسانه ما ليس فى قلبه، كما المنافق الذى يدعى بلسانه أنه مؤمن و الواقع انه كاذب، و كذلك الذى أكره على الكفر بلسانه، بينما بقى قلبه مطمئنا بالإيمان ثابتا عليه.

هكذا كان «عمار بن ياسر» الذى تعرض لتعذيب وحشى من قبل كفار قريش، فأعطاهم بلسانه ما أسرهم، حيث مدح آلهم و نال من رسول الله صلى الله عليه و آله لإنقاذ نفسه، فنزلت فيه الآية الكريمة تقرر ثقاته منهم، و أمره الرسول أن يعود لمثل

ص: ١٣٥

ذلك إذا عادوا عليه..

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ وَ هَلْ يَكْفُرُ أَحَدٌ بَعْدَ أَنْ آمَنَ؟ أَوْ لَيْسَ الْإِيمَانُ مَعْرِفَهُ وَ عِلْمًا؟ وَ كَيْفَ يَتَحَوَّلُ الْفَرْدُ بَيْنَ لِحْظِهِ وَ أُخْرَى مِنْ عَارِفٍ إِلَى جَاهِلٍ!!؟ بلى..الإيمان علم،و لكن العلم وحده لا يكفى،بل للإيمان عنصر آخر هو:

اليقين،و عقد القلب و الثبات،و مواجهه الضغوط،الإيمان موقف و انتماء و سعى و فداء..

جاء فى حديث شريف:عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: فأما ما فرض على القلب من الإيمان.الإقرار و المعرفة و العقد و الرضا و التسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،إلها واحدا،لم يتخذ صاحبه و لا ولدا،و أن محمدا عبده و رسوله،و الإقرار بما جاء به من عند الله من نبي أو كتاب،فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار و المعرفة و هو عمله،و هو قول الله عز و جل: إِلَّا مَنْ أْكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا . (١)

و من الناس من يتنازل عن موقفه و انتمائه فور ما يتعرض لضغط،فيكفر بعد الإيمان،و منهم من يصمد،و منهم من يخلص نفسه باستخدام التقاه،فيكتم إيمانه كما فعل عمار الذى قال ربنا عنه و عن أمثاله..

إِلَّا مَنْ أْكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ

و الحديث المأثور فى قصه عمار يقول: لما أراد رسول الله أن يهاجر الى المدينة قال لأصحابه: تفرقوا عني،فمن كانت به قوه فليتأخر الى آخر الليل،و من لم تكن به

ص: ١٣٦

قوه فليذهب في أول الليل، فإذا سمعتم بي قد استقرت بي الأرض فالحقوا بي.

فأصبح بلال المؤذن، و خباب، و عمار، و جاريه من قريش كانت أسلمت (و هي سميها أم عمار حسبما جاء في حديث، و أضيف أيضا اسم ياسر والد عمار) فأصبحوا بمكة، فأخذهم المشركون و أبو جهل، فعرضوا على بلال أن يكفر فأبى، فأخذوا يضعون درعا من حديد في الشمس ثم يلبسونها إياه، فإذا ألبسوها إياه قال:

أحد.. أحد.. و أما خباب فأخذوا يجرونه في الشوك.

و أما عمار فقال لهم كلمه أعجبتم تقيه، و أما الجاريه فوتد لها أبو جهل أوتاد ثم مدها، فادخل الحربه في قلبها حتى قتلها، (1) ثم خلوا عن بلال و خباب و عمار..

فلحقوا رسول الله صلى الله عليه و آله فأخبروه بالذى كان من أمرهم، و اشتد على عمار الذى كان تكلم به، فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله كيف كان قلبك حين قلت الذى قلت؟ أ كان منسرحا بالذى قلت أم لا؟ قال: لا.. فأنزل الله: **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** .

هكذا صمد عمار فلم يستجب لضغوط قريش، بل تحداهم بالتقيه و ظل على موقفه الثابت.

و آخرون ينهارون فيتقبلون الكفر برحابه صدر، فيتعرضون لغضب الله سبحانه..

**وَ لَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**

ص: ١٣٧

١- ١) و هكذا قتل زوج هذه الجاريه الشهيده ياسر و هما أبوا عمار بن ياسر الذين كانا أول شهيدين في سبيل الله في الإسلام..



ذلك لأنهم أرادوا إرضاء الطغاه فغضب الله عليهم، و أرادوا الحصول على نعم الدنيا فلحقهم عذاب عظيم في الآخرة، و لفظه «فعلهم» خير لفظه من كفر بالله.

### جذر المشكله:

[١٠٧] و جذر المشكله يتصل بموقفهم من الدنيا التي فضلوا على الحياه الآخره..

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ أَي بَلَغَ حُبُّهُمْ لِلدُّنْيَا مَسْتَوَى فَضْلُهَا عَلَى الْآخِرَةِ..

وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ فَمَنْ اسْتَحَبَّ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، يَغْضَبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِسَلْبِ نُورِ الْعَقْلِ عَنْهُ، فَيَتْرَكُهُ فِي ظُلُمَاتٍ جَهْلِهِ الذَّاتِي، لِأَنَّهُ قَدْ اخْتَارَ مِنْذُ الْبَدْءِ الْكُفْرَ.

و هذه الآيه توحى بان المعرفة و اليقين و الهدى، كل ذلك يأتي بعد الإختيار السليم، و تفضيل الآخره على الحياه الدنيا.

### الارتداد انحطاط:

[١٠٨] الذي يرتد عن الإيمان لا يهبط فقط الى مستوى الشخص العادى الذى لَمَّا يُؤْمِنُ، بل يهبط أكثر منه بكثير، إذ يسلب منه الله «جل جلاله» فرصه الهدايه الى الأبد بسبب موقفه الجحودى..

ص: ١٣٨

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ بَلْ يَصْبِحُ هَؤُلَاءِ كَمَنْ لَا شَعُورَ لَهُ غَافِلِينَ عَنِ أَسْوَطِ الْحَقَائِقِ وَ أَوْضَحِهَا..

وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ [١٠٩] وَ لِأَنَّهُمْ اخْتَارُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ يَخْسِرُونَ الْآخِرَةَ..

لَا جَزْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

### سبيل المغفرة:

[١١٠] كم ينبغي أن نصمد في مواجهه الضغط حتى لا نحسب من المرتدين؟ يضرب الله لنا مثلا فيقول:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أَجَلُهَا مَسْئُولِيهِ كَبِيرٌ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعِدَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ لَهَا، وَ يَعْقِدَ الْعَزْمَ عَلَى أَدَائِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ، الْهَجْرَةُ النَّفْسِيَّةُ وَ الْبَدْنِيَّةُ عَنِ الْمَجْتَمَعِ الْجَاهِلِيِّ بَعْدَ التَّوْحَى لِلْفِتْنَةِ (أَوْ تَدْرِي إِنْ أَصَلَ كَلِمَةُ الْفِتْنَةِ إِدْخَالَ الذَّهَبِ النَّارَ لِتُظْهِرَ جُودَتَهُ!!).

و ليست الهجره نهايه المطاف، بل لا بد من الجهاد للعوده الى الوطن السليبي، و تحريره من طغيان المفسدين، و الصبر على صعوبات الجهاد..

و آتئذ يغفر الله لهم ذنوبهم السابقه، مثل سكوتهم السابق على الظلم، بل خضوعهم للظالم و هو أكبر ذنب، بل هو الشرك ذاته، كما يغفر الله هفواتهم

[١١١] و غفران الله نعمه كبرى يدخرها المجاهدون الصابرون ليوم القيامة، حيث يأتي كل فرد وحده لا أحد ينصره أو ينفعه غير عمله..

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا أَى كَلَّ إِنْسَانٌ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ فَلَإِ يَجِدُ إِلاَّ الْحَقَّ..  
وَ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُمْ لا يُظَلَّمُونَ

### عاقبه الارتداد فى الدنيا:

[١١٢] كل ذلك فى الآخرة، أما فى الدنيا فإن الكفر بعد الإيمان ينتهى بالمجتمع الى سلب نعم الله، كمثل تلك القرية التى كانت تتمتع بالرفاه و السلام فكفرت، فأنزل الله عليها الفقر و الحرب.

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُبْدُو مِنَ الْآيَةِ ان للأمن درجات، و هكذا للرفاه الاجتماعى درجات، و ان هذه القرية كانت تعيش فى أمن ظاهر و أمن قلبى، و هو أفضل درجات السلام، كما كانت تعيش على رزقها و رزق ما حولها من القرى، و هذا أفضل درجات الرفاه..

فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

و عبّر القرآن عن وضعهم بعد الكفر بأنهم تخلفوا إلى أن أصبحوا يحيط بهم الجوع و الخوف كما يحيط بهم اللباس.

و قد لا تكون هذه القرية واحده عبر التاريخ، فربما تشير الآيه إلى آلاف القرى التي تردت إلى هذا المستوى بسبب كفرها،

و فى حديث مأثور يقص علينا قصه واحده من تلك القرى فيقول: نزلت فى قوم كان لهم نهر يقال له «الثرثار» و كانت بلادهم خصبه كثيره يستنجون بالعجين و يقولون: هو ألين لنا، فكفروا بأنعم الله، و استخفوا فحبس الله عنهم الثرثار، فجدبوا حتى أحوجهم الله إلى أكل ما يستنجون به، حتى كانوا يتقاسمون عليه. (١)

### الحجّه التامه:

[١١٣] و لقد جاءهم رسول من أنفسهم يدعوهم إلى الشكر، فلم يستجيبوا له حتى أخذهم الله بعذاب شديد..

وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ وَ فى نهايه هذا الدرس القرآنى الكريم ينبغى أن نطرح عده نقاط هامه:

ألف: أن قصه هذه القرية التي تتكرر عاده فى كل عصر، توحى إلينا بضروره مواجهه المؤمن لضغط قد يكون أشد من ضغط الإرهاب، ذلك هو ضغط الإغراء، فمع الرفاه و الأمن يزداد شره النفس و شبقها، و بالتالى احتمالات الغفله عن الله و عن حقوق الإيمان به.

ص: ١٤١

و إذا كان عمار قد تعرض لإرهاب قريش و معه أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه و آله فتحدوا بإيمانهم ذلك الإرهاب العظيم، فإن بعض أصحاب النبي قد غرتهم الدنيا بعد أن فتح الله عليهم، فأخذوا يخوضون فى أموال المسلمين «خوض الإبل بنبتة الربيع» - كما يقول الإمام على (عليه السلام).

من هنا أكدت الآيات (١١٢ و ١١٣) على ضروره مواجهه ضغط الإغراء بعد أن أكدت الآيات (١٠٦ الى ١١١) فى هذا الدرس على مسئوليته مواجهه الإرهاب الجاهلى.

باء: ان ربنا الرحيم يرسل أنبياء فى مراحل هبوط الحضارات لكى يوقفوا تدهور المجتمع، و لكن أغلب المجتمعات تسترسل مع عوامل الانهيار حتى النهايه الأليمه، و هكذا بعث الله رسول هذه القرية فلما كذبوه أخذهم عذاب عظيم.

جيم: لقد أشرنا فى بدايات هذه السوره الكريمة إلى ان سياقها يوحى بمناهج البحث و سبل الحصول على المعرفة، و فى هذا الدرس ذكرنا الله بمعنى الإيمان الذى هو أرفع درجات العلم، كما أشارت آيه كريمة منه -هى الأولى- إلى المسئولية التى تتبع الإيمان، بل هى جوهره، و إلى استثناءات المسئولية.

و يشير حديث نبوى شريف إلى هذه الآيه فى هذا الحقل فيقول: «دفع عن أمتى أربعة خصال: ما أخطئوا، و ما نسوا، و ما أكرهوا عليه، و ما لم يطيقوا، و ذلك فى كتاب الله: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)». (١)

ص: ١٤٢

اشاره

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَ  
مَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَ  
هَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) وَعَلَى  
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ  
بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩)

اللغه

١١٥[باغ]:غير طالب للمحرم للذه أو استثنار.

[و لا عاد]:و لا متجاوز ما يسد الرmq.

ص:١٤٣

هدى من الآيات:

لكى يشكر الفرد نعم الله لا بد ان يعرف حدود التصرف فى هذه النعم، و بمناسبة الحديث عن العلم و الايمان و الكفر و الارتداد الذى مر فى آيات سبقت، ترى هذا الدرس الكريم يأمرنا بان نأكل من رزق الله شريطه ان يكون حلالا من ناحيه المكسب و طيبا من ناحيه ذات المأكل، و لكن علينا ان نؤدى حقوق النعم فلا نخضع لغير الله ابتغاء الحصول على بعض النعم.

و علينا ان نتفقه فى الدين، فلا- نحلل و نحرم حسب اهوائنا، كالا..انما حرم الله علينا الميتة و الدم و لحم الخنزير و الذبيحة التى ذكر عليها اسم غير الله، اما من اضطر من دون ان يكون معتديا و مسرفا فان الله يغفر له، و لا يجوز ان تتحرك ألسنتنا بالحليه و الحرمة من قبل أنفسنا، فهذا كذب و افتراء على الله، و من يفترى على الله الكذب فانه لا يفلح، لأنه لا يحصل الا على متاع قليل بينما له عذاب اليم.

و قد يحرم الله أشياء اضافيه بسبب ظلم الناس، كما بين لنا فى آيات اخرى انه

حرم أشياء على بنى إسرائيل لظلمهم.

و قد يعمل الإنسان شيئاً بجهاله، ثم يتوب الى الله، و يصلح ما أفسده بعمله، فان الله من بعد ذلك غفور رحيم.

### بينات من الآيات:

### حدود الانتفاع بالنعمة:

[١١٤]العدالة فى المعاش تتحقق بالانتفاع المناسب من رزق الله، اما الذين لا يستفيدون من نعم الله و يزعمون ان ذلك زهد فانه بعيد عن تعاليم السماء، فربنا يقول:

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ <sup>□</sup> بِيَدِ <sup>□</sup> اَنْ حُدُودًا <sup>□</sup> ثَلَاثَ <sup>□</sup> تَحِيْطَ <sup>□</sup> بِهَذَا <sup>□</sup> اَلْاِنْتِفَاعِ <sup>□</sup> وَ هِيَ:

ألف: ان يكون الرزق من نصيبك، لا من حق الآخرين حتى يكون حلالاً لك.

باء: أن يكون طيباً، فأكل الخبيث كالنجس و الحشرات- و الخبائث الأشياء المضره و العفنه- لا يجوز.

جيم: ان تؤدى حق النعمه، بان تعرف انها من الله، ثم لا تنسى المحرومين، فاذا قويت بها نشطت فى عمل الخير، بعد ان تذكر ربك بحمده..

حلالاً- طَيِّباً وَ اَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ <sup>□</sup> اِنْ كُنْتُمْ <sup>□</sup> اِيَّاهُ <sup>□</sup> تَعْبُدُونَ [١١٥] و لا- يجوز أن يحرم الفرد على نفسه الطيبات باسم الدين، بل المحرمات

ص: ١٤٥



أشياء معروفه..

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمِمَّا أَهَّلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ أَي ذَبْحَ بِاسْمِ الْأَوْثَانِ، كَالَّتِي كَانَ الْجَاهِلِيُّونَ يَذْبَحُونَهَا عَلَى أَقْدَامِ أَصْنَامِهِمْ! فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بعد ان استثنى القرآن الإكراه من المسؤوليات، يبين رفع التكليف عما اضطر اليه الإنسان من خلال حاجته الضرورية التي من دونها يتعرض للهلاك.

### كيف نشكر الله؟

[١١٦] و لكي نشكر ربنا لا بد ان نلتزم بحدوده و شرائعه،و لا بد ان نضمن صحة المصادر التشريعيه،فلذلك حذر ربنا من إصدار الأحكام من دون تثبت..

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَ هَذَا حَرَامٌ لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ فالذى يسعد الإنسان هو الدين الحق،و ليست الأهواء التي تفتري و تسمى ديننا!!

### جزاء الكذب و البدع:

[١١٧] إن نهايه المبدعين و الكذابين أليمه، إذ ان متاعهم فى الدنيا قليل...

مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يبدو من هذه الآيه ان المبتدع لا يغير فى الدين إلا لهوى فى نفسه أو نفس

ص: ١٤٦

السلطان، و لتحقيق مصلحة ذاته، يحذر ربنا منها، و يهدده بعذاب اليم في مقابل تلك اللذة التي يصيها بسبب التحريف.

[١١٨] و نتساءل: إذا كانت المحرمات محصوره بالتى سبقت، فلما ذا نرى بنى إسرائيل محرم عليهم أشياء كثيره من الطعام و غيره؟! و يقول ربنا جوابا عن هذا السؤال:

وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لَقَدْ ضيقوا على أنفسهم و ظلموها، فحرم الله عليهم أشياء كانت حلالا عليهم، و جاء فى آيه اخرى: «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» (١٦٠/ النساء).

### التوبه و الإصلاح:

[١١٩] ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ قد يكون وعى الفرد ناقصا و علمه محدودا و لم يؤت فرصه للتوجيه الكافى، فيرتكب بجهالته (و ليس بجهله) ذنبا سرعان ما يتوب عنه فور ما يعود الى رشده و يملك الوعى و التوجيه، فيغفر الله له ما سبق.

و الجهاله غير الجهل، فان الجهل عذر شرعى فى الموضوعات و فى بعض الأحكام، فلا يتناسب و التوبه التى وعدها الله لصاحب الجهاله، بينما الجهاله ليست بعذر شرعى، إذ يكفى ان صاحبها يعلم بصوره مجمله حدود الواجب الشرعى الذى عليه،

و يمكنه ان يفتش عنه حتى يجده.

وقد جاءت فى آيات عديده كلمه الإصلاح بعد التوبه للدلاله على ان التوبه الظاهريه لا تنفع شيئاً، إنما ينبغى ان تكون التوبه نصحاً يتغير حال الفرد بها من سىء الى حسن، و من فاسد الى صالح، و فى الآيه بحوث تتصل بعلم أصول الفقه ندعها الى الكتب العلميه المتخصصه.

ص: ١٤٨

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ إِجْتِبَاءً وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَّا جَعَلِ السَّبْتِ عَلَى الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَ إِنَّ عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَ اصْبِرْ وَ صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)

هدى من الآيات:

الشكر يزيد النعمة، و المجتمع الكافر يلفه الجوع و الخوف، و الفرد الشاكر يبعثه الله أمه و يدخله فى الصالحين، كما كان إبراهيم الذى حنف عن ضلاله قومه الى الله الواحد، و شكر أنعم الله فاجتباه الله و هداه الى صراط مستقيم، و آتاه فى الدنيا حسنه، و أدخله فى الآخرة فى زمرة الصالحين، ثم أمر الرسول بأن يتبع نهجه التوحيدى البعيد عن الشرك.

و أما المجتمع الكافر بأنعم الله، فمثله مثل بنى إسرائيل الذين اختلفوا فى السبت، فأخره الله عليهم و حرم عليهم فيه الصيد، و سوف يقضى ربنا يوم القيامة فى أمرهم.

و فى نهاية السوره يلخص الله برامج الوحي التى تتلخص فى ثلاث كلمات هى:

١-الدعوه الى سبيل الله بالحكمه، دون أن يتكفل الداعيه مسئوليہ الناس

عن إيمانهم أو ضلالتهم، بل الله ولى ذلك.

٢- وعند مواجهه يكون العقاب بقدر الذنب، والانتقام بقدر الجرم، والتنازل عن الحق الشخصى فى الله أولى.

٣- الاستقامه بالصبر على أذى الناس، دون أن يحزن الداعيه على مصيرهم، ولا يخشى من مكرهم، ذلك لان الله مع أهل التقوى والإحسان.

### بينات من الآيات:

### إبراهيم قدوه الشكر:

[١٢٠] على الإنسان أن يشكر نعم الله عليه حتى ولو كفر بها المجتمع الذى يعيش فيه، أو ليس إبراهيم قدوه الإنسانيه المثلى، الذى شكر نعم الله مخالفا سيره قومه الجاهليين؟! إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً و لو كان رجل آخر فى عهد إبراهيم مسلما لذكره الله، ولكنه وحده تحدى مجتمع الفساد و كان..

قَانِتًا لِلَّهِ خَاضِعًا لَهُ قَلْبًا..

حَنِيفًا تَنَكَّبَ طَرِيقَ الضَّلَالَةِ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

ص: ١٥١

وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَحَاطُوا بِهِ.

وقد جاء في الحديث المأثور عن الصادق (عليه السلام): لقد كانت الدنيا و ما كان فيها إلا واحدا يعبد الله، و لو كان معه غيره لأضافه إليه حيث يقول:

( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) فصر بذلك ما شاء الله، ثم ان الله تبارك و تعالى آنسه بإسماعيل و إسحاق فصاروا ثلاثة.

[١٢١] أبرز صفات إبراهيم التي تتناسب و السياق القرآني هنا: صفة الشكر التي أنهت بإبراهيم الى أن يختاره الله من بين الملايين من البشر المعاصرين له، و أن يهديه الى الصراط المستقيم..

شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتِبَاهُ وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَ هَكَذَا كُلٌّ مِنْ شُكْرِ أَنْعَمِ اللَّهِ هِدَاةَ اللَّهِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

[١٢٢] و لم يبق إبراهيم وحده، بل آنسه الله بذريه طيبه لم تلبث أن تكاثرت حتى ملأت الدنيا، و أما في الآخرة فهو في عداد الصالحين..

وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [١٢٣] و جعله الله قدوه الأنبياء و أمام الناس، حتى أن ربنا أمر نبيه الأعظم أن يتبع دين إبراهيم و طريقته، لأنه كان مستقيما معصوما عن الزلل..

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِاتِّبَاعِ الْمُشْرِكِ أَنْي كَانَتْ الظُّرُوفِ.

ص: ١٥٢

[١٢٤] إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ مَاذَا تَعْنَى الْآيَةِ فِي هَذَا السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ بِالذَّاتِ؟ لَقَدْ جَاءَ فِي التَّفَاسِيرِ: أَنَّ السَّبْتَ بِمَعْنَى الْقَطْعِ، وَ سُمِيَ السَّبْتُ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ كَلَفُوا بِقَطْعِ الْعَمَلِ فِي هَذَا الْيَوْمِ.

ثم قالوا: إن اختلاف اليهود في السبت كان بسبب أنهم خالفوا أوامر الله في الاستراحة فيه، ففرض الله عليهم ذلك، و كان ذلك بمثابة الابتلاء.

و بعضهم قال: بل انه فرض عليهم يوم الجمعة، و حين اختلفوا أخره الله الى السبت.

و بقى السؤال العريض: ما هى علاقه الآيه بما سبقتها؟ ربما الآيه توحى الى أن بنى إسرائيل أمروا بأن يعطلوا يوما يقضون فيه حاجاتهم الخاصه، فلم يتفقوا على يوم، بل كان كل فريق يتنافس و سائر الفرقاء فى المكسب، مما جعلهم فى الحيره، و هنا جعل الله عليهم السبت ليقطع خلافاتهم، و كان ذلك امتحانا لهم.

و هذا يتناسب مع السياق الذى يدل على أن بعض الأحكام الشرعيه تشرع بسبب ظروف خاصه، ثم إذا تغيرت الظروف زال الحكم، و هذا أمر كثير فى بنى إسرائيل..

وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ



[١٢٥] وفي نهايه السوره التي خصصت آياتها بالوحي تقريبا، وسميت باسم «النحل» الذي يوحى إليه الله سبحانه ما يشاء، جاءت توصيات الى الدعاه الى الله من الذين يحملون الوحي.

### الحكمه:

و أولها: الدعوه إلى سبيل الله بالحكمه و قد ذكرت آيات القرآن في سوره الإسراء القادمه، و في سوره لقمان، و سور أخرى معنى الحكمه، و قد عرفها البعض بأنها الجانب النظرى من العلم، و لكنها في الواقع أكثر من هذا، انها جماع الصفات النفسيه و السلوكيه الحسنه التي يذكر بها الله في آيات تأتي..

أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ تَتَجَلَّى الْحُكْمُ فِي الْحَدِيثِ الطَّيِّبِ الَّذِي لَا وَ هُن فِيهِ وَ لَا خَشُونَهُ، انما هو حزم في لين، و بلاغه في وضوح، و جمال في إتقان..

وَ الْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَ حِينَ الْجِدَالِ يَنْبَغِي أَلَّا يَثُورَ غَضَبُ الدَّاعِيَةِ، فيصدر أحكاما كاسحه على الناس، و لا يهن أمام الخصم فيتنازل له عن بعض الحقائق طمعا في استجابته للحقيقه..

وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَ قَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ شَرِيفِ ان الْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ هُوَ الْقُرْآنُ، و لا ريب

أن تفاصيل السلوك الحسن موجوده فى القرآن الحكيم..

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فلا يجوز اتهام الناس بالكفر و الزندقه، و اتخاذ مواقف سلبيه منهم جميعا، بل الله يحاسبهم، انما على الداعيه أن يعمل بواجبه فى دعوتهم الى الله.

و جاء فى حديث طويل معنى الجدل بالتي أحسن: بأنه اتباع الحق فى كل مراحل الحديث، فلا ينكر حقا لزعم انه ينفى حقا أكبر منه، و لا يقبل بباطل لأنه -فى زعمه- يثبت حقا أكبر منه، كلاً.. ينبغى أن نصل الى الهدف الحق عبر وسيله الحق نفسه.

و كلمه أخيره: إن الآيه هذه تدلّ على ضروره تحكيم العقل فى أسلوب الدعوه الى الله.

### العدل:

[١٢٦] و الوصيه الثانيه للدعاه: التزام العدالة فى معامله الأعداء، فلا يسرف فى العقوبه، بل يسعى الدعاه فى تجاوز أنفسهم، و أن يتنازلوا عن حقوقهم من أجل المصلحه العامه..

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ

و جاء فى حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام لما رأى رسول الله ما صنع بحمزه بن عبد المطلب قال: «اللهم لك الحمد، و إليك المشتكى، و أنت المستعان على ما أرى» ثم قال: «لأن ظفرت لأمثلن و لأمثلن» فأنزل الله: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

فَعَابُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَصْبِرْ أَصْبِر.»

### الاستقامة:

[١٢٧] والوصيه الثالثه: صفات الاستقامه.

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ فالصبر بالتوكل على الله، وعدم التأثر بتغيير الظروف و أقوال الناس، وسعه الصدر في مواجهه المشاكل..

[١٢٨] وفي نهايه السوره يؤكد القرآن على أن الله يؤيد الدعاه بشرطين:

الأول: أن يتقوا الله.

الثاني: الإحسان و الطاعه..

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ نرجو أن نكون من الدعاه الى الله و القاده في سبيله..إنه عزيز حكيم.

ص: ١٥٦

سوره الإسراء

اشاره

ص: ۱۵۷



**فضل السوره:**

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قرأ سورة بنى إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطى فى الجنة قنطارين من الأجر و القنطار ألف أوقيه و مائتا أوقيه و الأوقيه منها خير من الدنيا و ما فيها.»

عن الصادق عليه السلام انه قال: «من قرأ سورة بنى إسرائيل فى كل ليله جمعه لم يمت حتى يدرك القائم و يكون من أصحابه.»  
«(١)»

ص: ١٥٩



لعل أهم الموضوعات التي تناولتها سورة الإسراء هي مسئوليته الإنسان عن أعماله. في إطار الرسالة الالهيه. و تتحدث السوره عن طائفه من المسئوليات تجاه المجتمع ابتداء من الوالدين و انتهاء بسائر الناس.

و تعالج السوره بتفصيل قضيه الشرك بالله، أو ليس الشرك جذر الفساد و سبب تبريرات البشر عن مسئولياته؟ كما تبين بتفصيل أيضا خطط الشيطان لإغواء البشر و كيفيه محاربه تلك الخطط، و يضرب القرآن الامثله التاريخيه العديده.

و تبدأ السوره بقصه بنى إسرائيل كمثّل لمجتمع سعى مره و تخاذل اخرى و تنتهى بها.

هذه جمله القول فى إطار السوره اما التفصيل فان حياه البشر تجسيم لسعيه، تلك هى جمله القول فى إطار سورة الإسراء. و تلك هى خلاصه رسالات الله التى هى فى



فبعد ان أشار القرآن الى واقعه الإسراء، فالمعراج ذكرنا بأنه السميع البصير، و بالتالى محيط بعباده علمه مما يوحى بضروره التقوى منه (١).

و خلاصه الكتاب الذى أنزله على موسى لبنى إسرائيل الا يتخذوا من دون الله وكيلا (٢) ذلك ان الشرك بالله، هو جذر كل فساد و ضلال.

أفلم يكونوا ذريه الذين حملهم الرب مع نوح فى السفينه لينجيهم من الطوفان.

و كان نوح عبدا شكورا (٣).

بلى و لكنهم قد أفسدوا (أو يفسدون) مرتين فى الأرض، و يلاقون جزاءهم (٥) إذ يبعث الله بعد ان يحين ميعاد الجزاء فى المره الاولى عبادا له أقوياء فيدمر عرشهم (٦) و بعد أن يعيد لهم الكره. يأتى وعد المره الثانيه، و يتبروهم تتييرا. لماذا؟ لان الله يجازيهم بالإحسان إحسانا. و بالاساءه جزاء و فاقا (٧) تلك هى سنه الله فى التاريخ. جزاء كل مجموعه لمجمل أفعالهم اما فى الآخره فان الله جعل جهنم للكافرين سجنا (٨).

الهدى من الله عبر القرآن. اما الايمان و العمل الصالح فهو من فعل الشر.

و عليهما الجزاء الكبير و الكفر قد اعتد لصاحبه العذاب الأليم (١٠/٩).

و الجزاء يتأخر. و كان الإنسان عجولا فتراه يدعو بالشر كدعائه بالخير. الا ان الجزاء لواقع (١١).

التق نظره فى آيات الكون ماذا ترى؟ آيه الليل التى محاها الرب بحكمته. و آيه النهار جعلها مبصره بحسن تدبيره

لكى تسعى لمعاشك و تعد السنوات و تفقه الحساب.

إذا كل شىء منظم، مقدر و مدبر و الذى دبر شؤون الليل و النهار و نظمها، فصل لنا القول فيها تفصيلا.

فيخرج البشر عن هذا النظام؟ كلا. بل هو الآخر محكوم بسعيه، حيث يكتب فى صحيفه عمله المعلقه بعنقه. كل فعاله ليلقى كتابه منشورا يوم القيامة.

و يقال له اقرأ كتاب و حاسب نفسك فأنت الذى تدين نفسك بنفسك لو كنت خاطئا (١٣/١٢).

الهدى بسعيك و الضلاله من عندك، و لا- أحد يتحمل وزر الآخرين، و لا يبدر الرب عباده بالعذاب ان ضلوا حتى ينذرهم برسول، و هكذا حين يحين ميعاد هلاك قريه يبعث فى أمها رسولا ينذر مترفيهم و قياده انحرافهم. و لكنهم يفسقون عن أمر الله.

فهنا لك تثبت عليهم الحجه فيدمرهم الله تدميرا.

و كذلك أهلك الله كثيرا من القرون، من بعد طوفان نوح. و الهلاك الشامل للمفسدين فيه. وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا. فلا يزعمن أحد أن الله غافل عنه (١٧/١٤).

و السعى ينتج واقعا. و لكن حسب نيه البشر. فمن أراد الدنيا أعطاه الله منها بقدر ما تقتضيه سنن الله و حكمته. الا ان جزاءه فى الآخرة سيكون جهنم حيث يصلها مذموما مدحورا.

أما من أراد الآخرة و سعى من أجلها بقدرها فان الله يشكر سعيه.

ص: ١٦٣

و الله يمد للأول في دنياه و للثاني في أخراه. و ما كان عطاؤه محظورا. هكذا يجعل حياه البشر وليده إرادته و سعيه.

و كما ان رزق الناس في الدنيا متفاضل - بسبب تفاضل سعيهم - كذلك و أكثر منه جزاء الآخره (٢١/١٨) ثم يحذرنا الرب من الشرك (و يبدو ان المراد منه هنا: الاسترسال مع التقاليد و تيارات المجتمع لأنه ينتمى الى اللوم و الخذلان) (٢٢).

و يأمرنا بالألا- نعبد الا- إياه (فلا نعبد الآباء و لا نخضع لضغوط المجتمع) الا ان علينا إيجاد العلاقات الايجابيه مع الناس (في اطار التوحيد) و أهمها الإحسان الى الوالدين. و بالذات عند الكبر. و الرحمه بهم و الاستغفار لهم (٢٥/٢٣).

و بعد الوالدين يلتزم المؤمن بحقوق الأقارب و المسكين و ابن السبيل و يتقى التبذير لان التبذير يجعله في صف الشياطين (و الطغاه) و الكافرين بالله، غير الشاكرين لا- نعمه و في حاله الا-عراض عنهم (ماديا) لا- بد ان تحسن إليهم (معنويا) بالقول الميسور (٢٨/٢٤).

و يأمرنا الرب بالاعتصام في الإنفاق فلا بخل يغلب اليمين و لا سرف ينتهي الى الملامه و الضيق أو ليس الله يبسط الرزق لعباده و يقدره فلما ذا البخل و السرف (بل علينا ان نتبع أصول الحكمة في الصرف كما ربنا سبحانه) و لماذا قتل الأولاد خشيه إملاق ما دام الرب هو الرزاق (٣١/٢٩).

و مثلما نهى الله عن قتل الأولاد في اطار المسؤوليه الاسريه (بما يشمل الإجهاض حسب الظاهر) ينهى عن الزنا باعتباره ذنبا كبيرا. و ساء سيلا.

و في اطار المسؤوليات الاجتماعيه يحرم قتل النفس الا- بالحق. و يجعل لمن قتل لوليه حق القصاص. و ينهى عن الإسراف في القتل و يبشره بأنه كان

و تلك كانت مسئوليات الإنسان تجاه الناس. و تتلخص فى ثلاث كلمات.

التوحيد(و عدم الخضوع للتقاليد و الضغوط)و الإحسان.و احترام حقوق الآخرين.

و فى الدرس السابع يحرم مجرد الاقتراب الى مال اليتيم «إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» و يأمر بالوفاء بالعهد و إيفاء الكيل و الوزن.

و لعل هذه المسئوليات الاجتماعيه و التى تأتى تحصن المجتمع من بعض الثغرات التى يدخل منها الظلم الى كيان المجتمع فان اقامه العدل لا يمكن الا بسد كل أبواب الظلم و المداخل الطبيعيه التى اشاعه الظلم فى المجتمع.و هكذا يأمر الرب بضروره أتباع العلم،و ترك سوء الظن عن التكبر و الاستكبار فى الأرض.و يجعل ذلك من الحكمه التى اوصى بها الرب الى العباد و التى يجمعها توحيد الله سبحانه(٣٩/٣٦).

بلى ان بناء المجتمع الفاضل قائم على أساس الثبوت من التهم و المساواه أمام القانون.

و ينهى الله عن الشرك،أو ليس الشرك أساس كل جريمه،و تبرير شائع لكل فساد و لا مسئوليته؟ أ صحيح ان الله أختار لهم البنين و اتخذ من الملائكه بنات انه بهتان عظم.و قد صرف القرآن لهم من كل مثل.و لكنهم ازدادوا نفورا(٤١/٤٠).

لو كان هؤلاء الآلهه كما يزعمون إذا لتحذوا سلطان الرب ذى العرش،كلا.

سبحان الله و تعالى عما يقولون علوا كبيرا.ان السموات السبع و الأرض تشهد

بقدس مقامه و تسبح له و كل شىء يسبح بحمده. الا ان البشر عاجز عن فهم تسييحهم. و الله حلیم عن العاصين غفور للمؤمنين سبحانه.

أما الدرس الثامن. فانه يبين أخطار الكفر بالحياه الآخره. و كيف ان الله يجعل بين الرسول و من لا يؤمن بها حجابا مستورا. حيث يحيط بقلوب الكافرين بها ستارا فلا يفقهون القرآن و يجعل الله فى آذانهم وقرا. حتى انهم يولون نفورا. كلما ذكر الرسول ربه فى القرآن وحده.

ان تراكمات الجهل و الضلاله و العصبيه تجعلهم يستمعون الى الرسول من وراء شبهات باطله. فهم يقولون عن الرسول انه رجل مسحور فيضلون و لا يهتدون سبيلا الى الحقائق. و تراهم ينكرون البعث و يتساءلون ابعد ان نصبح عظاما و رفاتا يعقل ان يخلقنا الله من جديد؟! (٤٩/٤٥).

و هكذا تصبح هذه الشبهات حجابا مستورا بينهم و بين القرآن و فهم حقائقه.

و يردهم الله بقوه: حيث يذكرهم بأنهم لو كانوا من الحجارة أو الحديد أو اى شىء كبير فى نظرهم فان الله الذى خلقهم أول مره قادر على ان يعيدهم. ثم يقولون متى؟ يقول الله عسى ان يكون قريبا. ذلك اليوم الذى يدعوهم الله فيستجيبون بحمده، و يزعمون انهم كانوا فى الدنيا أو البرزخ أياما قليله (٥٢).

و لان الشيطان عدو مبين فعلى عباد الله ان يختاروا كلماتهم لكى لا يتزغ الشيطان بينهم بها.

و ان يتركوا العصبيه لقومهم أو تزكيه أنفسهم إذ أن الله اعلم بهم يرحم من يشاء و يعذب من يشاء (٥٥/٥٣).

هكذا تبين آيات الدرس التاسع بعض المسؤوليات الاجتماعيه الواجبه على

و لعل الصراعات الداخليه تنشأ من رواسب الشرك. فيعود السياق لبيان زيف الأنداد و انهم لا يدفعون الضر عن أنصارهم (٥٦).

بل هم بدورهم يبتغون سيلا الى الله ربهم و يرجونه و يخافونه.

و كل القرى معرضه للهلاك قبل يوم القيامة، أما بالعذاب أو الموت. و لقد كذب الأولون بآيات الله. فاستحقوا العذاب. و لان الله لم يشأ إهلاكهم فانه لم ينزله عليهم كلما طلبوه. إذ لو أتوه ثم كفروا لهلكوا. فهذه ثمود لما أتاه الله الناقه آيه مبصره كفروا بها فاهلكهم الله. و انما حكمه الآيات التخويف «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» (٥٧/٥٩).

و هكذا ارى الله رسوله رؤيا، جعلها فتنه لهم، كما أخبره بالشجره الملعونه، و يخوفهم الله فلا يزدادون الا طغيانا (٦٠).

و هكذا كانت الآيات للتخويف، و ليس من أجل إنزال العذاب عليهم.

و يبقى سؤال هام: لماذا الشرك أساسا، و لم لا يخلص الناس الطاعه لله، و لمن فرض الله طاعته، و لماذا تنمو على صعيد مجتمع مسلم شجره ملعونه كبنى اميه يفرضون سيادتهم على الناس؟ فى آيات الدرس العاشر، نقرأ الجواب الذى يستوحى منه قصه الخلق و كيف اضحى إبليس عدو بنى آدم و ما هى خطئه الماكره؟ و القصه بدأت حين أخذته العصبية الذاتيه و ادعى ان عنصره أفضل من عنصر آدم، و رفض السجود لآدم الذى سجد له الملائكه جميعا.

و أمهله الله ليوم القيامة، و تحدى ربه فى السيطرة على ولد آدم. و أخبره الله

اولا:انه سوف يخسر العاقبه هو و من اتبعه.

ثانيا:انه لا سلطان له على عباد الله بالرغم من وسائله الماكره لأنهم يتوكلون على الله و كفى بالله وكيلا.

اما خطط الشيطان فهي اربعة:التضليل الاعلامى،و الإرهاب،و إفساد النظام الاقتصادى و التربوى،و الغرور(٦٥).

و لكن الله هو الذى يزجى الفلك فى البحر و هو الذى يكشف الضر.و هو الذى يخشى مقامه فاذا أراد ان يخسف الأرض بأهلها،أو يرسل قاصفا من الريح.فلا أحد ينجيهم من الله.

و هو الذى كرم بنى آدم،و حملهم فى البر و البحر و فضلهم على كثير من الخلق تفضيلا(٧٠).

و هكذا كان كيد الشيطان ضعيفا.لان الولاية لله و له الدين و بيده الأمر،و هو يريد كرامه الإنسان بينما يريد الآخرون إضلاله.

و حبل الانقاذ من أمواج كيد الشيطان و مكره هو القرآن.

كيف نقاوم مكر الشيطان؟و الى أين ينتهى الصراع بين بنى آدم و إبليس؟و ما هى عبر التاريخ فى هذا الحقل؟ يبدو ان آيات الدرس الحادى عشر تدول حول هذه الاسئلة.

و تبدأ بالحديث عن قياده باعتبارها تحدد خطر البشر.ففى يوم البعث يدعو الله كل أناس يامامهم،و يختلف الناس بين من يؤتى كتابه بيمينه فيقرأه و من يحشر

أعمى و امام الهدى عصمه من مكر الشيطان.

و بين القرآن بعدئذ كيف تعرض الرسول للضغط الاعلامى ليفتنوه عما اوحى اليه فتحدهاه. و لنا فيه أسوه حسنه. و يعلمنا كيف نقاوم الفتنة بالتوكل على الله كما فعل الرسول صلى الله عليه و آله فثبته الله كان هذا مثل لخطه التضليل و يضرب القرآن مثلا لخطه الإرهاب حيث كادوا يستفزون النبي صلى الله عليه و آله من الأرض و لو فعلوا لما بقوا من بعده الا قليلا. تلك سنه الله (٧٧).

و لمواجهه غوايه إبليس فرضت علينا اقامه الصلوات الخمس و أمرنا بنافله الليل التى بعث الله بها نبيه مقاما محمودا.

و لكى نحافظ على النظام الاقتصادى و الاجتماعى و التربوى السليم و لا ندع إبليس يفسده، فعلىنا ان نسأل الله أن يوفقنا للصدق فى المدخل و المخرج، و ان يجعل لنا من لدنه سلطانا نصيرا. و ان نثق بان الحق منتصر و ان الباطل كان زهوقا (٨١).

و لكى نقاوم مكر إبليس و كيده علينا ان نقوم بأمرين:

١- التمسك بحبل القيادة الإلهيه المتمثله فى شخص رسول الله. و الاثمه من خلفائه، و من ثم الأمثل من الفقهاء و الأقرب الى نهج الرسول. و قد بينت آيات هذا الدرس صفات الرسول فى الاستقامه، و الصبر و التوكل و الثقه. و كأنها الصفات المثلى للقيادة التى تعصمنا من مكر الشيطان.

٢- الاعتصام بالقرآن. باعتباره حبل الله المتين. و فى آيات الدرس الثانى عشر بيان ذلك. حيث تبين ان القرآن شفاء و رحمه للمؤمنين. بينما لا- يزيد الظالمين الا خسارا، و يمكننا ان نستفيد من آيات هذا الدرس كيفيه الاستفادة من القرآن و التمسك بحبله، بيان ان الإنسان يغتر بالنعم، فاذا أوتيتها اعرض و نأ، و ان سلبت



منه استبد به اليأس.

و الناس مختلفون فكل يعمل على شاكلته. و الله اعلم بمن هو أهدي سبيلا.

و انما القرآن من الله. فاذا شاء ذهب به. و انه لمعجز، فلو اجتمعت الجن و الانس ما استطاعوا تحديده، و فيه من كل شىء مثل و انهم ليطالبون ببعض الآيات الماديه دون ان يهتدوا الى ان الرسول بشر و انما القرآن من الله، و انما عليه البلاغ.

و لعل فى هذا الدرس أهم محاور سورة الإسراء. و هو الذى يدور حول الرساله.

و ان الذى يستفيد منه انما هو المؤمن بها، اما الظالم الذى يعرض عن نعم الله و يتولى بركنه عنها و الذين مقاييسهم ماديه فإنهم لا ينتفعون بالوحى.

لماذا لا- يؤمن الناس بالهدى الذى جاءهم؟ و ما هى أهم عقبات الايمان برسالات الله؟ اولا: زعمهم بان الرسول ينبغى ان يكون ملكا.

ثانيا: ارتيابهم فى البعث.

و هكذا تعالج آيات الدرس الثالث عشر العقبات النفسيه التى يضعها إبليس فى طريق الايمان بالرساله (٩٩/٩٤) فيبين ان الرسول يجب ان يكون من جنس من يرسل إليهم. فلو كان سكان الأرض الملائكه لا نزل الله إليهم ملكا رسولا.

و بعد ان يبين ان الله سبحانه شهيد على صدق رساله النبى، و ان بيده الهدايه.

و ان من يضل له لا- هادى له و لا- ولى. و انه يحشر أعمى و ابكم و أصم، و ان عاقبه جهنم التى يستمر سعيها جزاء على ما عملوا (٩٨).

ص: ١٧٠

و بعدئذ يستنطق وجدانهم و يقول أليس الله الذى خلق السموات و الأرض بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ، و انما لا يؤاخذهم بالعذاب لأنه قدر لهم أجلا لا ريب فيه و لكنهم لا يستغلون هذه الفرصه.

و لان الإنسان كفور بطبعه، و بخيل قنور فهو بحاجه الى هاد و مرب و هو الرسول الذى يأتيه بالقرآن شفاء لما فى الصدور.

و لم يكن النبى محمد-صلى الله عليه و آله-بدعا من الرسل، فهذه رساله الله تنزل على موسى عليه السلام و الله سبحانه يؤتية تسع آيات بينات فتحدها فرعون و اتهمه بأنه مسحور، و بين له موسى انها بصائر من الله و ان فرعون مبتور.

و كما جرى لرسول الله محمد جرى لرسول الله موسى عليهما صلوات الله، حيث أراد فرعون ان يستفز الرسول من الأرض فاغرقه الله و من معه جميعا و أورث الله الأرض لنبى إسرائيل من بعده الى أجل معدود.

هذا مثل لشهاده الله على صدق رسالاته. و مثل لمكر الشيطان و كيده. و مثل لنصره الله عباده. و ان الحق منتصر و ان الباطل كان زهوقا.

و لقد جاء القرآن بالحق، و ما على الرسول الا إبلاغه. و انما فرقه الله على أنجم ليثبت به فؤاد رسوله.

هكذا ابتدأت آيات الدرس الأخير الرابع عشر (١٠٥/١١١).

و هى تعالج عقبه اخرى للايمان. و هو تفریق القرآن و تنزله عبر سنين البعثة.

و تؤكد ان للقرآن أصحابا يؤمنون به و انهم يخرون للأذقان سجدا كلما تليت عليهم آياته. و يزدادون ايمانا بوعده الله، و يسجدون و يزيدهم القرآن خشوعا لربهم.

ص: ١٧١

و هذه هى صفات المؤمنين بالقرآن. و هم عباد الله الذين لا سلطان لإبليس عليهم.

و من صفاتهم انهم يدعون الله- كما أمرهم- بأسمائه الحسنى، و انهم لا يجهرون بصلاتهم (رياء) و لا يخافتون بها (خوفا) انما يتغون بين ذلك سيلا..

(لان مشيهم الهون و سيرتهم الاقتصاد. و أمتهم وسط).

و تختم سوره الإسراء بحمد الله الذى لا ولد له و لا شريك له و لا ولى له من الذل.

كما ابتدأت بحمد الله و تسيححه (١١١).

ص: ١٧٢

[سوره الإسراء (١٧): آیه ١]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سُيَبِّحَانَ الَّذِي أُسْرِى بِعَيْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ  
آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)

اللغه

١[أسرى]سار ليلا.

ص: ١٧٣

بينات من الآيات:

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ « بِسْمِ اللَّهِ » ذى القدره و العظمه، و النور و الكمال، و الفضل و الانعام « أَلرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ».

ابتدأت السوره بالتسبيح، و التسبيح يدل على التنزيه و التقديس، و مادتها من (سَبَّح) اى نزهه، و معنى ذلك أن نبعده الله عن أى نقص أو عجز أو حد.

ان العقل البشرى لا- يستطيع ان يدرك الأ- الأمور القريبه من ذهنه أو المتعارفه فى الطبيعه، و لكنه يعجز عن ادراك ما وراء ذلك، و لو أراد الإنسان ان يتصور الله لتصوره فى حدود مفاهيمه و معارفه. حيث ان بعضهم قال: ان الله «سبحانه و تعالى عما

يقولون«على صورته إنسان أعلاه مجوف و أسفله مصمت، و هو نور ساطع يتلألأ، و له حواس خمس. (١)

و التاريخ يدلنا على: ان الأمم الكافره و المشركه، انما تصورت الله فى حدود معارفها، فالامه التى كانت بحاجه الى الزراعه و الرعى كانت تقدر الماء أو البقر أو كليهما باعتبارهما آلهه.

و الامه التى كانت بحاجه الى الأنواء و النجوم لتهدى بها فى السفر، كانت تتصور الله نجما أو قمرا أو شمسا، اما الامه التى كانت تعيش ضمن القبيله و التقاليد الموروثة، فانها كانت تقدر الجد الأكبر لها، و بالتالى فإنهم كانوا يتصورون الله شيخا كبيرا ذا لحية بيضاء.

و قد جاء فى بعض الكتب الحديثه التى انطلقت من الغرور العلمى، أحاديث مسهبه خلاصتها:

(انه لما كان الله موجودا فى كل مكان و ليس له صوت و لا صورته فهو إذا الجاذبيه).

و قال بعضهم بان الله هو الوجود.

و روى عن الامام الصادق عليه السلام :

«و لو ان النمله تصورت ربها لتصورت له قرنين» (٢).

و من أجل ان يقطع الإنسان على نفسه الدخول فى هذه الدائره عليه أن يقول:

ص: ١٧٥

---

١-١) بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٩ نقلا عن بعض الجهله

٢-٢) الحديث منقول بمحتواه و ليس بنصه

«سبحان الله» فينزهه لأنه أجل من ان يتصور،

و في حديث عن الامام الباقر عليه السلام يقول حين سأله ابن أبي نجران عن التوحيد: أتوهم شيئاً؟ فقال:

«نعم غير معقول و لا محدود، فما وقع و همك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء و لا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام و هو خلاف ما يعقل، و خلاف ما يتصور في الأوهام. انما يتوهم بشيء غير معقول و لا محدود» (١) و بالتالي فان كل ما نتصوره مخلوق مردود إلينا، و الشيء الوحيد الذي يمكن ان نقوله عن ربنا هو: «سبحان الله» فاننا متى ما قلنا ذلك اقتربنا الى الله خطوه.

جاء في الحديث عن الامام الباقر عليه السلام و قد سأله البعض: يجوز ان يقال لله انه شيء؟ فقال:

«نعم تخرجه من الحدين حد التعطيل، و حد التشبيه» (٢) و هذا معنى الاعتراف بالله، لذلك بدء القرآن حديثه بالتسبيح فقال:

[١] سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ما هي علاقته تقديس الله و تنزيهه بالحادثه التاريخيه التي وقعت لرسول الله صلى الله عليه و آله و هي حادثه الإسراء و المعراج؟ قال بعض المفسرين ان التسبيح هنا بمعنى التعجب اى عجا. كيف اسرى الله

ص: ١٧٤

١-١) المصدر ج ٣ ص ٢٤٤

٢-٢) المصدر ص ٢٤٢

بعده من البيت الحرام الى المسجد الأقصى ثم عرج به الى السماء هذا صحيح.

و لكن يبقى السؤال ما هي العلاقة بين التسييح و التعجب؟ الواقع اننا حين نتعجب من شىء، فان الشيطان و النفس الاماره بالسوء يوسوسان لنا بأن ذلك الشىء هو عظيم الى حد الالوهيه، و من أجل ان نبتعد عن هذا الشرك علينا ان نسبح الله و ننزهه لتتذكر بأنه أكبر من أى شىء عجيب قد يبهرنا.

و هكذا عند ما اسرى الله بالنبي صلى الله عليه و آله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، ثم عرج به الى السماء كان من الممكن ان يعتقد البعض بان النبي صلى الله عليه و آله هو الإله، لذلك كان يلزم ان تبدأ القصة ب«سبحان الله».

و لمفردات اللغة العربيه معان دقيقه فمثلا: إذا ذهب أحدهم فى أول الصباح الى مكان ما يقال عنه (بكر) و إذا كان بعد ذلك بقليل قيل (صبح) و بعد مده (غدى) ثم (أضحى) و فى النهار يقال (سرب) و اما فى الليل فيقال (سرى).

و القرآن فى هذه الآيه يقول «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ» يعنى اسرى به فى الليل، فلما ذا تقول تتمه الآيه: «بِعَبْدِهِ لَيْلًا»؟ قد يكون ذلك لما يلي:

أولاً- اسرى بعده اى ذهب بالليل، و لكن هل كان رجوعه فى الليل أيضا؟ ان كلمه «ليلا» جاءت هنا لتؤكد على ان الذهاب و الإياب كان فى الليل، تأكيدا لمعجزه الإسراء.

ثانيا: قد يكون تأكيد الآيه على ان هذا الحدث العجيب قد تم فى الليل، حيث السكون و الهدوء، و حيث لا يتم الانتقال فيها إلا قليلا، ثم ان العروج الايمانى يتم فى الليل أكثر من النهار، قال ربنا: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا



اما محل انطلاق رسول الله صلى الله عليه وآله للأسراء فقد اختلفت الروايات فى ذلك، فمنهم من قال: بأنه خرج من المسجد الحرام، وبعض قال: من بيت أم هانى بنت أبى طالب، ولكن يمكن جمع الخبرين بالقول: ان الرسول صلى الله عليه وآله كان فى بيت أم هانى، ثم خرج الى المسجد الحرام، و من هناك بدأ رحلته الى المسجد الأقصى، الى المسجد الأبعد من المسجد الحرام.

و اما العروج فقد كان من المسجد الأقصى الى السماء، حيث رأى آيات ربه الكبرى، إذ يقول تعالى: لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا وَ فى آيه أخرى يقول: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١) و لكن ما هى تلك الآيات؟ و اين هى؟ القرآن لا يحدثنا عن هذه الآيات انما نجد هناك إشارات الى هذه الآيات فى الأحاديث كما سيأتى ذكره.

اما كيف تمت تلك الآيات و الحوادث فى ليله واحده فى حين انها تحتاج الى مده مديده؟ فان ذلك اثار التساؤلات لدى العلماء، فقال بعضهم: بان الزمان فى الفضاء الأعلى يختلف عما هو عليه فى كرتنا الارضيه، و لهم فى ذلك بحوث مطوله لا يسع المجال لذكرها، و أساسا هناك تساؤلات حول كيفية حدوث الإسراء لشخص الرسول كالتالى:

١- كيف قطع الرسول المسافه بين المسجدين فى ليله، علما بأنها كانت تقطع فى ذلك الزمان فى أسابيع؟ ٢- و بعدئذ كيف اخترق جاذبيه الأرض الى الفضاء، و نحن اليوم لا نقدر

على مثله الا بمركبات فضائيه متطوره و معقده،و مع ذلك فانها لا تستطيع ان تعمل الا فى حدود ضيقه جدا،بالنسبه الى الرسول صلى الله عليه و آله؟ ٣-و إذا كانت السموات جميعا عرصه رحله الرسول،فيقتضى ذلك ان تكون سرعه المركبه أضعاف سرعه النور بملايين المرات،لان الرسول قطع -حسب الروايات- تلك المسافات فى ساعات.

و تساؤلات اخرى جعلت طائفه من العلماء يشككون أنفسهم فى المعراج،حتى ان بعضهم أوله بأن روح الرسول هى التى عرجت و ليس النبى صلى الله عليه و آله بجسمه و روحه.

بيد ان إجماع علماء آل البيت عليهم السلام قائم على ان العروج كان بالجسم و الروح كما يحكيه شيخ الطائفة الطوسى (قدس الله سره) و الشيخ الطبرسى (ره) و العلامة المجلسى و آخرون. (١)

و هكذا ذهب أكثر المحققين من علماء المسلمين الى ذلك و عليه روايات صحاح مشهوره حسب ما يحكيه المفسر المعروف الرازى. (٢)

و يدل على ذلك:

أولاً: ان الآيه صريحه على ان العروج تم «بعده» كما جاء فى هذه الآيه و تصرح آيات سوره النجم بقوله: **وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةَ أُخْرَىٰ \* عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنْتَهَىٰ \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ \* إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ \* لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ .** (٣)

ص: ١٧٩

١-١) راجع تفسير نمونه ص ١٣ ج ١٢

٢-٢) المصدر، و يراجع أيضا تفسير الرازى

٣-٣) سوره النجم ١٣-١٨

و هذا التعبير صريح فى ان العروج تم به و ليس بروحه صلى الله عليه و آله .

ثانيا: ان الرسول صلى الله عليه و آله قص على الناس فى مكة و أكثرهم كفار قصه المعراج، فكذبوه و أخبرهم بما رأى فى الطريق مما ظهر صدقه لهم بعدئذ، و لو ان العروج كان بروحه فى مثل النوم، لكان الأمر غير ذى بال، و لا يشير التساؤلات عندهم.

و على العموم لا بد ان نعرف: ان عروج الرسول لم يكن مثل صعود المركبات، بل كان اعجازا مثل صعود عيسى و إدريس عليه السلام و مثل ما فعل الله سبحانه و تعالى لأنبياؤه (عليهم السلام) من طوفان نوح، و خمود النيران لإبراهيم عليه السلام و ابتلاع عصى موسى عليه السلام لحبال سحره فرعون و احياء الموتى على يد عيسى بن مريم عليه السلام .

و كما القرآن اعجاز تحدى كل العلماء و البلغاء، و لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، كذلك أسراء النبى صلى الله عليه و آله و معراجه.

اما كيف تم ذلك فان العلم يتقدم، و امامه طريق طويل حتى يستطيع ان يكشف اسرار هذه الرحله الماديه الروحيه العجيبه.

بل فهذا العلم تقدم خطوات، و أظهر ان قطع المسافه بين المسجدين فى ليله واحده ممكنه، ثم تقدم و اثبت ان الصعود الى الفضاء هو الآخر ممكن بصوره اجماليه، بينما كان الأمران محالان عند السابقين حين تمت رحله الإسراء و المعراج، و سوف يتقدم و يتقدم ليكشف بعض اسرار الرحله المعجزه.

و أخيرا لنعلم ان عروج الرسول كان رحله روحيه أيضا، بالاضافه الى انه كان رحله ماديه، حيث شاهد الملائكه و الأنبياء السابقين، و الجنه و النار و من فيهما.

### حديث الإسراء:

فى الحديث المروى عن تفسير القمى، عن أبى عمير، عن هشام بن سالم، عن

أبى عبد الله الصادق عليه السلام انه قال:

جاء جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل بالبراق الى رسول الله صلى الله عليه و آله فأخذ واحد باللجام و واحد بالركاب، و سوى الآخر عليه ثيابه، فتضععت البراق (اي تحركت) فلطمها جبرئيل، ثم قال لها: اسكنى و تطأطئى يا براق، فما ركبك نبى قبله، و لا يركبك بعده مثله، فرقت به (اي طارت) و رفعت ارتفاعا ليس بالكثير، و معه جبرئيل يريه الآيات من السماء و الأرض، فبينما انا فى سيرى إذ نادى مناد عن يمينى، يا محمد! فلم أجه، و لم التفث اليه، ثم استقبلتنى امرأه كاشفه عن ذراعيها، عليها من كل زينه الدنيا فقالت: يا محمد! انظرنى حتى أكلمك فلم التفث إليها ثم سرت، فسمعت صوتا افزعنى فجاوزته، فنزل بى جبرئيل، فقال: صل، فصليت، فقال:

أ تدرى اين صليت؟ قلت لا! فقال: صليت بطور سيناء، حيث كلم الله موسى تكليما، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله، ثم قال لى: انزل فصل، فنزلت فصليت، فقال: أ تدرى اين صليت؟ فقلت لا. قال: صليت فى بيت لحم. (و بيت لحم ناحيه من نواحي بيت المقدس حيث ولد عيسى ابن مريم) ثم ركبت، فمضينا حتى انتهينا الى بيت المقدس، فربطت البراق بالحلقه التى كان الأنبياء تربط بها، فدخلت المسجد و معى جبرئيل الى جنبى، فوجدنا إبراهيم و موسى و عيسى فيمن شاء الله من أنبياء الله عليه السلام فقد جمعوا الى و أقيمت الصلاة - و لا - أشك الا - و جبرئيل سيتقدمنا - فلما استتوا أخذ جبرئيل بعصدي، فقدمنى، و أممتهم، و لا فخرا (يعنى لا - افتخر بذلك) ثم آتانى الخازن بثلاثه أوان، إناء فيه لبن، و إناء فيه ماء، و إناء فيه خمر و سمعت قائلا يقول: ان أخذ الماء غرق و غرفت أمته، و ان أخذ الخمر غوى و غويت أمته، و ان أخذ اللبن هدى و هديت أمته، قال: فأخذت اللبن و شربت منه، فقال جبرئيل: هديت و هديت أمتك. ثم قال ماذا رأيت فى مسيرتك؟ فقلت نادانى مناد عن يمينى فقال: أو أجبته؟ فقلت: لا، و لم التفث

ص: ١٨١

اليه، فقال: ذاك داعى اليهود، لو أجبته لتهودت أمتك من بعدك، ثم قال: ماذا رأيت؟ فقلت: ناداني مناد عن يساري، فقال لى: أو أجبته؟ فقلت لا، و لم التفت اليه، فقال: ذاك داعى النصارى، و لو أجبته لتنصرت أمتك من بعدك، ثم قال:

ماذا استقبلك؟ فقلت: لقيت امرأه كاشفه عن ذراعيها، عليها من كل زينه الدنيا فقالت: يا محمد! انظرنى حتى أكلمك، فقال: أو كلمتها؟ فقلت: لم اكلمها، و لم التفت إليها، فقال: «تلك الدنيا و لو كلمتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة، ثم سمعت صوتا أفزعنى فقال لى جبرئيل: أسمع يا محمد، قلت: نعم، قال: هذه صخره قدفتها من شفير جهنم منذ سبعين عاما، فهذا حين استقرت، قالوا: فما ضحكك رسول الله حتى قبض عليه السلام.»

ص: ١٨٢

في حديث الإسراء والمعراج كثير من المواعظ والحكم، وفي نفس الوقت هو حديث ممتع، يحمل الإنسان بعيدا عن آفاق الزمان والمكان، ويدعه يسيح في آفاق بعيدة وأشار إلى ذلك الآية القرآنية تقول: «لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا» .

في وقت كان الناس يعتقدون بأن الأرض هي محور الكون، وأن السماء سقفا، وأن النجوم مسامير وضعت في هذا السقف لكي لا تقع السماء على الأرض، ولتكون زينة، وكان يتصور فريق منهم أن السموات عقول مجردة لا تحتمل الفساد.

في ذلك الوقت تمت حادثة المعراج، ونقلتها الأحاديث، ولا بد أن نعرف أن قصة السموات تختلف عن موضوع الكبد مثلا في جسم الإنسان، إذ الكبد شيء خفي لا يهتم كل إنسان به، أما السماء فكل إنسان يزعم أنه يعرف عنها الشيء الكثير، وذلك لعلاقته الوثيقة بها، فهو يرى الشمس والقمر والنجوم يوميا، كما أنه يشاهد تغييرات الأنواء باستمرار، وهكذا فإنه لا بد أن يكون تصورا معيناً عن

السماء فى نفسه يكون خاطئا فى الأغب، و كثيرا ما تحولت الأساطير المرتبطه بعلم الهيئه القديم الى أفكار مقدسه، فمثلا: دافعت الكنيسه عن هيئه بطليموس، و أحرقت أو قتلت من تحداهها، كما جرى لجاليليو، حين قال: بان الأرض التى تدور حول الشمس و ليس العكس.

و بالرغم من ذلك فقد جاءت إشارات صريحه فى بعض الأحاديث عن طبيعه السماء

يقول الامام على عليه السلام فى حديث له:

«ان وراء عالمكم هذا أربعين عالما.» و أربعين عدد يدل على الكثره فى اللغه العربيه.

و لقد كان الامام على عليه السلام يقف فى مسجد الكوفه فيقول بملىء فيه:

«سلونى عن طرق السماوات فانى اعلم بها من طرق الأرض.»

و الامام الرضا عليه السلام يقول فى حديث مسهب:

«ان لكل ارض سماء تحيطها.»

### حديث المعراج:

انتهينا فى الدرس الماضى من الحديث عن الإسراء، و نواصل هنا الحديث عن المعراج،

هذا الحديث يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله : «فصعد جبرئيل و صعدت معه الى السماء الدنيا (يعنى أقرب سماء الى الأرض، فان لفظه دنيا مؤنث أدنى، و ادنى مقابل أقصى) و عليها ملك يقال له إسماعيل، و هو صاحب الخطفه التى قال الله عز و جل إلامن خطفَ

الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ وَ تَحْتَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَ تَحْتَ كُلِّ مَلَكٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ». (١)

فقال: يا جبرئيل من هذا الذى معك؟ فقال: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: و قد بعث؟ فقال: نعم، ففتح الباب (كأنَّ للسماء بابا و لكن ليس كالأبواب المتعارفه لدينا) فسلمت عليه، و سلمَّ علىَّ، و استغفرت له، و استغفر لى، و قال: مرحبا بالأخ الصالح، و النبى الصالح، و تلقنتى الملائكه حتى دخلت السماء الدنيا، فما لقينى ملك الا ضاحكا مستبشرا، حتى لقينى ملك من الملائكه، لم أر أعظم خلقا منه، كريبه المنظر، ظاهر الغضب، فقال لى مثلما قالوا من الدعاء، الا انه لم يضحك، و لم أر فيه من الاستبشار ما رأيت من ضحك الملائكه، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فانى قد فزعت منه فقال: يجوز ان يفزع منه، فكلنا نفزع منه. ان هذا مالك خازن النار، لم يضحك قط، و لم يزل منذ ان ولاه الله جهنم، يزداد كل يوم غضبا و غيضا على أعداء الله و أهل معصيته، فينتقم الله به منهم، و لو ضحك الى أحد قبلك أو كان ضاحكا الى أحد بعدك لضحك إليك، فسلمت عليه فردَّ السلام علىَّ، و بشرنى بالجنه، فقلت لجبرئيل: ألا تأمره ان يرينى النار؟ فقال له جبرئيل: يا مالك أر محمد النار، فكشف عنها غطاءها، و فتح بابا منها فخرج لهب ساطع فى السماء، و فارت، و ارتفعت حتى ظننت ليتهاولنى مما رأيت، فقلت: يا جبرئيل: قل له: فليرد عليها غطاءها، فأمره فقال لها: ارجعى فرجعت الى مكانها الذى خرجت منه (٢)

ص: ١٨٥

١ - ١) مكلفون بإداره السماء الأولى فقط، و هناك أحاديث تصف بعض الملائكه فتقول بان جناح الواحد منهم يمتد ما بين المشرق و المغرب، أو ان الواحد منهم يحمل ثقل الأرض كلها فوق جناحه، و ما هذه الإشارات الا الى سعه السماوات.

٢ - ٢) و من هذا الحديث يبدو ان جهنم ضمن اطار السماء الاولى و هى أقرب سماء إلينا، و قد تكون جهنم مثلا كره ملتبهه من هذه الكرات الموجوده فى احدى هذه المجرات، أو شمس من الشمس العتيقه التى تحدث فيها انفجارات هائله تتجاوز عظمتها ملايين المرات عما هى عليه القنابل النوويه فى الدنيا، أو يكون ما راه سيدنا و نبينا محمد صلى الله عليه وآله جانبا من جهنم و الله العالم.



ثم مضيت فرأيت رجلا آدما جسيما، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا أبوك آدم، فاذا هو يعرض عليه، فيقول: روح طيبه، وريح طيبه من جسد طيب، ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وآله سورة المطففين على رأس سبع عشر آية كآلا- إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ \* وَأَذْرَاكَ مَاءَ عِلِّيُّونَ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (الى آخر الآيات) قال: فسلمت على أبي آدم، وسلمت على، واستغفرت له، واستغفر لي، وقال:

مرحبا بالابن الصالح، والنبي الصالح، المبعوث في الزمن الصالح.

قال: ثم مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس، وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه، وإذا بيده لوح من نور ينظر فيه، مكتوب فيه كتاب ينظر فيه، لا يلتفت يمينا لا شمالا، مقبلا عليه كهيئه الحزين، فقلت من هذا يا جبرئيل؟ قال: هذا ملك الموت، دائب في قبض الأرواح، فقلت: يا جبرئيل أدنى منه حتى أكلمه، فأدنانى منه، فسلمت عليه، وقال له جبرئيل: هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله الله الى العباد، فرحّب بي وحيّانى بالسلام. قال: أبشر يا محمد. ارى الخير كله فى أمتك، فقلت: الحمد لله المنان، ذى النعم على عباده، ذلك من فضل ربّى، ورحمته علىّ، فقال جبرئيل: هو أشد الملائكة عملا، فقلت: أكلّ من مات أو هو ميت فيما بعد هذا تقبض روحه؟ فقال: نعم، قلت: و تراهم حيث كانوا، وتشهدهم بنفسك؟ قال: نعم، فقال ملك الموت: ما لدنيا كلها عندى فيما سخر الله لى و مكنتى عليها الا كالدرهم فى كف الرجل يقبلها كيف يشاء، و ما من دار الا و انا أتصفحه كل يوم خمس مرات، و أقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم، لا تبكوا عليه فان لى عوده و عوده حتى لا يبقى منكم أحد، فقال رسول الله: كفى بالموت طامه يا جبرئيل، فقال: جبرئيل: انما بعد الموت اطم و اطم من الموت.

قال: ثم مضيت فاذا انا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب، و لحم خبيث، يأكلون اللحم الخبيث، و يدعون الطيب، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: الذين

يأكلون الحرام، و يدعون الحلال، و هم من أمتك يا محمد، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ثم رأيت ملكا من الملائكة جعل الله امره عجيبا. نصف جسده النار، و النصف الآخر ثلج، فلا النار تذيب الثلج، و لا الثلج يطفى النار، و هو ينادى بصوت رفيع و يقول:

سبحان الذى كفى حر هذه النار فلا تذيب الثلج، و كفى برد هذا الثلج فلا يطفى حر هذه النار، اللهم يا مؤلف بين الثلج و النار الف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا ملك و كله الله بأكناف السماء و أطراف الأرضين، و هو أنصح ملائكة الله لأهل الأرض من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق، و رأيت ملكين يناديان فى السماء واحدهما يقول: اللهم أعط كل منفق خلفا، و الآخر يقول: اللهم أعط كل ممسك تلفا.

ثم مضيت فاذا انا بأقوام لها مشافر كمشافر الإبل، يقرض اللحم من جنوبهم و يلقي فى أفواههم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال هؤلاء الهمazon اللمازون (المغتابون النمامون).

ثم مضيت فاذا انا بقوم ترضخ رؤوسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء، ثم مضيت فاذا انا بأقوام تقذف النار فى أفواههم و تخرج من ادبارهم، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا. إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصِيلُونَ سَـجِيرًا» ثم مضيت فاذا انا بأقوام يريد أحدهم ان يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت، من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا «لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» و إذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا و عشيا.. يقولون: ربنا متى تقوم الساعة، قال: ثم مضيت فاذا انا بنسوان معلقات بائدائهن، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال هؤلاء اللواتى يورثن اموال أزواجهن

ولاد غيرهم (١) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

اشتد غضب الله على امرأه ادخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم، فاطلع على عوراتهم و أكل خزائهم.

ثم قال: مررنا بملائكته من ملائكة الله عز وجل: خلقهم الله كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، وليس شيء من اطياف أجسادهم الا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحيه بأصوات مختلفه، فسألت جبرئيل عنهم، فقال: كما ترى خلقوا. ان الملك منهم الى جنب صاحبه ما كلمه كلمه قط، ولا رفعوا رؤوسهم الى ما فوقها، ولا خفضوها الى ما تحتها خوفا من الله وخشوعا، فسلمت عليهم فردوا على إيماء برؤوسهم من الخشوع، فقال لهم جبرئيل: هذا محمد نبي الرحمة، أرسله الله الى العباد رسولا و نبيا، وهو خاتم النبيين، وسيدهم، أ فلا تكلمونه؟ فقال: عند ما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا على السلام و اكرموني و بشروني بالخير لى و لا متى.

### الرسول فى السماوات:

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله : ثم صعدنا الى السماء الثانيه فاذا فيها رجلان متشابهان. فقلت: من هذان يا جبرئيل؟ فقال: أبناء الخاله يحيى و عيسى، فسلمت عليهما و سلما على، و استغفرت لهما، و استغفرا لى، و قالا: مرحبا بالأخ الصالح، و إذا فيها من الملائكه و عليهم الخشوع، و قد وضع الله وجوههم كيف شاء، ليس منهم ملك الا يسبح الله بحمده بأصوات مختلفه.

ثم صعدنا الى السماء الثالثه، فاذا فيها رجل، فضل حسنه على سائر الخلق، كفضل القمر ليله البدر على سائر النجوم، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا

ص: ١٨٨

١-١) يعنى أن المرأه تلد من الزنا فتجعله للزوج

أخوك يوسف، فسلمت عليه و سلم عليّ، و استغفرت له، و استغفر لي، و قال: مرحبا بالنبي الصالح، و الأخ الصالح، المبعوث في الزمن الصالح، و إذا فيها ملائكة عليهم من الخشوع مثلما وصفت في السماء الاولى و الثانيه، فقال لهم جبرئيل في أمرى، ما قال للآخرين، و صنعوا فيّ مثلما صنع الآخرون، ثم صعدنا الى السماء الرابعه، و إذا بي رأيت رجلا، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا إدريس رفعه الله مكانا عليّ، فسلمت عليه، و سلم عليّ، و استغفرت له، و استغفر لي، و إذا فيها من الملائكة لخشع مثلما في السماوات التي عبرناها، فبشروني بالخير لي و لأمتي، ثم رأيت ملكا جالسا على سرير و تحت يديه سبعون الف ملك، تحت كل ملك سبعون الف ملك، فوقع في نفس رسول الله انه هو، فصاح به جبرئيل فقال: قم، فهو قائم الى يوم القيامة.

ثم صعدنا الى السماء الخامسه فاذا فيها رجل كهل عظيم العين، لم أر كهلا- أعظم منه، حوله ثله من أمته، فاعجبني كثرتهم فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال:

هذا المحبّب في قومه هارون بن عمران، فسلمت عليه و سلم عليّ، و استغفرت له و استغفر لي، و إذا فيها من الملائكة الخشع مثلما رأيت في السماوات.

ثم صعدنا الى السماء السادسه و إذا فيها رجل آدم (اي أسمر اللون) طويل كأنه من شنوه (١) و لو ان له قميصين لنفذ شعره فيها، و سمعته يقول: يزعم بنو إسرائيل اني أكرم من ولد آدم على الله و هذا رجل أكرم على الله مني (و أشار الى رسول الله) فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا أخوك موسى بن عمران، فسلمت عليه و سلم عليّ، و استغفرت له، و استغفر لي، و إذا فيها من الملائكة الخشع مثلما في السماوات. (٢)

ص: ١٨٩

١-١) شنوه قبيله عربيه معروفه طوال القامه

٢-٢) و هكذا فاننا نرى بان الرسول صلى الله عليه و آله يلتقى في كل سماء بنبي أو أكثر تعبيراً عن وحده الرسالات السماويه و عن الاخوه بين الأنبياء، و عن اختلاف درجات الأنبياء.

ثم صعدنا الى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة الا قال: يا محمد احتجم، و أمر أمتك بالحجامة (١) و إذا فيها رجل اشط الرأس و اللحية، جالس على كرسى، فقلت: يا جبرئيل من هذا الذى فى السماء السابعة على باب البيت المعمور.

فى جوار الله؟ فقال: هذا يا محمد أبوك إبراهيم، و هذا محللك و محل من اتقى من أمتك، ثم قرأ رسول الله: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» فسلمت عليه و سلم على و قال: مرحبا بالنبي الصالح، و الابن الصالح، المبعوث فى الزمن الصالح، و إذا فيها من الملائكة الخشع مثلما فى السماوات فبشرونى بالخير لى و لامتى. (٢)

قال رسول الله صلى الله عليه و آله : و رأيت فى السماء السابعة بحارا من نور تتلألأ. تلالؤها يخطف بالأبصار و فيها بحار من ظلمه، و بحار من ثلج ترعد، فكلما فزعت و رأيت هولاً سألت جبرئيل فقال: أبشر يا محمد، و اشكر كرامه ربك، و اشكر الله بما صنع إليك، قال: فثبنتى الله بقوته و عونته حتى كثر قولى لجبرئيل و تعجبنى، فقال جبرئيل:

يا محمد تعظم ما ترى (هل تراه عظيماً)؟! انما هذا خلق من خلق ربك فكيف بالخالق الذى خلق ما تراه، و ما لا تراه أعظم من هذا!! ان بين الله و بين خلقه سبعين الف حجاب، و أقرب الخلق الى الله انا و إسرافيل، و بيننا و بينه اربعة حجب: حجاب من نور و حجاب من الظلمه و حجاب من الغمامه و حجاب من الماء.

و قال رأيت من العجائب التى خلق الله، و سخر على ما اراده، ديكا رجلاه فى

ص: ١٩٠

١-١) الحجامة تعنى ان يأخذ الإنسان مقدارا من دمه كل عام

٢-٢) اننا نجد ان الأنبياء فى حديثهم مع النبي محمد صلى الله عليه و آله يقولون له: المبعوث فى الزمن الصالح و هذا يدل على ان البشرية قد تكاملت عبر رسالات الله حتى بلغت مرحلة النضج فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و العهود التالية لعهد، و إنسان اليوم انما يتقدم فى مدارج الكمال بفضل رسالات الله.

تخوم الأرض السابعة و رأسه عند العرش و هو ملك من ملائكة الله تعالى، خلقه الله كما أراد، ثم اقبل مصعدا حتى خرج فى الهواء الى السماء السابعة، و انتهى فيها مصعدا حتى انتهى قرنه الى قرب العرش، و هو يقول سبحان ربي حيث ما كنت..

لا تدرى اين ربك من عظم شأنه، و له جناحان فى منكبهما إذا نشرهما جاوزا المشرق و المغرب، فإذا كان فى السحر نشر جناحيه و خفق بهما، و صرخ بالتسييح و يقول:

سبحان الله الملك القدوس، سبحان الله الكبير المتعال لا اله الا الله الحى القيوم، و إذا قال ذلك سبّحت ديوك الأرض كلها، و خفقت بأجنحتها و أخذت بالصراخ، فإذا سكت ذلك الديك فى السماء سكتت ديوك الأرض كلها، و لذلك الديك زغب خضر (١) و ريش ابيض شديد البياض.. ما رأيت مثله قط و له زغب أخضر أيضا تحت ريشه الأبيض كأشد خضره ما رأيتها قط.

قال: ثم مضيت مع جبرئيل، فدخلت البيت المعمور، فصليت فيه ركعتين و معى أناس من اصحابى عليهم ثياب جدد، و آخرين عليهم ثياب خلقان، فدخل أصحاب الجدد و جلس أصحاب الخلقان (٢) ثم خرجت فانقاد لى نهران، نهر يسمى الكوثر، و نهر يسمى الرحمه، فشربت من الكوثر و اغتسلت من الرحمه (٣) ثم انقادا لى جميعا حتى دخلت الجنة و إذا على حافتيها بيوتى و بيوت أهلى، و إذا ترابها كالمسك، و إذا جاريه تنغمس فى أنهار الجنة فقلت: لمن أنت يا جاريه. فقالت لزيد بن حارثه. (٤)

ص: ١٩١

١-١) و الزغب هو الريش الصغير  
٢-٢) و القرآن الحكيم يقول فى سورة البقره «و تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» فلباس التقوى خير لباس و زاد التقوى خير زاد، و كلما كنت تقيا كان ثوبك فى يوم القيامه أجداً و انشد يمكنك ان تدخل مع رسول الله صلى الله عليه و آله الى البيت المعمور فتصلى فيه.

٣-٣) يعنى استوعب رسول الله الخير الكثير و لفته الرحمه.

٤-٤) الذى تبناه رسول الله صلى الله عليه و آله و هو والد اسامه و قد استشهد فى معركة مؤتة، التى استشهد فيها عبد الله بن رواحه و جعفر الطيار.

و إذا رمانها مثل الدليّ العظام (١)و إذا شجره لو أرسل طير في أصلها ما دارها سبعمائه سنه و ليس في الجنة منزل الا و فيه غصن منها،فقلت ما هذه يا جبرئيل؟ فقال:هذه شجره طوبى قال الله:« طوبى لهم و حُسن ماآبٍ »قال رسول الله:

فعند ما دخلت الجنة رجعت الى نفسي فسألت جبرئيل عن تلك البحار و هولها و أعاجيبها،فقال:هي سرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك و تعالى بها،و لو لا تلك الحجب لهتك نور العرش كل شىء فيه.

و انتهيت الى صدره المنتهى فاذا الورقه منها تظل امه من الأمم،فكنت منها كما قال تعالى: قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فنادى الله سبحانه و تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْتُ انا،مجيبا عنى و عن أمتى:« وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا عَفْوَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ » فقال الله: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ، وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» فقلت: «رَبَّنَا وَ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» فقال الله:« لأحملنك».

فقلت: «رَبَّنَا وَ لَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» .

فقال الله تبارك و تعالى:«قد أعطيتك ذلك و لا متك».

قال الصادق عليه السلام :

«ما وفد على الله تعالى أحد أكرم من رسول الله حين سأل لامته هذه الخصال» (٢)

ص:١٩٢

١- ١) حيث أن رمان الجنة كاللدلو،و دليّ جمع دلو.

٢- ٢) و تلك هي الآيات الاخيره من سوره البقره،و قد جاء ذلك في مضمون حديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله حيث قال: رفع عن أمتى تسع:الخطأ و النسيان و ما لا يعلمون و...و الى آخر الحديث).

فقال رسول الله: «يا رب أعطيت أنبياءك فضائل فاعطني إني فقال الله: قد أعطيتك فيما أعطيتك كلمتين من تحت عرشي: لا حول و لا قوة الا بالله، و لا منجى منك الا إليك» قال: و علمتني الملائكة قولا أقوله إذا أصبحت و أمسيت:

«اللهم ان ظلمي أصبح مستجيرا بعفوك، و ذنبي أصبح مستجيرا بمغفرتك، و ذلتي أصبح مستجيرا بعزتك و فقرى أصبح مستجيرا بغناك، و وجهي الفانى أصبح مستجيرا بوجهك الباقي الذي لا يفنى».

ثم سمعت الأذان و إذا ملك يؤذن لم ير فى السماء قبل تلك الليلة.

فقال: الله أكبر.. الله أكبر.

فقال الله: «صدق عبدى انا أكبر من كل شىء».

فقال: اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله.

فقال الله: «صدق عبدى انا الله لا اله الا انا و لا اله غيرى».

فقال: اشهد ان محمدا رسول الله - اشهد ان محمدا رسول الله.

فقال الله: «صدق عبدى ان محمدا عبدى و رسولى. انا بعثته و انتجيبته».

فقال: حى على الصلاة - حى على الصلاة.

فقال الله: «صدق عبدى دعا الى فريضتى، فمن مشى إليها راغبا محتسبا كانت له كفارة لما مضى من ذنوبه».

فقال: حى على الفلاح - حى على الفلاح.



فقال الله: «حَيِّ الصَّلاَحِ وَ النَّجَاحِ وَ الْفَلَاحِ.» ثم امتت الملائكه فى السماء كما امتت الأنبياء فى بيت المقدس.

و للحدِيث بقية حول

ان الرسول صلى الله عليه و آله كلف بخمسين صلاه، و حين جاء الى موسى عليه السلام و أخبره بذلك، فقال له موسى عليه السلام: ان أمتك لا- تطيق ذلك، فارجع الى ربك فليقللها، فعمل بذلك و قللها الله حتى خمس صلوات، فقال له موسى عليه السلام: ان أمتك لا- تطيق ذلك أيضا، لكن النبى صلى الله عليه و آله خجل من ربه و استحيا ان يطلب من الله التقليل. و قال صلى الله عليه و آله اصبر عليها و تصبر أمتى و قال الله: «ان أديت ذلك أنت و أمتك فانى سأحسب الصلاه الواحده بعشره صلوات.» و هناك أحاديث اخرى فى هذا المجال يمكن الرجوع إليها فى الكتب التى احتوت على النصوص الاسلاميه.

ص: ١٩٤

اشاره

وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا  
(٣) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَتَتَّعَلَنَّ عُلوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ  
عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنَ وَ  
جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنَّ أَحْسَنَ نَسَمٍ أَحْسَنُ نَفْسٍ لِّأَنفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ لِيُسْوُوا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ  
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمْتُمْ أَن يَزْحَمُكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)

اللغة

٤[و قضينا]:القضاء فصل الأمر على إحكام.

٦[الكره]:الرجعه و الدوله.

ص:١٩٥

٧ [ليسوؤا وجوهكم]: يحزنوكم.

٧ [ويتبروا]: التتبير الإهلاك.

٨ [حصيرا]: الحصير الحبس و يقال للملك حصير لأنه محجوب.

ص: ١٩٤

## هدى من الآيات:

ان القرآن الحكيم يكرس فى الإنسان روح المسئوليه، و يبين له بأن طبيعه حياته ليست الا نتيجته لإرادته و سعيه، و يضرب ربنا مثلا فى هذه السوره عن واقع بنى إسرائيل، و كيف انهم عند ما أحسنوا تقدموا، و عند ما أساؤوا تخلفوا، و شروط السعاده اتباع هدى الله الذى يحمله رسوله فى صورته كتاب الهى، و رساله الكتاب تتلخص فى التوكل على الله وحده، و نبذ الشركاء و الأنداد.

و بنو إسرائيل الذين ذرأهم الله من صلب الناجين عن واقعه الطوفان، و حملهم فى سفينه نوح عليه السلام ذلك العبد الشاكر لربه، هؤلاء من الله عليهم -مره اخرى- بكتاب و رسول هو موسى (عليه السلام).

و قضى الرب الى بنى إسرائيل فى الكتاب: انهم يفسدون -بالتأكيده- فى الأرض مرتين، و يطغون فبعد اولى المرتين يبعث الله عليهم عبادا له، و لكنهم يعودون

-بفضل الله-أقوياء،و يغلبون أعداءهم،حيث يجعلهم الله أكثر أموالا و أولادا.

و بسبب قوتهم أو ضعفهم،إحسانهم أو إساءتهم،و هكذا يعود أولئك العباد الى سابق قوتهم،و يدخلون المسجد و هذه سنه الله قائمه على أساس الجزاء،ليس فى الدنيا فقط و انما فى الآخره أيضا حيث ان ربنا يجعل جهنم للكافرين حصيرا.

## بينات من الآيات:

### اشاره

ماذا جرى على بنى إسرائيل؟ يقول تعالى:

[٢] وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ جَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا قَد جَمَعْتَ رِسَالَهُ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَ التَّى حَمَلَهَا موسى فى كتاب التوراه فى كلمه (توحيد الله) و أثر التوحيد فى استراتيجيه العمل «أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا» هو الاعتماد على الله،و الاستفاده من مواهبه العظيمه التى أسبغها على الإنسان،و عدم الاعتماد على الناس و ما لديهم من أفكار و أشياء،و بالتالى الاستقلال السياسى، و الاقتصادى،و الثقافى الذى هو من أعظم ثمرات توحيد الله.

و يبدو ان هذا هو أهم ما توحى به كلمه «إِنْ أَحْسَيْتُمْ أَحْسَيتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» إذ التوكل على الله و ليس على الناس رمز التقدم،و عكسه عنوان التخلف.

[٣] ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا هناك فرق بين من يدخل مكتبته فيجد الكتب متراكمه فيها،و بين من يستوعب الكتب و يحفظها،فيعرف السقيم منها و السليم،فليس كل من امتلك مكتبته كان عالما،كما أن هناك فرق بين من يستوعب علما،و بين من يعمل بذلك

العلم، فليس كل عالم عامل، وهكذا يوجد فرق بين من يعرف الحقائق الروحية و النفسية و بين من يربى نفسه عليها، فأغلب الناس عالمون غير عاملين، و قليل من العاملين يربون أنفسهم على الأخلاق الفاضله.

فقد تعرف الشكر خلال لحظات و تعرف حقيقته، و لكن إذا أردت ان تحوّل هذه الحقيقه الى سلوك فتكون من الشاكرين فان ذلك ليس بالأمر الهين، و المسافه بينهما مقدار الاراده.

### معرفة الذات منطلق الشكر:

ان الشكر عند الإنسان يتجسد تبعاً لأحد موقفين من طبيعته حوله:

الاول: ان يعتقد بأنه موجود متكامل بالأصل، و انه يملك بذاته الجوارح، و الجوانح، و العقل، و العلم، و السعاده، و الرقى، فليس بحاجة الى ان يشكر أحدا.

الثانى: ان يعتقد بأنه كان قطره من ماء مهين فصار إنساناً، ثم أعطاه الله الجوارح و النعم و هى ليست ملكاً ذاتياً له، و انما وهبها الله له فتنه، فان شكره عليها زاده منها، و ان كفر فانه سيعذبه عذاباً شديداً، يقول تعالى وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَ لَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧٧ إبراهيم) و هكذا فان كل نعمه تستحق الشكر الجزيل و الثناء الجميل، فبالعين ترى الأشياء، و بالاذن تسمع، و القلب ينبض بانتظام لتبقى حياً ياذن الله، و ما على الإنسان الا ان يستفيد من كل ما قدره الله له، فلا يعمل الا صالحاً، و لا ينظر الى ما حرمه الله، و لا يسمع الا الكلام الطيب. و هذا هو معنى الشكر.

الكثير من الناس بدل ان تكون النعم عاملاً يؤكد فيهم صفة الشكر، و التواضع للذى من عليهم بها و هو الله، بدل ذلك يتكبرون لأنهم يشعرون بالكمال، فيقدسون

ذواتهم، ويقولون: انما أوتيناها على علم عندنا كما فعل قارون، اما المؤمنون فإنهم يزدادون إيماناً و شكراً لله.

و فى حديث عن عائشه ان رسول الله صلى الله عليه و آله كان يغيب عن فراشه و يتوجه الى البقيع، فيتعبد و يبكى و يتضرع فتقول له عائشه: يا رسول الله أو لم يغفر لك ربك ما تقدم ذنبك و ما تأخر؟ فيقول: نعم. فتقول له: فلما ذا تتعب نفسك؟ فيقول:

«أ فلا أكون عبداً شكوراً.» هكذا كان نوح عبداً شكوراً، و هكذا يأمر الله بنى إسرائيل الذين أنقذ آباءهم مع نوح من ذلك الطوفان العظيم ان يشكروا ربهم، و هو بعدئذ منّ عليهم بكتاب فيه هدى يحمله إليهم نبي عظيم و هو موسى (عليه السلام) الذى قادهم بإذن الله من نصر الى نصر.

فلو أنهم شكروا نعمه الرساله، و نفذوا تعاليمها، فقد أحسنوا لأنفسهم، و كان هذا فى الكتاب مسطوراً كما بينته الآيه التاليه.

### الظالم سيف الله:

[٤] وَ قَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ كِتَابَ التَّوْرَةِ بِنِي إِسْرَائِيلَ بِقَضَاءِ اللَّهِ الَّذِي سَوْفَ يَتَحَقَّقُ.

لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا عَلَوْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَشْبَهُ عَلُو فِرْعَوْنَ الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ رَبَّنَا: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا» (١٤١ القصص).

و العلو هو حاله الغرور بالذات، والاستكبار على الحق، والاستعلاء على الآخرين..

[٥] فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا يَعْنِي حَانَ وَقْتُ الْفَسَادِ الْأَوَّلِ.

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ الْبَأْسُ: الشَّدَّةُ وَالْغَلْظَةُ وَ هِيَ كَلِمَةٌ تَسْتَعْمَلُ عَادَةً عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الْحَرْبِ.

و لكن من هم هؤلاء العباد؟ هل يصدق هذا على بخت نصير، هكذا قال البعض فلقد كان ملكا على بابل في العراق، فقاد جيشه نحو فلسطين، فأنهى حضاره اليهود، وهدم الهيكل، و قتل سبعين ألفا منهم، و سبي الآلاف، ثم تأجحت الحروب بين بابل و بلاد فارس، و التي كان يرأسها كورش الاول، فانتصر الأخير و حرر المستعبدين من بنى إسرائيل، و أعادهم الى فلسطين، و بنى لهم الهيكل، و حينما رأى اليهود ذلك علو في الأرض ثانية و أفسدوا فيها.

و لو كان هذا المقصود فهل يمكن ان يسمى القرآن السفاكين كبخت نصر «عِبَادًا لَنَا»؟ بلى، إذ الصالح و الفاسد كلاهما عبدان لله، و قد يكون الظالم وسيلة انتقام الرب من العصاة حيث

جاء في حديث قدسى «الظالم سيفى انتقم به و انتقم منه.» «فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَ جَاسَ مِنْ التَّجَسُّسِ أَيْ دَخَلَ بَخْتُ نَصْرٍ وَ جَمَاعَتُهُ أَعْمَاقَ الْبِلَادِ، وَ تَجَسَّسُوا عَنْ أَحْوَالِهَا.



وَكَانَ وَعِيداً مَفْعُولاً- فحينما ينزل البلاء قد لا يدفعه الدعاء، ولا الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر، وحين يولى على الناس شرارهم بسبب تفریطهم فى جنب الله، و ترك وظيفه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لا يستجاب دعاؤهم. لماذا؟ لان الذنب قسمان، فاذا كنت قد أذنبت أنت، ثم رفعت يديك بالدعاء و تبت الى ربك فان الله قد يغفر لك، ما إذا فسد المجتمع كله، فانه لا ينفعه دعاء فرد واحد، انما يجب ان يتوبوا الى الله جميعا. و يصلحوا ما فسد من أمورهم.

[٦] ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ اى صارت الكره لبنى إسرائيل على أهل بابل و الحاكمين فيها.

وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا النفير جمع نفر و معناه العدد المقاتل.

### الإنسان قرين عمله:

[٧] إِنْ أَحْسَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا لقد كان علوكم و قدرتكم بسبب أعمالكم الحسنه. و الإنسان قرين عمله حسنا كان أو سيئا، و قد قيل -مره- لهرتزل مؤسس الكيان الصهيونى الغاصب فى فلسطين: كان اليهود خلال اربعة آلاف سنه بؤساء محرومين، فكيف تبادر الى ذهنك تأسيس دوله لهم؟ فقال: قرأت قرآن (محمد) فأريت فيه آيه تقول: «إِنْ أَحْسَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» فعرفت ان البؤس الذى يعانىه اليهود فى العالم ليس الا من عند أنفسهم.

هؤلاء الصهاينة حين غضبوا أراضى الآخرين، و طردوهم من ديارهم، و استبدوا فى البلاد ظلما و بطشا، لن يتركهم الله، بل سوف يسלט عليهم عبادا له ذوى بأس شديد، فيصيبهم ما أصابهم فى المرتين السابقتين إذ أفسدوا فى البلاد.

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ آخِرِهِ أَى حان وقت الإفساد الثانى. سلط الله عليهم ملك الروم (اسبيانوس) الذى بعث قائده (طرطوز) الى فلسطين فدخل البيت المقدس، و قتل أهلها، و سباهم، و عمل الفضائع فى بنى إسرائيل حيث يقول تعالى:

لَيْسُوا أَوْجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِالطَّبَعِ إِنْ بَخْتِ نَصْرٍ غَيْرِ (اسبيانوس) و لكن القرآن يريد ان يذكرنا بان الطغاه سواء جاؤوا من الشمال أو الجنوب فهم ذووا مسلک واحد و هدف مشترك.

و ما ذكرناه سلفا واحد من التفاسير المعروفه فى هذه الآيات، و هناك من يرى غير ذلك، مثلا:

١- ان (القدس) قد بنى مره على عهد داود و سليمان (عليهما السلام) فهدمه بخت نصر، و مره اخرى بنى على عهد ملوك الفرس من سلسله (هخامنش) و ان قائدا باسم (طيطوس) هدمه و بقى مهتما حتى فتحه المسلمون على عهد الخليفه الثانى.

٢- و قالوا: بأن فساد بنى إسرائيل الاول كان فى عهد بدايه الإسلام، حيث قمعه عباد الله المسلمون. اما فسادهم الثانى فهو اليوم، و سوف يقمعه عباد الله المسلمون، أيضا. نرجو ان يكون ذلك قريبا بأذن الله.

وَ لِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا

إذ كانوا يقطعون الأشجار، و يحطمون العمران و يهلكون الحرث و النسل.

[٨] عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَاِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا فَاذَا تَرَكْتُمُ الْفُسَادَ، و توجهتم الى تعاليم الله فانه سوف يغنيكم و يرحمكم. هذا فى الدنيا اما فى الآخرة فانه تعالى يقول:

وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ان بنى إسرائيل لم ينتفعوا بهذه الحكمة الالهيه البالغه، فجاؤوا الى فلسطين جبارين بعد أن ربطوا أنفسهم بالقوى المفسده فى الأرض، و قتلوا، و شردوا، و اربوا، و ارتكبوا أبشع الجرائم بحق الناس الآمنين من أهالى فلسطين باسم حقهم فى ارض الميعاد، و لعمري لو كان دينهم يعطيهم شرعيه الظلم و العدوان فانه ليس دين الله، و لا- هو ينسجم مع وجدان الإنسان، انما هى عقد نفسيه تراكمت عبر التاريخ، و انفجرت اليوم، و لان امهلهم الرب العزيز الحكيم، فلسوف يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

هذا عنهم، اما عنا فلقد جعلنا هذه الآيه خلف ظهورنا، و لم ننتفع بحكمتها أيضا، فلقد كسلنا، و تقاعسنا، و اختلفنا، و لم نتضرع الى الله، و نصلح أنفسنا حين أحاط بنا البلاء، و كان بنوا إسرائيل اليوم بالنسبه إلينا كما كان بخت نصر بالنسبه إليهم ظالمين، ينتقم الله بهم منا، و ثم ينتقم منهم بمن يشاء سبحانه.

إشارة

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١) وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لتَعْلَمُوا عِدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَا تَفْصِيلًا (١٢) وَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنْ اهْتَدَىٰ فَأَتَمَّمْنَا صَلَاتَهُ فِي نَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمْزَنَّا مُتْرَفِيهَا فَفَسِدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ بِمَدُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ لَهَا فَسَاءَ مَا يَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَ سَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَ لِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)

اللغة

٩ [أقوم]:الأشد استقامه.

١٢ [طائره]:عمله المقدر عليه.

١٤]ولا تزر وازره]:ولا تحمل نفس.

]وزر أخرى]:إثم أخرى.

ص:٢٠٦

### هدى من الآيات:

بعد أن بين القرآن الحكيم فى الآيات السابقة قصه بنى إسرائيل التى تركز البحث فيها حول العلاقة بين أعمالهم و ما أصابهم تبعاً لذلك، لخص فكره القصة و عبرتها فى كلمه حين قال: «إِنَّ أَحْسَيْتُمْ أَحْسَيْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» تؤكد هذه الآيات ذات الفكره، و هى مسئوليه الإنسان الفرد أو المجتمع، و يبين أبعادها، و كيف انها اخطر فكره ينبغى على الإنسان ان يفهمها، فى حين انه ابعد ما يكون عنها، ذلك لأنها تدعوه الى السعى و العمل الجدى، و التحدى، و الصمود، و ما الى ذلك من أسباب التقدم و التى تبدو صعبه على النفس البشريه.

و لذلك فانه تعالى يضرب لنا مثلاً- من التاريخ مره، و يؤكد مره اخرى اهميه تحمل المسئوليه فى الحياه الدنيا و دور هذا الاحساس فى تقدم البشريه، ثم انه يذكرنا بيوم القيامه و مدى مسئوليه الإنسان عن اعماله فيها.

[٩] لقد أتم الله حجته على خلقه حين انزل عليهم القرآن الذى يهديهم الى الصراط القويم.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ «يهدى» من أراد الهداية «لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» بعيدا عن الهوى، و الضلاله، و الخرافه، و فى كل المجالات السياسيه، و الاقتصاديه، و الاجتماعيه، و الثقافيه و التربويه و..و..و بالتالى فهو ينشئ بين سعى الإنسان من جهه، و بين فطرته، و الطبيعه من حوله، و التاريخ و سننه من جهه اخرى، و يخبره ان الإنسان قرين عمله، ان خيرا فخير، و ان شرا فشر، فيقول:

وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا فلا يكفى الايمان وحده، بل يجب ان يعمل المؤمن الصالحات، و عندها يكون له عند الله أجر كبير.

[١٠] وَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فالإيمان بالآخره وحده ركن مهم يجعل الإنسان يشعر بالمسئوليه إزاء أعماله، و انه مجزى عليهما، ان لم يكن ذلك فى الدنيا ففى الآخره. مما يدفعه لتحمل المسئوليه و العمل الدؤوب.

[١١] وَ يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ الْخَطَأَ الكبير الذى يرتكبه الإنسان دائما هو أنه يحسب الشر خيرا، و السؤال:

أو ليس له عقل يميز بين الخير و الشر؟ بلى له عقل و لكنه عاده ما يكون محجوبا بأهوائه

و مصالحه التي يستعجل بها، فيقدم على الكبائر من الذنوب ظنًا منه بأنها خير بمجرد انها توفر له بعض اللذات الآنيه، و لا يثور على السلطان الجائر خشيه فقدان بعض المصالح العاجله.

وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا وَ هَذِهِ الطَّبِيعَةُ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَتَوَهَّمُ بَانَ عَصْفُورَهُ فِي الْحَاضِرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَيَتَقَرَّبُ إِلَى الدُّنْيَا لِأَنَّهَا عَاجِلَةٌ وَ إِنْ كَانَتْ شَرًّا، غَافِلًا عَنْ إِنْ

(رَبِّ أَكَلَهُ مِنْعَتُ أَكْلَاتٍ) بَيْنَمَا يَتَنَازَلُ عَنِ الْآخِرَةِ وَ يَحِيدُ عَنْ طَرِيقِهَا.

وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ وَ يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ذَلِكَ لِأَنَّ الْخَيْرَ بِحَاجَةٍ إِلَى صَبْرٍ وَ الْمَسْئُولِيَّةَ لَا تَنُمُو فِي قَلْبِ عَجُولٍ، وَ أَمَّا فِي قَلْبِ مَطْمَئِنٍّ صَبُورٍ، وَ لَعَلَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَذَكُرُ أَيْضًا بَانَ تَأْخِرُ الْجَزَاءَ عَنْ وَقْتِ الْعَمَلِ قَدْ يَغْرَى الْإِنْسَانَ الْغَافِلَ بِارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ كَانَ عَجُولًا.

وَ الْعَجَلَةُ مِنْ ذَاتِ الْإِنْسَانَ، حَيْثُ إِنَّهَا نَابِعَةٌ مِنَ الْجَهْلِ بِالْمُسْتَقْبَلِ، وَ الْإِحْتِجَابُ عَنْ غَيْبِ الزَّمَنِ، بَيْنَمَا الصَّبْرُ وَ لِيَدِ الْعَقْلِ، وَ الْعِلْمُ بِالنَتَائِجِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، وَ مَعْلُومٌ أَنَّ ذَاتَ الْإِنْسَانَ جَهْلٌ، وَ الْعِلْمُ مِنَ اللَّهِ، وَ هَكَذَا تَكُونُ الْآيَةُ مُنْتَظِمَةً إِلَى سِيَاقِ الْآيَاتِ الَّتِي تَذَكُرُنَا بِالْمَسْئُولِيَّةِ.

### المسؤولية و عامل الزمن:

[١٢] وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتِينَ فَاللَّيْلُ وَ مَا فِيهِ مِنْ سَكُونٍ وَ هُدُوءٍ آيَةٌ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ، وَ كَذَلِكَ النَّهَارُ وَ مَا فِيهِ مِنْ تَحْرُكٍ وَ نَشَاطٍ آيَةٌ أَيْضًا.



فَمَحْوُزَاتُ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعْلُ آيَةِ النَّهَارِ مُبْصِرَةً أَي جَعَلْنَا اللَّيْلَ سَكَنًا وَهُدُوءًا-و كأن الليل آية ممحاه-ذلك لان الليل لمن ينامه قصير، أما النهار فأيته مبصره لأنه عامر بالنشاط و التحرك من أجل الحصول على الرزق.

لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ تعاقب الليل و النهار مبدأ للحساب الزمنى-هذا هو ظاهر الآية-اما المغزى منها فهو: ان حركة الزمان تدعو الإنسان الى تحمل مسؤوليته فى الدنيا، و ادراك حقيقته نفسه، فالإنسان الذى يجيد فكره فلا يتحرك فانه لا ينتج شيئاً سوى العبث و ضياع الوقت، و

اللّه تعالى يقول فى حديث قدسى: «يا ابن آدم انما أنت أيام فاذا مضى يوم فقد مضى بعضك» فالذى يعرف ان للزمان قيمه (يحاسب نفسه على الساعات و الدقائق) يتقدم لأنه يعلم ان

«من كان مطيته الليل و النهار يسار به و ان كان واقفا.» وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلاً فَأَيَّامٌ لَهَا حِسَابُهَا، و اليوم يختلف عن الغد، و هذا الشهر يختلف عن الآخر، و ان كانت كلها لله، و قد فضل الله لنا بيان حقيقته الزمان، و التقدير لكى نتذكر و نعى واقع أنفسنا، و الله الذى دبر شؤون الليل و النهار و القمر و الشمس، و قدرهما بالسنين و الحساب، جعل للإنسان أيضاً كتاباً و حساباً، فما من عمل يقوم به أو خطوه يخطوها، أو فكره تجول فى ضميره إلا و تسجل فى كتابه، و يحاسب عليها يوم القيامة.

[١٣] وَ كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ

و هذه الآيه دعوه ضمنيه الى تحمل المسؤوليه لأنها تذكر الإنسان بمسؤوليته عن عمله و الذى يترتب عليه جزاؤه فى الحاضر و المستقبل.

و نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا فللإنسان كتاب عند الله، فيه تفصيل ما عمله فى دنياه. ينشره له يوم القيامة ليقراه.

[١٤] اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا الإنسان يعترف بأعماله، و يحكم نفسه بنفسه، فلا حاجه الى محكمه تقضى عليه، و لا الى شهود يثبتون عليه جرائمه، بالرغم من وجود تلك المحكمه و أولئك الشهود.

و بعد ذلك يوضح لنا ربنا بعدا آخر من ابعاد المسؤوليه و هى مسئوليه الإنسان عن هداه و ضلالتة كمسؤوليه عن سعيه و عمله، إذ يقول تعالى:

[١٥] مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا و كثيرا ما ترى أناسا يضلون، فيلقون اللوم على عاتق الآخرين كأن يقول: لم يكن هناك من يهدينى، أو ان الحكومه ضللتنى، أو ان البيئه الثقافيه و التربويه لم تكن مساعده لى على الهدايه. كلا.. ان الله اعطى لكل إنسان قدره الكشف و الاهتداء، و وفر له فرصه الهدايه، و انما يتبع البشر هواه لأنه أسهل له و أقرب الى طبيعته الجاهليه العجوله.

و مثلما هو مسئول عن ضلالتة، فهو مسئول عن اعماله، و حرام ان يلقى اللائمه

على الآخرين.

وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۗ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِيَ أَحَدًا إِلَّا إِذَا أَرَادَ الْآخِرُ أَنْ يَهْتَدِيَ بِهِدَاهُ، كَمَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ إِضْلَالُ الْآخِرِ إِلَّا إِذَا أَرَادَ هَذَا أَنْ يَضِلَّ بِضَلَالَتِهِ، وَ لَكِنَّ الْقُرْآنَ يَنْفَى ذَلِكَ وَ يَقُولُ: أَنْ لِكُلِّ عَمَلِهِ. وَ لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى تَحْمِيلِ وَزْرِ عَمَلِكَ.

وَ الْآيَةُ هُنَا تَقُولُ «وَازِرَةٌ» وَ هِيَ اسْمُ فَاعِلٍ لِلْمُؤْنِثِ، كُنَايَةُ عَنِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَ هُنَا تَتَّبِينُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ النَّفْسِ وَ الْمَسْئُولِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ.

وَ مَا كَذَّاءُ مُعَيِّدِينَ حَتَّى نَبَعَثَ رَسُولًا ۗ أَنْ التَّارِيخُ يَحْدِثُنَا بِأَنَّ الْعَذَابَ لَمْ يَنْزَلْ عَلَى أُمَّةٍ مِمَّا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ هَادِيًا يَنْذِرُهُمْ، وَ يُبَلِّغُهُمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ.

كَلِمَةُ «الرَّسُولِ» عَامَةٌ تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ حَمَلَ رِسَالَةَ التَّوْحِيدِ بِصُورِهِ مَبَاشَرَةً كَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَوْ غَيْرِ مَبَاشَرَةً مِثْلَ الْأُتَمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ أَوْ الْفُقَهَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ، أَوْ الرِّسَالِيِّينَ وَ الْمُجَاهِدِينَ.

### كيف تنهار الأمم؟

وَ دَلِيلُ مَسْئُولِيَّةِ الْبَشَرِ، هُوَ جَزَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى سَيِّئَاتِ عَمَلِهِ، وَ عَلَيْنَا أَنْ نَقِيسَ الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا، وَ دَلِيلُ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ حِكْمَتِهِ، أَنَّهُ لَا يَعْذِبُ أَحَدًا حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا، أَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَمْ يَهْلِكْ قَرِيْبُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ حُجَّتَهُ عَلَيْهِمُ بِالرِّسَالِ.

وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرِيْبَهُ أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا

ص: ٢١٢

يربط القرآن الحكيم في هذا السياق بين الإسراف و هلاك القرى، و لكن بماذا امر الله المترفين؟ المأمور به هنا محذوف و هو معطوف على قوله تعالى: حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْهَدَى وَ الْخَيْرِ وَ التَّقْوَى، و لكنهم حين لا يعملون بها بل يفسقون عنها، و يحاربون الله و رسوله، فما ذا يحدث آنذا؟ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا<sup>□□</sup>هَا تَدْمِيرًا اى تحققت عليهم المسؤليه و أصبحت لله الحجه البالغه عليهم، فدمرهم بسبب تركهم لها تدميرا، و لعل الآية تشير الى حقيقه تاريخيه هامه هي: ان الله سبحانه يبعث الرسل عاده على القرى التى ينتشر فيها الفساد. و يتسلط عليها المترفون، و ذلك لكى يرتدعوا، و لا يستمروا فى رحله الفناء حتى النهايه، و عاده لا يتوبون فيحق عليهم العذاب، و ربما تشير الآية أيضا الى الدورات الحضاريه فى التاريخ.

[١٧] وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا فاذا قلنا باننا لسنا من قوم نوح، أو قوم عاد، أو ثمود، فان الله يؤكد لنا بأنه سبحانه اعلم بذنوبنا منا، و ليست المسأله محصوره فى عنصر ما، بل هي سنه الله فى الخلق.

[١٨] قد جاء فى الآية (١٢) من هذه السوره المباركه: وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا و هذه الآية تكلّمنا و تقول:

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ

فاذا أراد الإنسان الدنيا فان الله يؤتیه منها بقدر حکمته و وفق سنته.

ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصِيحًا لَهَا مَیْدُومًا مَیْدُحُورًا فَيَذِمُّ نَفْسَهُ، وَ يَذِمُّ الْآخَرُونَ، وَ يَدْحُرُونَهُ، أَى یبعدونه عنهم و كذلك الله یذمه و یدحره.

وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَ سَعَى لَهَا سَعِيًّا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا وَ تشير الآیه الى ان سعى الإنسان فى الدنيا مفید، فان كان یرید الدنيا فان الله سبحانه یعطیه منها بقدر، و من أراد الآخره یشکره الله على سعیه.

و لكسب رضى الله و الفوز بالجنة لا یکفى الإنسان ان یحلم بذلك، بل علیه ان یسعى من اجله، و ان یرید مؤمنا بعمله، یؤدیة عن خلوص نیه.

[٢٠] كَلَّا- نَبِيْدٌ هُوَ لِأَيِّ وَ هُوَ لِأَيِّ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا وَ قد يتساءل المرء: من اين تأتي قوة الإنسان التى یختار بها طريقه و یسعى بها فیة؟ الحقیقه ان قوة الاختیار، و قوة السعى هی من عند الله، فحتى العصاه یستمدون قوتهم من الله، فلیس عطاء الله ممنوعا عن أحد، و هذا منتهى الحریه الممنوحه للبشر.

[٢١] أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ لِلآخِرَةِ أَكْبَرُ

دَرَجَاتٍ وَ أَكْبُرُ تَفْضِيلاً فَاذَا كَانَ الْفَرْقُ بَيْنَ إِنْسَانٍ وَ آخَرَ فِي الدُّنْيَا الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ، وَ الرَّفَاهِ الْوَاسِعِ، فَانْ هَذِهِ الْفَوَاصِلُ فِي الْآخِرَةِ تَكُونُ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ، وَ الْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا أَعْرَضَ، فَتَرَى إِنْسَانًا مُؤْمِنًا يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَجْتَازُ الصَّرَاطَ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجَنَّةِ، وَ هُنَاكَ مُؤْمِنٌ يَنْتَظِرُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي صَحْرَاءِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَصِلَ دَوْرَهُ لِلْحِسَابِ، بَيْنَمَا نَجِدُ جَارَهُمَا الْمُنَافِقَ أَوْ الْكَافِرَ يَلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا.

ص: ٢١٥

إشارة

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنْ الْمُمِيزِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ أَنْ تَكُونُوا قَتْلًا ظَاهِرًا فَذَرْهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَإِن كَانُوا بِهِ سَاهِبِينَ لِقَتْلِهِمْ جُزَاءً يُدْرَسُونَ (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ الَّذِي آتَىٰكُمْ مِنْهُ فَكُنْتُمْ آفَافًا يَتَفَضَّلُونَ (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)

اللغة

٢٣] و لا تنهرهما]:النهر هو الزجر ياغلاظ و صباح.

٢٥]للأوابين]:الراجعين بعد الذنب.

٢٦]تبذيرا]:التبذير التفريق بالإسراف و أصله أن يفرق كما يفرق البذر.

٢٨] تعرضن[:الاعراض صرف الوجه عن الشيء.

[ميسورا]:القول باللفظ و اللين.

٣١]إملاق[:خوف الفقر.

ص:٢١٧



هدى من الآيات:

تحدد الآيات الكريمة هذه عده جوانب من المسؤولية الاجتماعية للإنسان، و كمثل تنفيذى لفكره المسؤولية ذلك ان القرآن الحكيم لا يحدثنا عن قضيه فى جانبها النظرى، الا- و تطرق الى جانبها العملى أيضا، فلا يدع النظريات بلا برامج عمليه، كما لا يترك المناهج العمليه من دون جذور نظريه.

و لمسؤوليه الإنسان فى الحياه الدنيا علاقته بالمناهج التى جاءت بها الآيات، و لذلك قال بعض المفسرين بان سوره (كذا) قد خصصت للبرامج العمليه و قال بعضهم: بأنها تبحث القضايا النظرية. و كلاهما صادق فى تفسيره لان السوره تحدثنا عن الواقع كواقع، سواء كان نظريا أم عمليا.

فمثلا الآيات (٢٢) و (٣٩) تبحث فى التعاليم الاجتماعيه و البرامج العمليه، و لكنها تبدأ بقوله: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) - (٢٢) - و تختم البحث الآيه (٣٩) بقوله: وَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا .

و السؤال: لماذا تبدأ هذه الآيات و تنتهى بموضوع واحد هو النهى عن الشرك بالله سبحانه و تعالى؟ ان الشرك بالله يشكل جذر كل مشكله، اجتماعيه كانت أو نفسيه، فالشرك وجهها النظرى بينما وجهها العمل فهو الكذب و الغدر و الخيانه، و عدم الوفاء، و غير ذلك. و كذلك الايمان بالله و توحيده من جهه، و الصلاه و الصوم و الحج و غيرها من مظاهر التبعيد لله من جهه اخرى يعتبران وجهين لقضيه واحده.

و هناك أمر لا بأس بالاشاره اليه و هو ان الله سبحانه و تعالى فى سورة النحل (الآيه ٩٠) يقول: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ يَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ و فى الآيات التالیه من سورة الإسراء يؤكد هذه المعانى. إذ ان العدل هو: ان تتحرك فى الصراط المستقيم فلا تفرط و لا تفرط، و ان تفى بحقوق الآخرين، اما الإحسان فهو: ان تحسن الى غيرك فى المعامله، و الإحسان اسمى درجه من أداء الحقوق، و البغى هو: القتل، و الفحشاء هو: الزنا، و المنكر هو: الكذب، و هكذا بقيه المعانى، و من أراد التأكيد فى مدى تطابق هذه الآيات مع تلك. عليه ان يراجع تفسيرنا لسوره النحل، و هناك ملاحظه:

«ان العدل هو إعطاء كامل الحقوق، و أما الإحسان فهو إعطاء الزیاده».

### بینات من الآيات:

### الشرك جذر الانحراف:

[٢٢] لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا جاء النهى عن الشرك فى مقدمه الحديث عن قضايا اجتماعيه لان الإنسان قد يعبد صنما فيتخذه إلهًا، سواء كان هذا الصنم رمزا لرئيس القبيله أو لصاحب المال أو لصاحب الصولجان أو لآيه قوه اجتماعيه اخرى، و إذا ما فعل ذلك فانه سيندم،

و يذمه عقله، و كذلك العقلاء كما سيكون بعيدا عن نصره الله.

### من حقوق الوالدين:

[٢٣] وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فَالْعِبَادَةُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي حِينِ أَنْهُ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحْسِنَ لِمَنْ يَشَاءُ.

وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ الْإِحْسَانُ هُوَ الْعَطَاءُ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ، وَ هُوَ مَمْدُوحٌ عِنْدَ اللَّهِ. بِعَكْسِ الْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ الْخُضُوعُ وَ التَّسْلِيمُ وَ بِالتَّالِيِ الْعَطَاءُ بِإِكْرَاهٍ.

إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَ لَا تَنْهَرُهُمَا وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا فَالْأَبُ أَوْ الْإِمُّ عِنْدَ مَا يَكْبُرَانِ تَتَغَيَّرُ حَالَتُهُمَا النَّفْسِيَّةُ فَتَكُونُ طَلِبَاتُهُمَا بِحَيْثُ قَدْ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِبْنُ أَنْ يُوفِّرَهَا لَهُمَا، فَعِنْدَئِذٍ يَجِبُ الِاتِّرَادُ طَلِبَاتُهُمَا وَ لَا يُؤْذِيَانِ وَ لَوْ بِكَلِمَةٍ «أَفٍّ» وَ هِيَ تَعْبِيرٌ عَنِ الضَّجْرِ، بَلْ عَلَى الْإِبْنِ أَنْ يُجِيبَهُمَا بِكَلِمَاتٍ تَبْعَثُ الْأَمَلَ فِي نَفْسَيْهِمَا وَ تَحْفَظُ لَهُمَا كِرَامَتَهُمَا.

[٢٤] وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَخْفِضَ جَنَاحِيَهُ لَوَالِدِيهِ كَمَا يَفْعَلُ الطَّيْرُ مَعَ أَفْرَاحِهِ، وَ هَذَا لَا يَعْنِي خُضُوعَ الْعَقْلِ وَ الْإِرَادَةَ وَ أَمَّا خُضُوعُ الرَّحْمَةِ وَ الشَّفَقَةِ وَ بِالتَّالِيِ فَانْ عَلَى الْإِبْنِ أَنْ يَرْفَعَهُ بِالْدَعَاءِ:

وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا فكم يتعب الأب و الام على الابن، فالام تنهض فى الليالى الظلماء من نومها، و تترك فراش الراحه من أجل ان تغذى طفلها و تهدأه كما يخوض الأب غمار الاخطار من أجل إطعام ولده و يسهر على راحته، فلا بد ان يطلب الابن لوالديه الرحمه من الله. و الآيه تدل على: ان الدعاء بحق الآخرين نافع لهم كما ان الشفاعة -و هى نوع من الدعاء- نافعه بحق المذنبين.

[٢٥] رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا فالله يعلم بما يجرى فى نفوس الأبناء من تمنيات و طلبات، فقد ترى الابن يسب أبويه إذا ما مرضا، و لكن الله يدعونا الى ابعاد الشيطان و وساوسه عن النفس، و الاستغفار لهما عما مضى فانه تعالى غفور ودود. و لعل الآيه تعالج-عبر الأمر بالإحسان و الرحمه و الاستغفار- و هى التى تنظم علاقه الأبناء بالآباء فى هذه المجموعه من الآيات.-تعالج عبرها مشكله صراع الأجيال، إذ كل جيل يعيش وضعاً مختلفاً عن الجيل الماضى، و بالتالى: ينتقد الجيل الماضى، كما يتعرض عادة لانتقادات لاذعه منه، و السبيل الى حل المشكله:

اولاً: بالإحسان، إذ ان جيل الأبناء ذى القوه الناميه يجب ان يجعل بعضاً من قدراته للجيل الذى تتلاشى الآن قواه. ليتمتص كثيراً من تحفظاته التابعه عن فقدده لمصالحه.

و ثانياً: بالأخلاق الحسنه، كالتشاور و الاحترام و التذلل رحمه و ليس صغاراً.

و ثالثاً: بالعفو عن سيئاتهم و الاستغفار لهم فهل انهم كانوا مخطئين أ فلا

يستحقون المغفرة من الله؟ بلى و لعل الآيه الاخيره تشير الى انه ليس من المعلوم من هو المذنب بل الله اعلم بكم فلا تخطئوا الآخرين عبثا.

### الإففاق زكاه المال:

[٢٦] وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا الَّذِي لَدَيْهِ أَمْوَالُ طَائِلِهِ وَ لَا يُعْطَى حَقَّهَا فَانْه لَا بَدَانَ يَكُونُ مُسْرِفًا، لَانَ صَاحِبِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْعَطَاءِ السَّرْفُ أَوْ الْبُخْلُ، وَ مَا الْإِسْرَافُ إِلَّا اسْتِعْمَالُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ أَجْلِهِ، وَ بِذَلِكَ فَانْهُ انْحِرَافٌ عَنِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَ سُنَنِهِ فِي الْحَيَاةِ وَ كُلِّ مَا خَالَفَ أَوْامِرَ اللَّهِ وَ سُنَنَهُ فِي الْخَلْقِ فَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْكُفْرِ، وَ الشَّيْطَانُ كَافِرٌ، يَقُولُ تَعَالَى:

[٢٧] إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَ الشَّيَاطِينُ مِنَ الْإِنْسِ هُمُ الطَّغَاةُ وَ مِنْ يَبْذُرْ مَالَهُ لَا بَدَانَ يَفْتِشُ عَنْ مَصَادِرٍ غَيْرِ شَرْعِيَةٍ لَجَمْعِ الْمَالِ وَ لَا يَجِدُهَا إِلَّا بِالتَّحَالُفِ مَعَ الطَّغَاةِ.

[٢٨] وَإِذَا تَعَرَّضْنَا عَنْهُمْ إِيغَاءَ رَحْمَتِهِ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا إِذَا أَنْتِ أَعْرَضْتَ وَ لَمْ تَعْطِهِمُ الْقَلِيلَ أَوْ الْكَثِيرَ، فَقَابِلْهُمْ بِالِابْتِسَامَةِ، وَ الرَّدَّ اللَّطِيفَ. وَ هَذَا ادْنَى الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ تَجَاهَ الرَّحْمِ وَ الْأَقْرَبَاءِ.

### كيف نفق؟

[٢٩] ١- وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ

و هنا يشبه القرآن البخلاء بالذين يربطون أيديهم بأعناقهم فيخنقون أنفسهم.

ذلك انما يجمع الإنسان المال من أجل ان يكون حرا فى التصرف.و ليسهل عليه الصعاب،فاذا بخل فان الهدف من امتلاك المال سوف يتلوث و يصبح العكس.إذ سيصبح هو خادما للمال و هكذا يكون البخل هو الفقر الحاضر.

٢- وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا و هناك-على العكس من البخلاء-أناس يبسطون أيديهم الى درجه انهم يفقدون كل شىء،فيتحسرون على ما فاتهم و يتأوّهون،و بالتالى فان الناس سوف يذمونهم و يلومونهم على فعلتهم.

و هؤلاء انما يفقدون توازنهم و حسن التصرف بسبب حبهم المفرط للمساكين، و لهذا الفريق من الناس يقول تعالى:

[٣٠] إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كَانٌ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا فالله يبسط الرزق بحكمه و يضيق و يقدر بحكمه أيضا.فلا- يفكر أحد بأنه سيكون ارحم من الله لعباده.و لعل الآيتين تنظمان سلوكك البشر فيما يرتبط بالمال بصفه عامه فعلى الإنسان ان يتوخى القصد فى الصرف.فيعطى بقدر،و لا يبذر و لا يبخل.

### التقه بالله مفتاح السعاده:

[٣١] وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ كَانَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ خَشْيَةَ الْفَقْرِ وَ الْفَاقَهُ فَطَمَأْنَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ:

نَحْنُ نَزَرُ قُلُوبَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا لِأَنَّ قَتْلَهُمْ يَحْرِمُكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْوَالِدِ مِنْ جِهَةٍ وَيَحْرِمُهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْحَيَاةِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةً.

[٣٢] وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا الزنا أسوء طريق يتخذه الإنسان في إشباع غريزته، لان الزنا ظلم للنفس و تعدى على القانون، فكما انه من الظلم ان يقتل الإنسان نفسا حرما لله - كذلك حرم الله العيب بمصير الأجيال الناشئة من أجل السرف في الشهوات. ذلك ان الزنا يهدم البناء الاسرى و بالتالى ينسف قواعد البناء الاجتماعى القائمه على أسس الترييه و التكامل و التعاون، و هكذا نجد المجتمعات الجاهليه التى فقدت الاسره كيف فقدت أكثر القيم الانسانيه.

[٣٣] وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا فالمقتول ظلما يحق لوليه ان يقتص من قاتله، و لكن بشرط الا يتعدى الحدود، و الا يستبد به غضبه، فهو في كل حال منصور من قبل الله. و هذه احدى سنن الله فى الحياه.

إشارة

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَآؤُفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَآؤُفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَ زُنُوا بِالْقَسِيءِ طَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصِيرَ وَالْأَفْؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩) أ فَأَصِفْ مَا كُنْتُمْ بِالَّذِينَ وَ اتَّخَذْتُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُؤًا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)

اللغة

٣٧[فرحا]: فرحا و بطرا و اختيالاً.

٤٠[أ فأصفاكم ربكم]: أ فخصكم ربكم؟



٤١]صرفنا]:كررنا بأساليب مختلفه و طرق متنوعه.

٤٤]أكنه]:أغطيه و أغلفه.

ص:٢٢٤

و الهروب من المسؤوليه

### هدى من الآيات:

هناك تساؤل: إذا كانت سوره الإسراء تتحدث عن المسؤوليات التي يجب على الإنسان أدائها. فلما ذا يتطرق هذا الدرس الى بيان التوحيد و الشرك و ابعادهما؟ و بشكل عام لماذا يحدثنا ربنا سبحانه و تعالى عن قضيه الشرك و التوحيد كلما تحدث عن المسؤوليه؟ الجواب: ان المسؤوليه هي ذات التوحيد، و اللامسؤوليه هي ذات الشرك، بل ان التهرب من المسؤوليه و التبرير انما هما الهدف من وراء الشرك.

النفس البشريه، قوه نسميها بالقوه المسؤله عملها تبرير الكسل و الجمود، و تسويل الفحشاء و المنكر، و هذه القوه التي يثيرها الشيطان أيضا تزين الاستسلام للدعه و الاسترسال مع الشهوات بطرق أبرزها:

١- الحتميات حيث يخيل للنفس عجزها عن مقاومه ضغوط الطبيعه و المجتمع

عليه. فيتملص عن المسؤولية باسم الحتمية التاريخيه. أو الاجتماعيه أو الطبيعيه أو ما أشبه.

و هذا نوع من تأليه الطبيعه أو المجتمع. و جعلها فوق قدره الله. و فوق قدره الاراده التي منحها الله للإنسان.

٢- الفداء حيث يزعم البشر انه إذا كانت أوامر الرب شاقه، و لا- يمكن احتمالها إذا دعنا نتصور وجود أرباب آخرين نهرب من الرب الأعلى إليهم لينقذونا عن صعوبات المسؤولية التي يفرضها ربنا الأعلى سبحانه و تعالى.

و هذه هي فكره الفداء التي تسربت الى مذهب النصارى.

و سواء فكره الحتميات أو الفداء فان الايمان بالله الواحد الأحد، ينفىها و يجعل البشر وجها لوجه امام المسؤوليات الكبيره.

ان من يؤمن بالله و لا يتخذ بينه و بين عقله حجابا يشعر فى اعماق ذاته بان الله قد جعله مستقلا فى قراراته حرا فيما يشاء. فاذا وصل الى هذه الحقيقه تحمّل مسؤولياته اعتقادا منه بان متغيرات حياته كالصحه أو المرض، و الاستغلال أو العبوديه و الغنى أو الفقر و ما الى ذلك انما هي من عند نفسه أيضا، و الإنسان البسيط غير المعقد و البعيد عن الشهوات يشعر دوما بهذه الحقيقه و هذا الاحساس يدفع به نحو تحمل المسؤولية، لأنه حينما يعترف بواقعه يرسم لنفسه خطه حكيمه لكي يصل بها الى اهدافه.

فى المقابل نجد إنسانا يتصور بان هناك أشياء اخرى فوق عقله، تلك ما يسمونها اليوم بالحتميات- حتميات التاريخ و الاجتماع و الاقتصاد و السيكلوجيا و التربيه - فيزعم أحدهم بان الحتميات هي التي تصنع الإنسان، و ليس للإنسان ان يتخذ

قرارا نابعا من فكره و إرادته ذلك لان العقل فى نظره ليس الا صورته متطوره للماده.

لقد قسم الأطباء قديما الناس حسب أمزجتهم، فهذا مزاجه صفراوى، و ذاك بلغمى و الآخر سوداوى و هكذا فزعموا ان اراده الناس تتبع أمزجتهم اما أحد الفلاسفه الجدد فانه يقول: بان اراده الإنسان نابعه من الغده الدرقيه، فاذا صار أحدهم طبيبا و الآخر عاملا بسيطا فان ذلك يعود الى مقدار و نوع افرازات الغده الدرقيه فى دم الإنسان، حيث تؤثر هذه الغده فى قراراته.

و يقول الفيلسوف البريطانى المعروف (براندراسل): انك انما تتبع بما تأكل، لانه العناصر الكيمياويه الموجوده فى أنواع الاغذيه، تؤثر فى مخ الإنسان و قراراته و هكذا سلبت هذه النظريات الشركيه قدره القرار من البشر و إذا كان الإنسان لا يستطيع ان يقرر لنفسه قرارا، فهو بمنزله ريشه فى مهب الريح، لا يستطيع ان يتحمل مسئوليه، إذا فهو غير مسئول عن شىء.

اما الفكر اليونانى القديم فانه يعتقد بتعدد الآلهه، فللحرب اله و للسلم اله، و للمطر اله و للنور اله و للظلمه اله و هكذا.. و كان اليونانيون ينحتون أصناما و يتخذونها رمزا لتلك القوى التى كانوا يتصورون بان لها تأثيرا حتميا على أعمالهم و نفسياتهم و هكذا جردوا أنفسهم عن مسئوليه أعمالهم حين نسبوها الى الآلهه و هكذا تربط آيات هذا الدرس بين المسئوليه و التوحيد فتبدأ بالنهاى عن أكل مال اليتيم (اشاره الى حرمة المال) و تأمر بالوفاء بالعهد (للتذكركه باحترام العهد) و تأمر باحترام المال، و احترام سمعه الناس و تحزى الحقائق، ثم تنهى عن الشرك بالله و تأمر بتسبيح الله سبحانه، و لعل محرمات هذا الدرس تسد أبواب الظلم، و تضع قوانين اجتماعيه تحافظ على حقوق الناس، ابتداء من حفظ حقوق الأيتام (و هم حلقه ضعيفه فى المجتمع) و احترام الكيل و الوزن و احترام سمعه الناس، و ضروره الوفاء بالعهود و ما أشبه.

مسئوليات اجتماعيه:

[٣٤] وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ يُحَقُّ لَوْلَى الْيَتِيمِ أَنْ يَأْخُذَ مَالَ الْيَتِيمِ فَيَسْتَشْمِرهُ لِمَصَالِحِ الْيَتِيمِ، وَ لَكِنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ التَّصَرُّفُ فِي هَذَا الْمَالِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَجَالِ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ حِينَئِذٍ يَصِلُ إِلَىٰ مَرَحَلَةِ الْبُلُوغِ فَتَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَمْوَالُهُ، وَ لِأَنَّ الْيَتِيمَ ضَعِيفٌ فَاحْتِرَامُ مَالِهِ يَدُلُّ عَلَىٰ ضَرُورَةِ احْتِرَامِ أَمْوَالِ الْأَقْوِيَاءِ بِالطَّبَعِ.

وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا - وَ الْعَهْدُ رَكِيزَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَ مَحْوَرٌ لِلتَّعَاوُنِ وَ التَّبَادُلِ الْفِكْرِيِّ وَ السِّيَاسِيِّ وَ التَّجَارِيِّ، وَ الْإِسْلَامُ يَحْتَجُّ عَلَىٰ أَدَاءِ الْعَهْدِ لِهَذَا السَّبَبِ أَوَّلًا، وَ لِسَبَبِ اخْتِلَافِي تَانِيًا، وَ لِأَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ الشَّرْعِ ثَالِثًا: وَ الْعَهْدُ وَاحِدٌ مِنْ أخطرِ مَسْئُولِيَّاتِ الْبَشَرِ فِي حَيَاتِهِ.

[٣٥] وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ طَاسِ الْمُسْتَقِيمِ الْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ: هُوَ الْبَيْعُ الَّذِي لَا غِبْنَ فِيهِ وَ لَا غَشَّ وَ لَعَلَّ احْتِرَامَ الْكَيْلِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَكْثَرِ مِنْ احْتِرَامِ حُقُوقِ النَّاسِ، حَيْثُ يَدْخُلُ ضَمْنُ احْتِرَامِ قَوَانِينِ الْبَلَدِ وَ عَدَمِ الْخُرُوجِ عَلَيْهَا لِمَصْلَحَتِهِ ذَاتِهِ.

ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا فَهَذَا أَمْرٌ حَسَنٌ فَطْرِيًّا وَ اجْتِمَاعِيًّا، وَ أَحْسَنُ نَهَايَةٍ وَ عَاقِبَةٍ، لِأَنَّ الْغَشَّ لَوْ سَادَ مَجْتَمَعًا فَسَتَحُلُّ بِهِ كَارِثَةٌ لَا يُمْكِنُ التَّخْلُصُ مِنْهَا ثُمَّ إِنَّكَ لَوْ تَجَاوَزْتَ حُقُوقَ النَّاسِ أَفْلا

تخشى ان تسلب حقوقك أيضا.

[٣٦] وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أَي تَتَّبِعْ أَمْرًا لَا تَعْلَمُ مَبْدَأَهُ وَمَنْتَهَاهُ.

إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا حيث تؤكد هذه الآية على مسئوليته جوارح الإنسان التي يجب ان تتحرك حسب مقياس صحيح و ان مسئوليته قلب الإنسان عن أفكاره و هواجسه و ظنونه و حسده و حقه و جوارح الإنسان عن غمزها و لمزها، و الغيبة و النميمة.

انها لأعظم مسئوليته اجتماعيه و لو سمي المؤمن الى مستوى ضبط فؤاده و سمعه و بصره فيما يخص علاقته بالمؤمنين لكان جديرا بان يدخل جنات عدن..

[٣٧] وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا الإنسان المرح هو الذي يعيش حياه اللامسئولييه و ما يتبعها من ظواهر كالفراغ و اللهو و اللعب و التكبر على الآخرين.

إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولًا فانك لن تقهر الطبيعه فتشق الأرض، و تخرقها، أو تبلغ الجبال عظمه.

[٣٨] كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا يبدو ان تفسير هذه الآية انه ينبغي للإنسان ان يتكبر أحيانا و ذلك حينما يقابل الظالم الجائر حتى لا يشعر بأنه ضعيف امامه، لذلك يؤكد القرآن بان السيئه (مكروهه) -فيكون ما عدى السيئه غير مكروه- فالتكبر على المتكبر ليس

مكروها، بل هو مستحب،

و في الحديث:

«التكبر على المتكبر عباده».

[٣٩] ذَلِكْ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمِ وَ الْحِكْمَةُ هِيَ الْجَانِبُ الْعَمَلِيُّ مِنَ الْعِلْمِ، وَ هُنَا تَعْنِي السُّلُوكُ الْحَسَنُ.

وَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا لَا تَتَّخِذْ لِنَفْسِكَ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَتَلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ يَلُومُكَ النَّاسُ وَ لَا يَنْصُرُكَ الْآلِهَةُ، وَ هَذِهِ الْآيَةُ تُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ مِنَ الصَّنَمِ إِلَهًا، وَ مِنَ الطَّاغُوتِ إِلَهًا وَ حِينَ يَحْطَمُ الْمُؤْمِنُ الْأَصْنَامَ الثَّقَافِيَّةَ وَ الْجَمَاعِيَّةَ وَ الْاِقْتِسَادِيَّةَ فَانْه يَشْعُرُ بِاسْتِقْلَالِهِ وَ حُرِيَّتِهِ وَ يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّاتِهِ بِعِزْمٍ رَاسِخٍ.

[٤٠] أَ فَأَصِيْفًاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا كَانَ الْكُفْرَانُ يَرِيدُونَ النَّيْلَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ لَأَنَّهُمْ يَتصَوَّرُونَ الْمَلَائِكَةَ ضِعَافًا، وَ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَبِرُونَ الْأُنثَىٰ رِمَا لِلضَّعْفِ فَإِنَّهُمْ نَسَبُوا الْاِنْوَاثَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، وَ يَرُدُّ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُمْ هَذَا:

إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا [٤١] وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيُذَكَّرُوا وَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا فَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ الْاِمْتِلَهَ فِي الْقُرْآنِ لِيُبَيِّنَ لَنَا آيَاتِهِ وَ نَعْرِفَهُ بِحَقَائِقِ الْاِيْمَانِ وَ لَكِنْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ نَرَى الْكُفْرَانَ لَا تَزِيدُهُمُ التَّذَكُّرَ الْاِنْفُورًا مِنَ الْحَقِّ.

ص: ٢٣٢

[٤٢] قُلْ لَوْ كَان مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَبْتَغُوا إِلِي ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا. فلو كانت الآلهة متعددة، إذا لاتخذت طريقها الى السماء، و لقاومت الاله الكبير كما يدعون و تمردت عليه، و نالت منه و استرجعت حصتها من الألوهيه! و لاستطاعت ان تقهر الرب سبحانه علما بأنه لا حول لهم و لا طول فكيف تتخذ آلهه من دون الله.

[٤٣] سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا فَالله أكبر من هذه الخرافات التافهه و هو الذي.

[٤٤] تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَن فِيهِنَّ ذَلِكَ ان السماوات على عظمتها و ما فيها من شمس و كواكب و منظومات، و الأرض و ما فيها من حجر و مدر فانها جميعا تسبح لله وحده و تشهد على وحدانيته، و يبدو ان الأشياء كلها ذات شعور بنسبه معينه.

وَ إِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا فَكل يسبح بحمده و لكننا لا نستطيع ادراك ألفاظها و تسيبحاتها لان لكل شيء لغته الخاصه.



إشارة

وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) وَ قَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)

اللغة

٤٩[رفاتا]: ما تكسر و بلى من كل شىء.

٥١]فسيغضون[:الغض تحريك الرأس باستهزاء و استخفاف.

ص: ٢٣٥

اشاره

حينما يتخذ الإنسان موقفا تجاه فكره ما، فإنه لا يستطيع ان يعرف الحقيقه لأنه قد ينظر إليها من وراء حجاب. و هذه صفه الكافرين بالحياه الآخره، و هذه سمه الكثير من الناس، فلا يتلون آيات القرآن الا من وراء حجاب، و لا يستمعون اليه الا عبر مجموعه من الأحكام المسبقه التي اصدرتها أنفسهم.

و يبقى السؤال: كيف يمكن للإنسان ان ينظر الى رساله الله نظره مجردة عن المواقف المسبقه؟ الاجابه على ذلك: ان قوه العقل محدوده عند الإنسان، فاذا تراكمت الشهوات على قلبه، و تكاثفت غيوم الجهل و الضلاله و الخرافات عليه، فإنه بحاجة الى عمليه صعبه و مجهده حتى يتجاوز هذا الركام من الترسبات، كما يحتاج الى هزّه عنيفه ليهدم البناء الفكرى الفاسد و ثم يقيم محله بناء قويا و ليس ذلك بالأمر اليسير.

و نتساءل: كيف تتصلب الاراده، و ينمو العقل. و ما هى الهزّه العنيفه التي تهدم

بناء الأفكار الفاسده، و المتراكمه فوق بعضها فى قلب البشر؟

## الجواب:

بالايمان بالحياه الآخره، حيث انها قوه التعادل، و ثقل السكينه عند الإنسان، فمن آمن بالآخره سلا عن الشهوات، و تعالى فوق الضغوط، و تجاوز العقد النفسيه، و كل ذلك يحفظ قلبه عن الأفكار التى تمليها الشهوات و الضغوط و العقد، و.و.

اما الذى لا- يؤمن بها، فان الله تعالى يجعل بينه و بين القرآن حجابا لا يراه، و لا يمكنه إذا اختراقه، كيف؟ فإذا قلبه مستور ان يفقه، و إذا اذنه ثقيله بالوقر و إذا به يهرب عن حقيقه التوحيد، و يبحث عن الآلهه الكاذبه، و إذا به لا- يستمع- و هم يناجون بعضهم- ان هذا الرسول مسحور، و ليس بعاقل، و بسبب هذه الأمثال يضلون الطريق و لا يهتدون الى سبيل الحق.

و جذر مشكلتهم كفرهم بالآخره إذ يقولون: هل نحن نعود الى الحياه بعد ان نكون عظاما و رفاتا، دعهم يكونون حجاره أو حديدا، أو اى شىء كبير فى نظرهم، فان الذى خلقهم أول مره يعيدهم أما متى؟ فان علمه عند الله فعسى ان يكون قريبا، يوم يدعوهم الله، فإذا بهم يستجيبون لداعى الله و هم يحمدون ربهم، و يزعمون انهم ما لبثوا فى القبر الا قليلا.

## بينات من الآيات:

[٤٥] وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا من الطبيعى ان الذين يتذكرون الموت و يؤمنون بالآخره و ما تشتمل عليه من ثواب و عقاب، فإنهم يشعرون بالمسؤوليه دائما، و ينظرون الى القرآن نظره واقعيه

ص: ٢٣٧

بعيدا عن الرؤى و الخيال، بل نابعه عن موضوعيه كامله و تدبّر، و لذا فان افئدتهم بصيره و بصيرتهم نافذه. اما الذين لا يؤمنون بالآخريه فإنهم محجوبون عن الواقع بسبب عدم ايمانهم.

و قد قال المفسرون عن «حِجَاباً مَسْتُوراً» انه لم يكن أحد من الكفار يمكنه رؤيه الرسول صلى الله عليه و آله حينما يقرأ القرآن حتى لا يصيب رسول الله بأذى.

و يبدو ان التفسير الأقرب القول بان الحجاب المستور، و هو النظره السلبيه التي يتخذها الكفار إزاء آيات القرآن و الآيات التاليه تفسر-فيما يبدو لي-معنى الحجاب المستور.

[٤٦] وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ لَكِي لَا يَفْقَهُوا الْقُرْآنَ، جعل الله قلوبهم فى اكنه. و لفظه الاكنه، جمع للفظه كنان و هو الستر و هذا الستر هو ذلك الحجاب المستور الذى ضربه الله بين القرآن و بين قلوب الذين كفروا بالآخريه عقابا لهم على تكذيبهم بالبعث، و استهانتهم بقدره الله على اعاده الخلق و استجابتهم لشهواتهم و عصبياتهم.

و نتساءل هل هذا الحجاب هو تلك السنه الإلهيه التي جرت فى خلقه ان من يتعصب لفكره فاسده فانه لن يرى الحقيقه، أم انه فعل الهى جديد، حيث يزيد الله الكافرين ضلاله و كفرا، و يدعهم فى ظلمات يعمهون؟ بلى انه فعل جديد، انه حجاب يجعله الله بين الكفار و القرآن. و انه لعقاب عظيم ان يشاء الله ضلاله البشر، بعد ان كفر بالهدى، و ان علينا الحذر أبدا من هذا العقاب العظيم، و نسأل الله دائما الهدايه، و الا يضلنا بعد ان هدانا، انه مجيب الدعاء.

وَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْأَ الْوَقْرَهُ هُوَ الثَّقْلُ. وَ الْآذِنُ الْوَقْرَهُ هِيَ الثَّقِيلَةُ السَّمْعُ. وَ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَنْ يَكُونَ بَاسْتِطَاعَةِ الْآذِنِ أَدَاءَ وَظِيْفَتِهَا بِشَكْلِ جَيِّدٍ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا مَا أُصِيبَ الْعَقْلُ بِضَعْفِ فَسُوفٍ لَنْ يَسْتَوْعِبَ مَا تَنْقَلُهُ الْآذِنُ وَ لَا سَائِرَ الْجَوَارِحِ.

وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا وَ لَانَ الْكُفْرَانَ لَمْ يَعْتَقِدُوا بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَنْفِرُونَ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ لِأَنَّ أَفْكَارَ الْقُرْآنِ تَخَالَفَهُمْ وَ إِنَّمَا كَانَ فِرَارُهُمْ بِسَبَبِ خَوْفِهِمْ مِنْ صَحْوَةِ الضَّمِيرِ.

[٤٧] إِن جَوَارِحَ الْبَشَرِ نَوَافِذُ قَلْبِهِ عَلَى الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، وَ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ قَدْ رَانَ عَلَيْهِ الشَّهَوَاتُ وَ التَّعَصُّبُ لِأَفْكَارِ بَاطِلِهِ، فَإِنَّ الْجَوَارِحَ تَشَلُّ أَوْ تَعْمَلُ خِلَافَ الْمَطْلُوبِ، ذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ الْمَرِيضَ سَوْفَ يَفْسِرُ كُلَّ الْحَقَائِقِ الَّتِي تَتَوَارَدُ عَلَيْهِ عِبْرَ الْجَوَارِحِ تَفْسِيرًا بَاطِلًا يَنْتَاسِبُ وَ أَمْرَاضِهِ الَّتِي رَانَتْ عَلَيْهِ وَ كَمَا أَنَّ مَنْ يَضَعُ عَلَى عَيْنِيهِ نَظَارَةَ مَلُونَهُ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ بِذَلِكَ اللَّوْنِ، كَذَلِكَ مَنْ وَضَعَ عَلَى قَلْبِهِ سَمَاعَهُ مُضَلَّلًا فَهُوَ يَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ عِبْرَهَا، بِصُورِهِ خَاطِئَةً، أَنَّهُ قَدْ صَنَعَ لِنَفْسِهِ قَوَالِبَ ثِقَافِيَةٍ مَعِينَةٍ يَضَعُ كُلَّ مَعْلُومَاتِهِ الْجَدِيدَةِ فِيهَا فَلَا يَزِيدَادُ بِالْحَقَائِقِ الْإِضْلَالِيَّةِ، رَبَّنَا يَقُولُ:

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ وَ لَعَلَّ (الْبَاءُ) هُنَا لِلِاسْتِعَانَةِ وَ تَعْبِيرٍ عَنِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ الْمَسْبُوقَةِ وَ الْقَوَالِبِ الْفِكْرِيَّةِ الْجَاهِزَةِ الَّتِي بِهَا يَسْتَمِعُونَ إِلَى الْحَقَائِقِ فَيَفْسِرُونَهَا حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ وَ الْآيَاتِ التَّالِيَةِ تَوْضِيحَ تِلْكَ الْقَوَالِبِ:

إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا

كانوا يبررون مواقفهم بحجج واهيه يقولون انه مسحور و ليس بساحر يمارس الكذب و الدجل بينما كانوا يدعون الرسول صلى الله عليه و آله (بالصادق الأمين) فلم يبق هناك مجال للتهمة سوى القول بأنه مخدوع بسحر الساحرين فهو مسحور. و يسفه القرآن هذه التهمة فيقول:

[٤٨] أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَبِيحُونَ سَبِيلاً لَأَنَّهُمْ اتَّهَمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ تَهَمًا وَاهِيَةً وَ أَضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَ انْحَرَفُوا عَنِ الْجَادَةِ، وَ بِذَلِكَ صَارُوا لَا يَفْقَهُونَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَ لَا يَعْرِفُونَ مِغْزَاهَا، وَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ.

و كما قلنا سلفاً: ان الايمان بالآخـره ضمان للتفكير السليم فى الحياه، و ان الكفار لم يكتفوا بإنكار الآخـره، و انما كانوا يسعون لتبرير اعتقاداتهم بأفكار سخيـفه، و شبهات واهيه، و منها الشبهه التاليه:

[٤٩] وَ قَالُوا أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَبْعُوثًا يَوْمًا مَا فَلَمْ يَصْبِحْ رِفَاتًا أَى خَلْقًا يَتَلَشَّى؟  
هذا ما كان يتساءل الكفار عنه مستنكرين فأجابهم الله:

[٥٠]-[٥١] قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا\* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسواء أ كنتم حجاره أ حديدا أ أى شىء آخر، تتصورونه فى أذهانكم كبيراً

كالجبال والبحار والصحارى وما الى ذلك.

فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَبِذِيهِ ان الخلق ثانيه أهون من الخلق ابتداء. ولعل الكفار كانوا يزعمون ان الحديد والحجر لا سبيل الى التحكم فيهما، باعتبارها صلبه، وليس كاللحم والعظم - فى نظرهم - أو يزعمون انهما ابعد عن الخلق باعتبارهما جامدين بخلاف البشر المركب من مواد حيّه.

و أجاب السياق عن شبهتهم بان كلامهم يخضع لمقاييس المخلوقين اما الخالق فهو على كل شىء قدير.

فَسَيُيْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ اى سيهزون رؤوسهم ويمدونها الى الامام فى هيئه الشخص المتعجب و يتساءلون متى موعدا ان كان لنا موعد؟ فمن عاده الإنسان انه إذا احتمل فى امر احتمالين، فانه يحتمل وقوع الأيسر منهما و يستبعد وقوع الاحتمال الثانى، و يشير هنا ربنا الى استبعاد الإنسان و وقوع الآخره، و لكنه تعالى يؤكد له هذا الاحتمال فيقول:

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً إِذْ ان مجرد اعتقاد الإنسان بأنه قد يترك الدنيا فى ايّه لحظه و ان القيامه ستقوم متى أراد-الله يجعله متقيا لله فى اعماله صغيرها و كبيرها.

[٥٢] يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا

ص: ٢٤١



فليست الدنيا من الآخرة الا قليلا، إذ ان معدل عمر الإنسان في الدنيا هو سبعون سنة أو أكثر من ذلك بقليل، و ليس لهذه السنين قيمه امام الخلود في

ص: ٢٤٢

الآخرة-أما فى الجنة و أما فى النار-

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٣ الى ٦٠]

إشاره

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ  
يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنَّ يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ  
النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٥) قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦)  
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)  
وَإِنْ مِنْ قَوْمٍ لَهُمْ آلَاءٌ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ  
بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ  
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ وَالْجَانِّ لِلنَّاسِ مَا جَعَلْنَا الرَّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا  
(٦٠)

اللغه

٥٣[ينزع بينهم]: يفسد و يهيج الشر بينهم.

٥٧[محذورا]: يحذر منه و يتقى.

ص: ٢٤٣



هدى من الآيات:

لكى لا يث الشيطان روح العداء بين عباد الله، عليهم ان يختاروا أفضل القول، ذلك أن الشيطان عدو مبين للإنسان و لا يجوز ان يجعل البشر نفسه وكيلا عن الناس (فيكفرهم حسبما يشاء، و يحكم عليهم بعذاب الله).

و الله اعلم بعباده فهو (و ليس الداعيه) يرحم ان شاء و يعذب ان شاء و قد أحاط علما بمن فى السماوات و الأرض، و انما يتفاضل الناس بمشيئه الله، أو ليس قد فضل بين أنبيائه و أتى داود زبوراً؟ و يبدو ان هذه الآيات تبين بعض المسؤوليات الواجبه على المؤمنين تجاه بعضهم و تشمل غير المؤمنين، فالقول الحسن، و عدم التسرع بالحكم على الناس، و ترك التحاسد جزء من مسؤوليه المؤمن تجاه أخيه.

و لعل عوامل الخلاف تنشأ من عدم خلوص التوحيد، من رواسب الشرك فلذلك يعود السياق الى قضيه الشرك و ان الاله الباطله لا يملكون كشف الضر عنهم و لا تحويلا.

بل ان من يدعون من دون الله هم بدورهم يبتغون إلى ربهم الوسيله، يرجون رحمته و يخافون عذابه.

و بالرغم من وجود الاله الباطله فان الله يهلك جميع القوى قبل يوم القيامة مما يدل على انهم لا يملكون دفع الضر عن شعوبهم.

و لقد كذب الأولون بآيات الرب فهذه ثمود كذبوا و ظلموا بالناقه و هي آيه مبصره، و آيات الله ليست الا للتخويف.

و الهدف من التخويف هو امتحان البشر و قد أحاط الله بالناس قدره و علما، و لقد امتحنهم بالرؤيا التي أراها رسوله، كما جعل الشجره الملعونه فى القرآن فتنه (شجره الزقوم التي يجسدها فى الدنيا المجرمون كبنى اميه) الا ان آيات التخويف لا تزيدهم الا طغيانا كبيرا.

### بينات من الآيات:

### القول الأحسن:

[٥٣] هكذا اثار المشركون الشبهات حول الرسول، فما هى مسئوليته الدعاه الى الله، فى مواجهه تلك الشبهات؟ الجواب ان محتوى رساله الدعاه الى الله حق و صواب، يبقى الأسلوب، فلو أنهم اتبعوا أحسن الاساليب فى الدعوه فندوا تلك الشبهات و لكنه ان لم يتبعوا أفضل نهج للدعوه، فان الشيطان يستغل الفرصه، و يضخم الاخطاء فى عين المشركين، و يزين فى قلوبهم العداوه للمؤمنين و من ثم

ص: ٢٤٦

رساله الايمان بوسيله الاخطاء التى يرتكبها الدعاه فى أسلوبهم كأن يفحشوا فى القول، أو يتطرفوا.

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يَبْدُو ان العباد هنا هم عباد الله الصالحين.

إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ فَالشَّيْطَانُ يَمْشَى بَيْنَ الْعِبَادِ بِالْعِدَاوَةِ، وَبِثِ رُوحِ الْعِدَاءِ وَ يَسْتَفِيدُ مِنَ الْكَلِمَاتِ النَّابِيَةِ بَلْ مِنْ سَقَطَاتِ اللِّسَانِ وَ الْإِخْطَاءِ الَّتِي يَتَهَاوَنُ النَّاسُ عَادَةً فِيهَا، فَبِثِ رُوحَ الْعِدَاءِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا فَعِدَاوَتُهُ لَيْسَتْ بِجَدِيدَةٍ، وَ لَيْسَتْ بِخَفِيَةٍ، وَ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَحْذَرَ الْعَدُوَّ الْعَنِيدَ الْمُجَاهِدَ بِعِدَاوَتِهِ.

فلما ذا نتبع خطوات الشيطان، و نعطيه فرصه التوغل بين صفوفنا و زرع الشقاق بين بعضنا و البعض؟

### كيف ننظر الى الناس؟

[٥٤] بعض الناس يحكمون على الآخرين احكاما قاسيه دون ان يعرفوا واقع أنفسهم، و هل رضى الله عنهم أم لا، فاذا بهم يكفرون الناس و يفسقونهم و يحصون عيوبهم

و الحديث الشريق يقول:

«رحم الله عبدا شغلته عيوب نفسه عن عيوب الناس.»

ص: ٢٤٧

و الإنسان الذى يدعو الى الله، و يحمل رسالته الى الآخرين، هو أقرب الناس الى هذه الزلزله الشيطانيه التى ينفذ من خلالها الى قلبه يدعو لتكفير الآخرين و اسقاطهم من قائمه المؤمنين.

و يعالج القرآن هذه المشكله بقوله: لا تحكموا على الناس بالباطل لأنكم قد تحكمون على أحد بالانحراف ثم يتوب فيتوب الله عليه، بينما يبقى الذى حكم بينهم بذلك رهين خطأه الذى قد لا يستغفر منه، فلا يتوب الله عليه، و ربما يستغفر و لكن الله لا يتوب عليه لان ذلك الشخص لم يغفر له، و هذا هو الذنب الذى لا يترك فى الآخره.

جاء فى الحديث: «الـ و ان الظلم ثلاثه: فظلم لا- يغفر، و ظلم لا- يترك، و ظلم مغفور، فاما الظلم الذى لا- يغفر فالشرك بالله تعالى، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، و اما الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات (اي الذنوب الصغيره)، و اما الظلم الذى لا- يترك فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناك شديد (اي فى الآخره) ليس هو جرحا بالمدى و لا ضربا بالسياط، و لكنه ما يستصغر ذلك معه.» أذن قد يدخل الجنه ذلك الإنسان الذى نعتقد بأنه منحرف فاسق، بينما ندخل نحن النار، قال الله سبحانه و تعالى: يصف أهل النار: وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَا هُمْ سِحْرِيًّا أَمْ أَزَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ\* إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ إِذَا فَلَا تَحْكُمُوا عَلَى النَّاسِ احكاما ارتجاليه بل ليكن مقياسنا فى الحكم عليهم بمدى التزامهم بالقيم.

إذن لا تغتر بحسناتك، و لا تعب على الناس سيئاتهم، و لا تعتبر نفسك أفضل من الناس. و لعل الشخص يعيب على أخيه فعلا و هو يرتكب ما هو أقبح منه، بل قد

يكون ذلك الفرد معذورا في تصرفه دونه، فلعل ضغوطا تربويه أو اقتصاديه أو اجتماعيه تكره الفرد على اقتراف ذلك الفعل القبيح، بينما الذى يعيبه يرتكب ذات الفعل بلا ضغوط فيغفر الله لصاحبه ولا يغفر له.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا :

[٥٤] رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا بَعَثَ الرَّسُولَ بِالرَّسَالَةِ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَلَمْ يَبْعَثْ وَكَيْلًا عَلَى النَّاسِ يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيُخْرِجُ مِنْهُمْ مَنْ يَرِيدُ. إِنَّمَا هَذِهِ الْمَهْمَةُ هِيَ مَهْمَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ.

فاذا ليس باستطاعتك أنت ان ترتب الناس ضمن خانات تصنعها حسبما تريد ، الم تسمع هذا الحديث:

عن أبى ذر(رض): ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ان رجلا قال: و الله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذى تالى على ان لا اغفر؟ فانى قد غفرت لفلان، و أحببت عمل الثانى بقوله: لا يغفر الله لفلان.

[٥٥] وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَى رِبِكْ اعْلَمَ بِالنَّاسِ وَ بِأَعْمَالِهِمْ مَاذَا سَيَفْعَلُونَ؟ لَاحِظْ وَجُودَ (مَنْ) الْمَوْصُولِ الَّتِي تَأْتِي لِلْعَاقِلِ فَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ رَبَّكَ اعْلَمَ بِالَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِنَ الْجِنْسِ الْعَاقِلِ سِوَاءَ كَانَ بَشَرًا أَمْ مَلَائِكَةً.

وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ كَسَائِرِ الْبَشَرِ خَلَقُوا بِتَفْضِيلٍ وَ أَفْضَلَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الرَّسُلَ فَأَفْضَلَ الرَّسُلَ



خمسه: و هم أولوا العزم و أفضل اولى العزم رسول الله صلى الله عليه و آله

و قد قال رسول الله فى حديث له:

«فضلت على سائر الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، و نصرت بالرعب من مسيره شهر، و أحلت لى الغنائم و جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا، و أرسلت الى الخلق كافه، و ختم بى النبيون. « وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا يَبْدُو ان زبور داود هو كتاب دعاء و مناجات مع الله سبحانه، و كما هو معلوم فان عدد كتب الله مائه و اربعه و عشرون كتابا، انزل كل كتاب لىواكب ذلك الطرف الزمنى المعين و لعل ذكر زبور داود دون غيره كان للأسباب التاليه:

١- ان الله بشر فيه بالنبي محمد صلى الله عليه و آله و انه سوف يورث أرضه عباده الصالحين.

٢- ان اليهود زعموا ان الله لم يرسل بعد موسى أحدا و كان داود بعده نبيا مرسلا باعترافهم.

٣- ان تفاضل الأنبياء لم يكن بالملك بل بالرسالات، فبالرغم من ان داود كان ملكا لم يذكر الله هنا ملكه بل ذكر الكتاب الذى انزل عليه و هو الزبور و هو يتميز بين سائر الكتب بأنه كتاب دعاء و كان هذا أعظم ميزه له بين سائر الكتب.

### الآله الزائفه:

[٥٦] قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لَا تَحْوِيلًا. لا بد ان نجعل الايمان بالله محورا لحياتنا و تحركنا، لان ما دونه من الآلهه لن

تستطيع ان تنفعنا أو تضرنا، وهم بالاضافه الى ذلك أعجز من ان يقوموا بما نريد بل يعجزون عن القيام بما يريدون لأنفسهم، فكيف يقومون بحاجات الناس، و هنا نلاحظ من كلمه (زعمتم) اي ادعيتم و صنعتم، فالإنسان هو الذى يصنع الطاغوت المتسلط، و يصنع الصنم الجامد، و يصيغ عليه القوه و من بعد ذلك يخافه، و هو يعلم انه لا يملك كشف الضر عنه عوضا عن تحويله.

[٥٧] أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ۖ وَهُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ آلُهُمْ ۚ إِنَّمَا هُمْ ضِعْفٌ يَبْتَغُونَ رِضًا مِنْ رَبِّهِمْ، و يريدون الوسيله اليه، فكلهم فقير محتاج الى رحمته، و يريد الزلفى اليه بفطرته و ربما بإيمانه أيضا فى هذه الآيه، و فى آيات مشابهه تحيّر طائفه من المفسرين و تساءلوا من هم أولئك الذين يدعون و كيف انهم يبتغون الوسيله الى الله ربهم؟ زعم البعض انهم الأصنام، بينما قال البعض انهم الملائكه و العباد الصالحون الذين اتخذهم اتباعهم أربابا من دون الله.

و الواقع ان ذاك و هذا بعض معنى الآيه، الا ان المعنى الاشمل هو كل شىء أو شخص يطاع من دون الله، و لان أغلب أبناء آدم يعبدون من دون الله، ذوى القوه و الثروه و الجاه، كالمملوك و القيادات السياسيه و المترفين و الأحمبار و الرهبان.

فان الآيات فيما يبدو تشمل هؤلاء بل تركز عليهم و تسعى لتحرير البشر من نير عبوديتهم و لعل قراءه سريعه لآيات الشّرك توحى إلينا بان الآلهه المعبوده من دون الله هم عاده بشر، يقول ربنا سبحانه و تعالى: وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ (٨٦/النحل) و قال: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (آل عمران) وقال: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (٣١/التوبه) وقال: أَرْبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩/يوسف) وقال: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ (١٦٥/البقره) وقال: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ (١١٩٤/الأعراف) وهكذا نستوحى من هذه الآيات ان الأرباب و الأنداد و الشركاء عباد من البشر.

وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا هَوْلَاءِ يرجون رحمة الله و يخافون عذابه، و من الملاحظ ان الرجاء ليس بمرتبه الخوف، فالخوف من العذاب يصلح الإنسان أكثر مما يصلحه الرجاء،

جاء فى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات، و من أشفق من النار اجتنب المحرمات. » ان الخوف من النار يمنع الإنسان عن المحرمات و بينما رجاء الجنة يبعد الإنسان عن الشهوات.

### سنه العذاب:

[٥٨] وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا

ص: ٢٥٢

عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ عِنْدَ مَا يَتَحَدَّثُ اللَّهُ عَنْ بَلَدِهِ طَبِيعَهُ فِي الْقُرْآنِ يَسْمِيهَا بِلْدًا أَوْ مِصْرًا، وَ عِنْدَ مَا يَتَحَدَّثُ عَنْ بَلَدِهِ سَيِّئُهُ يَسْمِيهَا قَرْيَةً مَهْمَا بَلَغَتْ مِنَ الضَّخَامَةِ.

و كانت الآيه تشير الى قضيه مهمه جدا في حياه القرى التي تشذ عن امر الله حيث يكتب عليها العذاب منذ بدايه انحرافها، و لكن مع وقف التنفيذ، فربما يرسل العذاب في هذه اللحظه و ربما لا يعذبهم الا بعد سنين من المعاناه، و نلمس من هذه الآيه: ان الله اعطى الإنسان مهله، و عليه ان يتحمل تنفيذ الحكم الرباني عليه ان حاد عن طريقه كما ان الآيه تشير الى طبيعه البشر النازعه الى الانحراف حيث تجلب إليها عذاب الرب.

[٥٩] وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ لَيْسَتْ مُشْكَلَةٌ الْبَشَرِ قَلَهُ الْآيَاتِ بَلِ الْمَشْكَلَةُ هِيَ أَنْ النَّاسَ لَا يَسْتَوْعِبُونَ الْآيَةَ وَ لَا يَعْرِفُونَ قِيَمَتَهَا وَ بِالتَّالِيِ يَكْذِبُونَ وَ اِبْرَزَ مِثَالِ عَلَى ذَلِكَ قَوْمِ ثَمُودَ.

وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا هَذِهِ النَّاقَةُ كَانَتْ آيَةً جَلِيَّةً وَاضِحَةً إِذْ خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْجَبَلِ الْأَصَمِ نَسْتَقِيهِمُ اللَّبْنَ، وَ لَكِنْ مَعَ الْأَسْفِ هَذِهِ النَّاقَةُ سَبَبَتْ لَهُمْ مِصِيْبَةً كَبْرَى إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَبَبِهَا.

السياق القرآني يحذرنا من طرف خفي من ان نطالب أبدا بالآيات دون ان نكون مستعدين لها، إذ لو نزلت الآيات ثم كفرنا بها فقد استوجبنا عذاب ربنا الشديدا فنكون قد ظلمنا أنفسنا بتلك الآيه، كما فعلت ثمود.

و قد جاء فى تفسير هذه الآيه الكريمه:

حديث مأثور عن الامام الباقر عليه السلام ان محمدا صلى الله عليه وآله سأله قومه ان يأتيهم بآيه، فنزل جبرئيل و قال: ان الله يقول: **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ** و كنا إذا أرسلنا الى قريه آيه فلم يؤمنوا بها أهلكتناهم فلذلك آخرنا عن قومك الآيات (١) **وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا** اى ان هناك نوعين من الآيات فأيه مبصره مثل ناقه صالح كفروا بها فأتاهم العذاب و آيه تخوفهم و تنذرهم بعذاب الآخره مثل البأساء و الضراء.

و لان الله ختم بنبيه محمد صلى الله عليه وآله الرسل فقد أرسل الآيات تخويفا بالقيامه و لم يرسلها بحيث يجلب العذاب لو كفروا بها.

### الرؤيا:

[٦٠] ما هى الرؤيا؟ يبدو ان لدى كل واحد منا حاسه سادسه و نعى بذلك الحس الذى يلتقط الارهاصات التى يشعر بها مثل النعمه أو المصيبه، و تلعب هذه الحاسه دورا أساسيا أثناء الظروف الصعبه حيث النفوس ملتتهبه و لعل الرؤيا هى جزء من هذه الحاسه ذلك لأن الإنسان فى حاله اليقظه يحجبه عن رؤيه الحقائق و تفهمها ما يشاهده بعينه و ما يتلى به فى حياته اليوميه، بينما فى النوم حين الاحاسيس الاخرى هامده تبقى الحاسه السادسه هى الفعاله فيرى الإنسان الأمور، و كثيرا ما يحذر الله الإنسان من المستقبل و أمور عديده فى حاله النوم، الا ان غالبية بنى البشر و لتورطهم بغرور الدنيا و نعم الله فيها، لا يستفيدون من رؤياهم، و لا من احساسهم بالخطر المحقق بهم، و لعل الآيه تشير الى هذه النعمه.

ص: ٢٥٤

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ عِلْمًا وَقَدْرَهُ.

وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ يَعْنِي تَجْرِبَهُ وَ اخْتِبَارًا لَهُمْ.

وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ أَي وَ جَعَلْنَا هَذِهِ الرُّؤْيَةَ إِشَارَةً لِشَجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ.

وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا وَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا: وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا .

ان حالة الغرور و التكبر و الاستعلاء على المؤمن و على آيات الله المحذره و النذيره، كل ذلك نابع من خطأ قديم ارتكبه أبونا آدم، دفعه الى ذلك إبليس الذي تكبر على السجود لله تعالى و هذا لا يزال يزيد الإنسان غرورا و كبرا.

### الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ:

ما هي الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ؟ لَقَدْ اخْتَلَفَتِ التَّفَاسِيرُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ فَبَيْنَ مَنْ قَالَ أَنَّ الشَّجَرَةَ هَذِهِ هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُومِ أَوْ الْيَهُودِ وَ لَكِنْ مِنْ بَيْنِ الْأَقْوَالِ تَفْسِيرًا أَرْضِيئِيهِ، وَ قَدْ وَرَدَتْ فِيهِ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ وَ مِنْ كَافَةِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَ قَبْلَ بَيَانِ هَذَا التَّفْسِيرِ وَ رَوَايَاتِهِ هُنَاكَ فِكْرُهُ هَامَهُ عَلَيْنَا بَيَانُهَا لَا رَيْبَ أَنَّ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ هِيَ أَعْظَمُ وَ أَكْبَرُ ظَاهِرُهُ شَهَادَةُ كَوْنِهَا

الارضى، و لا- ريب ان ما جرى على هذه الظاهره الكونيه الكبرى من تغيرات هائله هى الاخرى تتسم باهميه كبرى أيضا، و أهم تغيير جرى على هذه الظاهره هو تغير القيادة الاسلاميه من الخلافه الراشده الى ملك عضوض نزى عليه الامويون، و هذا التغيير هو أكبر انحراف حدث فى الامه الاسلاميه و من الطبيعى و الإسلام رساله غيبية، ان لا يسكت عن هذه الانحرافه الكبرى، و هذا التغيير الخطير فى رساله الله، و الله الذى يحب رسالته و رسوله و الامه الاسلاميه لم يترك الأمر الا و قد أشار اليه بطريقه أو بأخرى، و لم تكن هذه الاشاره واضحه كأن يذبح الرسول صلى الله عليه و آله قاده بنى اميه جميعا، لان هذا ليس من شأن الرسالات الإلهيه لان الله يريد اختبار الناس و امتحانهم، و فى نفس الوقت لا يدع الله الأمر من دون حجه بينه بل يشير الى الحق و الباطل، ثم يترك المجال مفتوحا لاختيارهم الحق أو الباطل.

و التفسير المختار هو ان الرؤيا هى رؤيا الرسول صلى الله عليه و آله فى منامه ان قرده ينزون على منبره و يتشاورون عليه، و الرسول قال هذا الكلام للناس و لكن من الذى عقله؟ أهل الذكاء و الفطنه، و أهل التوسم الايمانى هم فقط الذين عرفوا بان منبر الرسول صلى الله عليه و آله مركز قيادته، و ان هناك فئات من الامه سوف تسعى لهذا المركز دون حق، هم بنو اميه اما الآخرون فقالوا ان طيف الرسول كطيفهم لا اثر له، و حقيقه الأمر انه يختلف تماما، و نبى الله إبراهيم أراد ان يذبح ابنه بسبب رؤيا.

« قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ » فقال له ابنه نبى الله إسماعيل « قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَيَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ » و هكذا كانت رؤيا الأنبياء و حيا.

من هنا جاء فى الحديث ان ذلك رؤيا راه النبى فى منامه، ان قرده تصعد منبره و تنزل فساءه ذلك و اغتم به.

روى سهل ابن سعيد عن أبيه قال: (ان النبي صلى الله عليه و آله رأى ذلك و قال انه صلى الله عليه و آله لم يستجمع بعد ذلك ضاحكا حتى مات).

و روى سعيد ابن يسار و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (و قالوا على هذا التأويل ان الشجره الملعونه فى القرآن هى بنو اميه أخبره الله سبحانه و تعالى بتغلبهم على مقامه و قتلهم ذريته).

و روى عن المنهال ابن عمر قال: دخلت على على ابن الحسين عليهما السلام فقلت له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله .

قال: (أصبحنا و الله بمنزله بنى إسرائيل من آل فرعون، يذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم و أصبح خير البريه بعد رسول الله، يلعن على المنابر، و أصبح من يحبنا منقوصا حقه بحبه إيانا).

و قيل للحسن البصرى: يا أبا سعيد قتل الحسين ابن على .

فبكى حتى اختلج جنباه (أى تحرك كتفاه) ثم قال: وا ذلاه لآمه قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها.



إشارة

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَ اسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَ اسْتَفْرِنُوا مِنْ إِيَّائِهِمْ بِنُصْرَتِكُمْ أَوْ بِبُغْيَانِكُمْ بِخَيْبَتِكُمْ وَ رَجَلِكُمْ وَ شَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ عِبَادِهِمْ وَ مَا يَعْبُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ائْتَوْا بِكُفْرَانٍ (٦٧) أَمْ مِمَّنْ أَنْ يَخْشَىٰ بِكُمْ الْجَانِبَ الْبَرَّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨) أَمْ مِمَّنْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩) وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)

اللغة

[٦٦]اجلب]:الاجلاب السوق، يعجله من السائق و الجلب شده الصوت.

[٦٦]يزجى]:الإزجاء سوق الشئء حالا بعد حال.

۶۹ [قاصفا]: القاصف الكاسر بشده قصفه.

ص: ۲۵۹

هدى من الآيات:

لماذا يتمرد البشر عن مسؤولياته، و ما هو جزاء المتمردين، و ما هو جذر الشرك بالله؟ لنعد الى قصه الخلق الاول: فمن عرف البدايه هدى الى العاقبه، نتذكر قول الله للملائكه اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس استكبر و علا بغير حق فقال انا نار ( اسجد لمن خلقت طينا) فلما لعنه الله، قال: ستري كيف أضل ذريه هذا المذى كرمته على ان اخرتنى الى يوم القيامه، الا قليلا منهم و أنذره الله و من تبعه ان جزاءهم جهنم جزاء وافيا.

و بالرغم من ان الشيطان سوف يستفزهم بالتضليل.

و يرهبهم بجيشه، و يتداخل معهم فيشاركهم فى الأموال و الأولاد و يحذرهم

بوعود كاذبه، فان عباد الله سوف يتحدونه بعون الله، و بالتوكل عليه و كفى بالله وكيلا. و الله يملك كل شىء و من يعرفه و يتوكل عليه فهو حسبه.

فهو الذى يزجى السفن فى اعالي البحار لمصلحه البشر، رحمه بهم اما إذا أحسوا بالضراء فى البحر و غاب عنهم آلهتهم التى كانوا يشركون بهم فان يد الله تنجيهم من ورطتهم بالرغم من انهم يعرضون عنه إذا وصلوا الى الشاطئ آمنين، و يقابلون رحمه الله، بالكفران بدل الشكر، دون ان يتذكروا ان الله قادر على ان يخسف بهم جانب البر، أو يرسل عليهم ريحا تقذفهم بالحجاره، فلا يجدون وكيلا يدافع عنهم، أو يخشوا العوده الى البحر فتحيط بهم عواصف تغرقهم بكفرهم و لا أحد يطالب بتأرهم.

لقد كرم الله بنى آدم، و اسجد لهم الملائكه و حملهم فى البر و البحر، و رزقهم من الطيبات و فضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا و وعدهم بالنصر فى مواجهه الشيطان الذى يقف لهم بالمرصاد!

### بينات من الآيات:

#### إبليس يتحدى سلطان الحق:

[٦١] وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَشْرَنَا فِي سوره البقره ان سجود الملائكه يرمز الى اخضاع الطبيعه للإنسان، و عللنا ذلك: ان كل طبيعه فى الكون لها ملك موكل بها، فهناك ملك للمطر، و هناك ملك للريح، و آخر للبحار و ملائكه للنهار و ملائكه لليل و.. و.. و المطلوب من الإنسان هو ان يخضع نفسه و قوى الشر فى الطبيعه.

قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا

يبدو ان إبليس كان عنصريا لأنه حيث زعم أن العنصر النارى أفضل من العنصر الترابى،و لم يعلم بان العنصر الترابى ليس بشىء،لو لا تكريم الله له بتلك القدسيه التى نفخها الله فيه،منحه العقل و الاراده.

[٦٢] قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ قَالُوا:مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ اخْبِرْنِي،و لعل معنى الكلمه هل ظننت انك تغلبنى و فيها نبره التحدى و التمرد و كان أسلوب اللعين بعيدا جدا عن مقام رب العالمين إذ كان أسلوبه أسلوب تحد على من كرم الله و كأنه كان يقول:ستعلم ما افعل بهذا العنصرى كرمته على و امرتنى بالسجود له!! لئن أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ اى امهلتنى حتى يوم القيامه لترى ماذا اعمل!! لَأَخْتَبِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ما هى غايه إبليس؟ هدف إبليس ان يحتنك بنى آدم،و الاحتناك،كما قال المفسرون له معنيان:

الاول:الأخذ من العنق اى سوف اقود بنى آدم سوق البهائم.

ثانيا:الاستئصال اى لأستولين عليهم بالكامل قالوا:احتنك فلان ما عند فلان من مال استقصاه و اخذه بالكلية و احتنك الجراد الزرع،اكله بالكلية(الا قليلا)ممن يتمرد على و يتبع عقله و هذا قول الشيطان،و يبدو من هذا الحوار ان إبليس يقول:انا أقوى من آدم،أنت كرمته على بيد انى سوف ادخله النار.

[٦٣] قَالَ أَذْهَبَ أُعْطَيْتَكَ الْفُرْصَةَ وَ الْمَهْلَةَ.

فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُوهُ وَ كَرَّمَ بَنِي آدَمَ وَ أَهْلَهُ لِعِبَادَتِهِ، أَمَا إِذَا خَرَجَ عَنِ حُدُودِهِ وَ وَقَعَ فِي خَطِّ الشَّيْطَانِ، أَنْتَذِرُكَ يَسْحَبُ اللَّهُ الْكِرَامَةَ مِنْهُ وَ يَدْخُلُهُ جَهَنَّمَ هُوَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعِينَ. وَ هَكَذَا إِبْلِيسَ مِنْ أَشَدِّ الْأَعْدَاءِ خَطُورِهِ عَلَى وَ لِدِ آدَمَ

جاء في الدعاء (الهي أشكو إليك عدوا يضلني، و شيطاننا يغويني، قد ملأ بالوسواس صدرى و أحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى و يزين لي حب الدنيا و يحول بيني و بين الطاعة و الزلفى) الا- ان الله سبحانه و تعالى زود الإنسان بالإرادته و العقل و أعطاه مزايا عده كيف؟ تعالوا نستمع الى هذا الحوار.

لما أعطى الله إبليس ما أعطاه من القوة قال آدم: (يا رب قد سلطت إبليس على ولدى و أجرته منهم مجرى الدم فى العروق، و أعطيته ما أعطيته، فما لى و لولدى؟ قال: (لك و لولدك السيئه بواحد، و الحسنه بعشر أمثالها).

قال: يا رب زدنى.

قال: التوبه مبسوطه حتى تبلغ النفس الحلقوم.

قال: يا رب زدنى.

قال: اغفر و لا ابالى.

**هكذا يمكر إبليس:**

و خطوره الشيطان انه يستخدم أمكر الخطط من أجل إغواء بنى آدم و لولا يقظه

ص: ٢٦٣

أبن آدم، و عزمه الراسخ للتخلص منه، فان إبليس يصصره بواحدة من خططه العديده.

و كم يكون عظيما ذلك الإنسان الذى يتحدى كل خطط الشيطان و يصل الى الجنه بعد تجاوز المواقع و العقبات الشيطانيه العديده و يذكر السياق القرآنى بخمسه خطط:

التضليل الاعلامى و تخريب الاقتصاد و إفساد الترييه و الإرهاب و الترغيب.

### الف: التضليل الاعلامى:

[٦٤] وَ اسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ الاستفزاز بمعنى الاستنهاض، يقال فَزَّت الدابه: اى قامت و تحركت.. اى حَرَّكَ منهم من تريد و استنهض من شئت باعلامك المضلل. و يشمل الصوت الدعايه و الموسيقى و الغناء و كل أساليب الغوايه المنطوقه.

و يعتبر التضليل الاعلامى امضى اسلحه الشيطان، حيث نرى بدايه الخلق ان إبليس اغوى آدم و زوجته، و أخرجهما من الجنه، بالقسم الكاذب و على امتداد التاريخ استخدم الشياطين ابواقهم الدعائيه لمحاربه الحق، و كان حول الطغاه أبدا جيش من ادعياء الفكر والدين يؤيدون سلطانهم و يغوون عباد الله.

و لا تزال شبكات المستكبرين التضليليه تقوم بأسوأ دور فى مد سيطرتهم الشيطانيه على المستضعفين و هكذا ينبغى ان يكون الشعب على أعلى مستوى من الوعى حتى يقاوم هذا التضليل، و الا فان الجزارين سوف يقودونه الى المذبحه بهدوء بعد ان يخدعوه و يغروه.

## باء/الإرهاب:

وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ إِرْهَابَ وَسِيلِهِ شَيْطَانِيهِ يَسْتَنْجِدُ بِهَا أَعْوَانُ الشَّيْطَانِ مَتَى تَحْرُكُ النَّاسَ تَجَاهَ دِينِهِمْ، أَوْ بَدَأُوا بِمَمَارَسِهِ حَقَّهُمْ فِي التَّفْكِيرِ، أَوْ بَدَأُوا يَسْتَخْدِمُونَ عَقُولَهُمْ..(خيلك) هم الخياله أو بمعنى آخرهم القوه المحموله للشيطان و(رجلك)اشاره الى جيش المشاه.

## جيم/إفساد الاقتصاد:

وَ شَارِكُهُمْ فِي الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَ هَذَا هُوَ الْأَسْلُوبُ الثَّلَاثُ الَّذِي يَعْتَمِدُهُ الشَّيْطَانُ وَ هُوَ إِفْسَادُ النَّظَامِ الْاِقْتِصَادِي وَ حِينَ يَكُونُ الْاِقْتِصَادُ فَاسِدًا بِسَيْطَرِهِ الرَّأْسَمَالِ الْكَافِرِ فَانْ مِنَ الصَّعْبِ جِدًا عِبَادَةُ اللَّهِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَقَطَعُ رِزْقَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ سَيْطَرِهِ أَجْهَزَتَهُ عَلَى الْمَالِ.

## دال/إفساد التريه:

اما المشاركه فى الأولاد فتعنى التريه الفاسده للطفل، فالشيطان يشارك الأب فى تربيته ابنائه فمنذ نعومه اظفارهم يأخذهم ليزرقهم فكره، ليكونوا حملة لرسالته.

و المعنى العميق لهذه الآيه: ان الإنسان لو ترك و فطرته، لاستفاد من حياته، و لكن الشيطان يدخل مع الإنسان فى كل شىء و يصير معه شريكا، فيمتص جهوده، فلا يستفيد الإنسان من حياته لحياته الاخرى، بل تكون حكرًا للشيطان.

## هاء/الترغيب:

وَ عِدُّهُمْ وَ مَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا



و هذه هي النقطة الاخيره التي يعتمد عليها الشيطان و زبانيته و هي أسلوب الترغيب، و لخطوره هذه النقطة سفهها الله سبحانه و تعالى، لان الإنسان تغريه رنّه الدينار حتى يعمى بصره فيصبح لا يرى الحق الا بليج.

الغرور هو التغرير، قال: الراغب في مفرداته: الغرور هو كل ما يغر الإنسان من جاه و شهوه و شيطان، و قد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغاوين.

### عباده الله عصمه و هدايه:

[٦٥] إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِنْ عَادَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى، وَ الْإِتِّصَالُ بِهِ عَصْمَةٌ لِلْإِنْسَانِ لَثَلَا يَقَعُ فِي حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ إِنْ عَادَهُ اللَّهُ هَدَى فِي الْبَصِيرَةِ، وَ قُوَّةٌ فِي الْإِرَادَةِ، وَ غُوْثٌ فِي الْكُرْبَةِ وَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ لَا يَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِهِ فَانِ الشَّيْطَانُ يَضِلُّهُمْ بِغُرُورِهِ وَ يَرْهَبُهُمْ بِجَيْشِهِ، وَ يَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ.

و هكذا لا يمكن لأحد ان يتخلص من برائن الشيطان، من دون الاعتصام بحبل الله المتين.

و كما ان امضى اسلحه إبليس الاستفزاز بالصوت، فان أعظم حصن للمؤمن هو الذي يقيه تضليل الناس.

و ذلك ببصائر الوحي و ضياء العقل، و هكذا تكون الصلاه و الصيام و سائر العبادات و سيله للتفكر السليم و مقاومه عوامل الانحراف الفكرية. و يفسر هذه الآية قوله سبحانه و تعالى في سورة النحل:

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (النحل ١٠٠/٩٨) (السلطان) هو القدره.

وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا- من الطبيعي جدا ان اراده الشيطان لا- تستطيع ان تقف امام مشيئه الله، لان وعد الله هو الحق و ان يعد الشيطان الا غرورا، و قد وعد الله عباده بأنه و كيلهم في صرف الشيطان عنهم، و تقطيع مصائده و هدم مكائده.

ان مقاومه أسباب الانحراف في النفس تسير جنبا الى جنب مع التيار العام للخلق و الفطره و العدى تمثله سنن الله و قوانين الطبيعه. اما الانحراف فهو السير ضد هذا التيار، فلذلك فان الانحراف يحمل في جوفه عوامل انهياره، حتى لو تذرع بالاساليب الملتويه من إرهاب أو إغراء.

[٦٦] رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ هَذِهِ مَقَارِنُهُ بَيْنَ غُرُورِ الشَّيْطَانِ وَ نَعْمِ اللَّهِ، فَاذَا كَانَ الشَّيْطَانُ يَرْمِي إِلَىٰ تِلْكَ الْمَقَاصِدِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ، فَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ يَنْقِذُ الْإِنْسَانَ مِنْ بَرَاثِنِ الشَّيْطَانِ وَ يَسَاعِدُهُ عَلَىٰ تَسْخِيرِ الطَّبِيعَةِ حَيْثُ يَرْجِي الْسَفْنَ فِي الْبَحْرِ لِمَصْلَحَةِ الْبَشَرِ.

و الإزجاء: هو الدفع و التحريك، و لا يتم الإزجاء الا بخلق عوامل مؤثره تساعد على هذا الإزجاء سواء بالريح التي تحرك المياه و تحدث الأمواج أو بالقمر الذي يصنع المد و الجزر، أو بخلق العوامل التي تساعد على تحريك السفن فوق سطح المياه.

لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

فلم تزل السفن أفضل وسيله للتجاره، ونقل فضل الله المتمثل في ألوان البضائع من بلد الى بلد و بالرغم من تقدم الوسائل الاخرى للنقل البرى، كالمطارات و السيارات و القطار، فان نسبه نقل البضائع عبر البحار أعظم من غيرها بما لا قياس.

و بالاضافه الى ذلك فان البحار ستضل أفضل و أعظم مصدر للطعام البشرى الطيب.

[٦٧] أسلوب القرآن الحكيم يعتمد على إبلاغ الحقيقه الى غور الفكر، و عمق القلب، بان يرفع الحجب التى بينه و بينها حتى يشاهد بذاته الحقائق. فهذا هو العلم الحق انه كشف و شهود و اتصال مباشر بين القلب و الحقيقه (عبر جسر المعرفه). و هنا يذكرنا الرب سبحانه: بذاته عبر منهاج وجدانى يعتمد على رفع الحجب و شهود الواقع. و لعل الحديث التالى يبلور فى نظرنا هذا الأسلوب.

جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام و قال له: يا ابن رسول الله دنى على الله ما هو؟ فقد أكثر على المجادلون و حيرونى.

فقال له: يا عبد الله هل ركب سفينه قط؟ قال: نعم قال: فهل كسر بك حيث لا سفينه تنجيك و لا سباحه تغنيك؟ قال: نعم.

قال: هل تعلق قلبك هنا لك ان شيئا من الأشياء قادر على ان يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم قال: الصادق عليه السلام: فذلك الشىء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى، و على الاغاثه حيث لا مغيث. (١)

[٦٧] وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فِي لِحْظَاتِ الْخَطَرِ يَتَذَكَّرُ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَ يَتَعَلَّقُ قَلْبُ الْإِنْسَانِ بِاللَّهِ وَ لَيْسَ بِذَاتِهِ التَّى يَعْبُدَهَا أَوْ بِالطَّاغُوتِ الَّذِى يَخْضَعُ لَهُ.

ص: ٢٦٨

و هكذا يستدل بها الله على ذاته، فلا- أحد منا يخلو من لحظات الحرج و الشده، حيث تحيط بنا الاخطار و نعرف بفطرتنا ان أولئك الآلهه المزيفه، التي تعبد من دون الله لا تغنى عنا شيئاً فتتصل القلوب برب الأرباب، و تبدأ بالمناجاه الحاره، و يفتح الرب أمامنا أبواب رحمته و تستقبلنا بشائر فضله و تنقذنا يدعونه و غوثه.

فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا فَبَدَّلَ ان يزداد شكراً تراه يزداد طغياناً و كفرنا بنعمه الله، (و كفورا) صيغه تدل على الاستمرار.

[٦٨] أَمَا مِتُّمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ اَيْن تهرب من قدره الله؟! صحيح انه نجاك من هذا البحر الغاضب، لكن من العدى يضمن لك ان لا تخسف بك الأرض، أو ينفجر عليك بركان منها، و هذه الآيه اشاره الى إمكان حدوث التغيرات الجيولوجيه فى اى لحظه.

أَوْ يُزِيلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا الْحَاصِبَ الرِّيحِ الْمَحْمَلَهُ بِالْحَصَى وَ ذرأت الرمل.

عند ما كانت قوافل العرب تسير فى الصحارى التى تتحرك رمالها كانت الرياح تسوق كثبان الرمل فتبتلع القوافل بما فيها و بمن معها، و لعلهم كانوا يسمونها بالحااصب.

هذه طبيعه الإنسان بدل ان يشكر ربه على النعم اولا و على خلاصه من البلاء ثانيا بدل ذلك يكفر.

ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيالًا

سبق و ان ذكر الله سبحانه بأنه وكيل عن المؤمنين فى دفع الشيطان عنهم، و لكن من هو وكيل الكافرين فى دفع الموت و الضرر هذه الآيه تشير الى ضروره الرجوع الى الله لأنه القوى، و لا قوه أعلى من قوته.

عند ما ذكر الله أساليب الشيطان صغرها و بين ان عباد الله أقوى منها بفضل الله فاذا كان الشيطان يستطيع إغواء اتباعه فان الله قادر على إهلاكهم رأسا بان يغرقهم فى اليم، أو يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم ريحا لا تبقى و لا تذر.

### بعد البلاء أما العذاب أو الرحمة:

[٦٩] أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ ۖ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا ۖ فَمَا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ۗ اى يعيدكم فى البحر، فيرسل عليكم القاصف (القاصف) هي: الأعاصير البحريه الهائله، هذه الآيه تشير الى غباء الإنسان، فانى له ان يهرب من عذاب الله؟! افحتى لو اسكرته الفرصه و اذهله تتابع النعم عن شكر ربه، فهل ينفعه ذلك؟! الله قادر على ان ينسيك ما أصابك، و هذا ليس من صالحك، إذا قد تلدغ من الجحر الذى لدغت منه فى المره السابقه! انما عليك ان تتذكر ما أصابك من البلاء ليدكرك بالله سبحانه و تعالى حينها لن تلدغ من جحر مرتين.

ان الله سبحانه و تعالى عند ما يبتلى امه فانما يبتليهم بما كسبت أيديهم و يهدف إنقاذهم من السيئات التى كانت سبب البلاء كما ان الألم علامه المرض فكذلك البلاء علامه الذنب فاذا كفروا و تمادوا فى الغى فان الله عند ما يبتلى امه فان ذلك مؤشر إنذار لهم بأنهم مذنبون، و ان الله لا ينجى من هذا البلاء الا عند خلوص النيه،

و الخلاصه هي: ان الله سبحانه و تعالى يتلى الإنسان بالبلاء ليعمق روح الايمان فيه، و لكنه قد يكفر إذا نجى منه و قد البلاء يتحول الى عذاب.

قال الله سبحانه و تعالى لعيسى عليه السلام: «يا عيسى! لا يغرنك المتمرد عليّ بالعصيان، يأكل من رزقي، و يعبد غيري، ثم يدعوني عند الكرب فأجيبه، ثم يرجع الى ما كان عليه، فعليّ يتمرد؟ أم لسخطي يتعرض؟ فبى لآخذته اخذه ليس له منجى و لا دونى ملجأ.» إذا البلاء ميزان العبد فقد يهتدى به فيرحمه الله، و قد يطغى فيحول الله البلاء الى عذاب، لقد رفع الله فوق بنى إسرائيل الطور و هددهم بأنه سوف يسقطه عليهم، و لكنهم أخلصوا نيتهم فتاب الله عليهم، و عند ما عادوا الى غيرهم عاد الله عليهم العذاب، إذا علينا ان نعرف أبدا ان البلاء جرس إنذار، فنصح انحرافنا و نتجه الى الله قبل ان يصبح عذابا شاملا.

[٧٠] وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ بِالْعَقْلِ و الاراده و باستواء الخلقه، و قدره الجسم على الحركة باستقامه و وجود اجهزه دقيقه له تساعده على التحكم في الطبيعه. و هكذا كرمهم بالهدى و بأن الأنبياء و الصديقين منهم حيث أنزل لهم رسالاته. و كرمهم بتسخير الطبيعه لهم، و توطئه ظهور الأشياء لهم.

وَ حَمَلْنَاَّهُمْ فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ حملهم في البر: فالأرض جعلها صلبه يستطيعون التنقل عليها و سخر لهم الخيل و البغال و الحمير ليركبوها. و سخر لهم سائر وسائل الانتقال في البر بفضلها كما حملهم في البحر فوق السفن التي تمر المحيطات.

وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا الطَّيِّبَاتِ: الرزق الحلال و كل ما فى الأرض حلال الا ما استثنى، و تفضل الله على الإنسان ليس لذاته و انما ليتحمل به مسئوليته أكبر، لان لكل شىء زكاه فزكاه المال بذله، و زكاه العلم نشره و كذلك فان زكاه التفضيل ان تتحمل مسئوليتك بحجم هذا التفضيل.

ص: ٢٧٢

اشاره

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْ لَا أَنْ بُدِّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذِفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّه مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذُكَّرَ بِهَا الشَّمْسُ إِلَىٰ عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ لِيَاءَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)

اللغه

٧٣ [ليفتنونك]: يزلونك و يصرفونك.

٧٤ [تركن]: تميل.

٧٦ [خلافك]: بعدك.





هدى من الآيات:

فى درس مضى بين القرآن الكرىم مكر الشيطان و كىده، و ها هو يبصرنا كيف نقاومه، و يثبت افئده المؤمنىن بالحديث عن سنه الله التى اتبعها النبىون فانتصروا.

عند ما يدعو الله كل أناس بإمامهم. فهل تريد ان يكون إمامك الشيطان؟ و عند ما تتطير الكتب. فهل تحب ان تستلم كتابك بالشمال؟ هنا لك من يؤتى كتابه بيمينه، و يعطون البصيره، يقرءون كتابهم دون ان ينقص من أجرهم شىء، فلا يظلمون بقدر فتيل، بينما هنا لك من يؤتى كتابه بشماله و هم عمى لا يهتدون سبيلا. بلى انهم كانوا فى الدنيا لا يبصرون، فجزاؤهم ان يكونوا فى الآخرة كذلك.

ان العاقبه الحسنى انما هى من نصيب أولئك الذين يقاومون خداع الشياطين

الذين ضغطوا على رسول الله ليغيروا بعض ما اوحى اليه، و انئذ يتخذوه خليلا، و عصمه الله هي التي تحفظ البشر من السقوط في شرك إبليس، و رسول الله معصوم عن الميل إليهم بأذن الله، و لو انه ركن إليهم شيئا قليلا لا ذاقه الله-إذا-ضعف الحياه و ضعف الممات، ثم لا ينصره الله شيئا.

هكذا يستقيم المؤمنون امام مكر إبليس و شياطينه، الهادف تضليلهم، اما عن قوتهم و ارهابهم فإنهم أرادوا ان يستفزوا رسول الله من أرضه، و يخرجوه منها، و لكنهم ان فعلوا أطبق عليهم العذاب. تلك سنه الله في الماضين، و لا تجد لسنه الله تحويلا.

و لكي نقاوم ضغوط الشياطين علينا ان نقيم الصلاه لدلوك الشمس (وقت الظهر و العصر) الى غسق الليل (المغرب و العشاء) و قرآن الفجر (صلاه الصبح) ان قراءه القرآن تشهده الملائكه، و ان نقوم الليل للتهجد نافله، ان ذلك وسيله التقرب الى الرب و بلوغ المقام المحمود، و ان ندعو الله لكي يجعل مدخلنا مدخل صدق، و مخرجنا مخرج صدق، و ان يجعل لنا من لدنه سلطانا نصيرا، و ان نحى الحق و نميت الباطل.

تلك كانت مناهج الرساله لتحدى خطط إبليس، و نلخصها في خمسه بنود، اقامه الفرائض، و التهجد في الليل، و الصدق في جميع المواقف، و التوكل على الله، و أخيرا الثقه بنصره. و هذا هو محتوى رساله الله التي أوحاها الى عبده محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله.

و لان سوره الإسراء تبين حقائق الوحي الإلهي تحدثنا عنها في أغلب دروسها، و ضمن بيان حقائق اخرى تتناسب معها كفضيه مكر إبليس الذي يريد إغواء بنى آدم، فيوفر الله لهم حبل الخلاص برسالاته التي اوحى بها.

أمامه القرآن هدايه و فلاح:

[٧١] يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَدْعُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ كُلُّ امه بامامها، و الامام يعكس قيم أمته، و هو تجسيد لكل فرد في الامه، و هكذا يجب ان تتبع القيادة من صميم الامه، و تعيش واقعها، و كل قياده لا تتبع من صميم الامه فانها لا تملك مبرر البقاء لأنها تتنافر طبيعيا مع كل فرد في هذه الامه. و الامام هو القرآن الموحى به، و هو الذى يجسد القرآن و يكون قرآنا ناطقا فالفكره الرساليه هى القائده و انما يمثلها ذلك الامام الناطق بها، و يجب على الإنسان ان يتبع الفكره قبل ان يتبع الشخص، و ان يعرف خط القائد قبل شخصه، فاذا أردت اتباع قياده فلا بد ان تعرف خطها اولاً.

جاء فى الحديث عن القرآن:

من جعله امامه قاده الى الجنه، و من جعله خلفه ساقه الى النار.

و كيف يمكن ان تجعل القرآن إمامك، من دون ان تختار قيادته حسب موازينه.

فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْقُرْآنَ يَدْعُونَ بِالْقُرْآنِ، و بذلك الامام الذى اتبعوه باسم القرآن و صاروا قرآنيين: أما و انهم صاروا قرآنيين، فان الله يعطيهم حقهم غير منقوص، دون ان يظلمهم فتيلاً، و الفتيل هو الخيط الدقيق فى شق نواه التمره، و لعل نهايه الآيه تدل على ان الوهم الذى يبثه الشيطان فى روح اتباعه بأن عمل الخير لا جزاء له باطل.

و ليس معنى هذه الآيه ان الله يظلم من لا يؤتى كتابه بيمينه، بل الله عادل و لو يؤخذ الناس بعدله لما نجى أحد من البشر، و لكن الله سبحانه لا يتعامل مع الناس الا بفضله، و

قد ورد فى الدعاء: «الهي عاملنا بفضلك، و لا تؤاخذنا بعدلك، فانه لا طاقه لنا بعدلك، و لا نجاه لنا دون فضلك» و الله سبحانه لا يظلم الناس، و لكن الناس يظلمون، فاذا عاقبهم الله فى الآخره فانما يعاملهم لقاء ظلمهم لأنفسهم.

[٧٢] وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ۖ وَ أَضَلُّ سَبِيلًا غَيْرَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مَسَارِ الْحَدِيثِ، فَبَدَلَ أَنْ يَقُولَ مِثْلًا: « وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ .. » قَالَ: « وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ .. » و لو انه قال مثل ذلك لما وضحت صفتهم الرئيسيه، و على كل حال فان هناك صفة مميزه جعلت بعض الناس أصحاب يمين و البعض الآخر أصحاب شمال، و ان ذكر هذه الصفة فى أحدهما يعنى وجود عكسها فى الآخر، فصفه أصحاب الشمال العمى، فاذا تكون صفه أصحاب اليمين الأبصار، و لعل العمى فى القرآن يرادف اللاوعى.

ان الوعى فى الحياه الدنيا هو ضمان السلامه فى الآخره، لان الواعى لا يعمل الا وفق تقدير و حكمه، فلذلك تقل نسبه اخطائه و معاصيه، و من لا- يمتلك وعيا فى الحياه الدنيا يحجزه عن المعاصى فهو فى الآخره أعمى عن النظر الى رحمه الله، و كلمه «أضل» اسم تفضيل على وزن افعل اى أشد ضلالا.

ان الله وفر الفرصه للإنسان للهدايه، فان هو لم يتقبلها، و كفر بالله، و تغافل عن دواعى الهدايه فى نفسه، فانه لن يكون أقل عميا فى الآخره عما هو عليه فى الدنيا، بل هو أضل سبيلا، ذلك لان «الجزاء من جنس العمل» فمن اطفأ شعله

الهدايه فى نفسه، و لم يهتد الى الصراط المستقيم، هكذا تكون عاقبته، و هكذا ينبغى ان يسعى البشر نحو الهدايه فى الدنيا حتى لا يحشر أعمى، و يبدو من الآيه ان الشيطان يسعى من أجل حجب بصيره البشر، و ذلك بتضليله الذى عبرت عنه الآيات السابقه بـ « وَ اسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ » و على الإنسان ان يتحداه و لا يخضع لغروره، و ان يسعى نحو أسباب الهدايه، و يتجاوز العقبات التى وضعها إبليس فى طريقه. ذلك لأنه مسئول عن إبقاء بصره سليما. و لا يجوز له ان يسمح لأحد ان يجعله أعمى.

### الرسول يتحدى الضغوط:

[٧٣] و كل إنسان مسئول عن بصيرته الا يحجبها الشيطان، و عن هداه الا ينحرف عنه تحت وطأه الضغوط، و هكذا كان الرسول يتحدى الضغوط التى يمارسها اتباع الشيطان لتغيير رساله.

و التعبير القرآنى بليغ فى بيان مدى كثافه الضغوط التى يتعرض لها صاحب الهدايه، حتى انها تكاد تؤثر فى الرجل العظيم الذى يصفه الامام على عليه السلام بقوله:

«صلّ على الدليل إليك فى الليل الأليل، و الماسك من أسبابك بحبل الشرف الأطول، و الناصع الحسب فى ذروه الكاهل الأعل، و الثابت القدم على زحاليها فى الزمن الاول، و على آله الأخيار» يقول ربنا: و هو يشير الى تلك الضغوط:

وَ إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَسْعَى الْكَافِرُونَ وَ الْمُشْرِكُونَ إِنْ يَفْتِنُوا الرَّسُولَ، و يبعده عما اوحى اليه

بالتشكيك، أو بالارهاب، أو بالضغط الاجتماعي، و النفسية.

لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ لَيْسَ فَقَطْ يَرِيدُونَ أَنْ يَبْعِدُواكَ عَنْ رِسَالَتِكَ، بَلْ يَرِيدُونَ أَنْ تَسْخَرَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِمَصَالِحِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَفْكُرُونَ لَوْ أَنَّهُمْ أَبْعَدُواكَ عَنْ دِينِكَ، فَانَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَ لَكِنْ عِنْدَ مَا تَفْتَرِي عَلَى رِسَالَتِكَ، وَ تَكْذِبُ فِيهَا أَنْتَ سَتَفْهَمُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِشَكْلِ مَشْوَاهِ، وَ بِالتَّالِي سَتَبْتَعِدُ عَنْ دِينِكَ، وَ هَذَا مَا يَفْعَلُهُ الِاسْتِعْمَارُ الْيَوْمَ، حِينَ يَصِيغُ الْإِسْلَامَ كَمَا يَرِيدُ، وَ يَحْرِفُهُ عَنْ مَسَارِهِ، يَحْوِلُهُ إِلَى دِينِ الطَّقُوسِ وَ الشَّكَلِيَّاتِ الْمَجْرُودَةِ بَعْدَ أَنْ يَفْرَغَهُ مِنْ جَوْهَرِهِ، وَ يَخْتَارُ لِذَلِكَ بَعْضَ ادْعِيَاءِ الدِّينِ.

وَ إِذَا لَاتَّخَذُواكَ خَلِيلًا إِذَا كَيْفَتِ رِسَالَتُكَ حَسْبَمَا يَرِيدُونَ فَأَنْتَ إِذَا مَخْلَصَ لَهُمْ وَ مَا جَزَاءُ الْمَخْلُصِ لَهُمْ إِلَّا- أَنْ تَرْفَعَ مَرْتَبَتَهُ عِنْدَهُمْ، وَ هَكَذَا يَجِبُ عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ لَا يَتَنَازَلَ عَنْ مَبَادِئِهِ فِي أَيِّ ظَرْفٍ مِنَ الظُّرُوفِ، وَ أَنْ يَضْحَى مِنْ أَجْلِ أَدَاءِ رِسَالَاتِ رَبِّهِ.

[٧٤] وَ لَوْ لَا أَنَّ تَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْنَا تَزَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا لَوْلَا اتِّصَالَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بَيْنَ بَنِي الْقَوْهَةِ، لَكَانَتْ الضُّغُوطُ تَجْبِرُهُ لِلتَّنَازُلِ عَنْ رِسَالَتِهِ، وَ حَاشَا الرَّسُولَ أَنْ يَتَنَازَلَ عَنْ مَبَادِئِهِ، وَ يَنْقُلَ الرَّوَاهُ أَنْ سَبَبَ النَّزُولِ هُوَ:

أَنَّ الْمُشْرِكِينَ جَاءُوا إِلَى الرَّسُولِ وَقَالُوا لَهُ: (كَفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، وَ تَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَ اطْرُدْ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ وَ السَّقَاطِ الَّذِينَ رَاحَتْهُمْ الصَّنَانُ) (الصَّنَانُ: نَتْنُ الْإِبْطِ) حَتَّى نَجَالِسَكَ وَ نَسْمَعُ مِنْكَ، فَطَمَعَ الرَّسُولُ فِي إِسْلَامِهِمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَ

جَاءَ فِي حَدِيثِ الْعِيَاشِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَصْنَامًا مِنَ الْمَسْجِدِ وَ كَانَ مِنْهَا صَنَمٌ

على المروه، و طلبت اليه قريش ان يتركه و كان مسخا، فلم يتركه، ثم امر بكسره فنزلت الآية (١).

و لعل الآية توحى بان الداعيه قد يهيم لتغيير بعض بنود رسالته طمعا فى إدخال الناس فى الدين و هذا بدوره خطأ، و الروايتان تشهدان على هذا التفسير.

بالرغم من ان عصمه الرسول التى تدل عليها الآية (٧٤) بصراحه تشهد على ان الرسول لم يعزم أبدا على تقديم تنازل للمشركين، و لعله استعرض ذلك فى ذهنه كأحد الخيارات المطروحه، الا انه سرعان ما نبذه بسبب عصمه الله له، و

روى عنه انه صلى الله عليه و آله قال بعد نزول الآيات «اللهم لا تكنى الى نفسى طرفه عين أبدا» [٧٥] ٢ إذا لَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ اى لأذقناك ضعف العذاب فى الدنيا و الآخرة، و نظرا لمقام الرسول و عظم مسؤولياته فانه يحاسب بقدر تلك المسؤوليات فكلما ارتفعت مسؤوليه الإنسان، كلما حوسب أكثر بعكس الذين لا يحملون مسؤوليه كبيره، لان انحراف القياده يعنى انحراف قطاع كبير من الامه.

ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا هذه الآية هى جواب على الآيات الاولى وَ إِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ، وَ إِذَا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا اى لو انحرفت فقد تجد من ينصرک فى الدنيا، و لكن من الذى ينصرک من عذاب الله.

ص: ٢٨١



[٧٦] وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزُؤُنَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا الْإِنْسَانَ الَّذِي يَحْمِلُ الرِّسَالَةَ لَا بَدَّ أَنْ يَضَعَ فِي اعْتِبَارِهِ أَنَّهُ سَوْفَ يَتَعَرَّضُ لِلضُّغُوطِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْمَادِيَّةِ، وَ مِنْ ضَمَنِ هَذِهِ الضُّغُوطِ (الإخراج و التهجير و المقاطعة الاجتماعية و الإيذاء) و من يقرأ ما عانى رسول الله من الإيذاء لا يمتلك دموعه و خاصه عند ما فقد عمه و زوجته في عام الأحزان، و لم يجد أحدا يمنع المشركين عن أذاه، فاشتد ايذاؤهم له، و تولى ابو لهب سياده قريش، و يزداد أذى له و هو عمه و أقرب الناس اليه، و إذا كان عمه هكذا فكيف يكون المشركون؟! ثم بعد ما ضاقت عليه الأرض بما رحبت هاجر الى الطائف، و لقي من العنت مثلما لقي في مكه، فاذا بصيانيها يدمون رجلى الرسول بالحجاره، و عند ما تأزمت الأمور أكثر بين الرسول و أهل مكه حاولوا إخراجه، و من ثم تآمروا على قتله، فهاجر الى المدينة ليفتح بذلك صفحه جديده أطلت على التاريخ ببوارق الأمل.

«يستفزونك» اى يخرجونك و ينفرونك، و هذه ثانيه خطط إبليس و شياطينه حيث انهم حين يفشلون فى تغيير الرساله لتوافق مصالحهم، و لا أقل لكى لا تضرها رغم اغرائهم لصاحب الرسول بأنهم سوف يدخلون فى دينه لو فعل ذلك- أقول بعد فشلهم هذا يتوسلون بالارهاب، و يحاولون طرد صاحب الرساله- من أرضهم.

و نلاحظ ان القرآن أشار الى هاتين الخطتين فى الآيه (٦٣) حيث قال:

« وَ اسْتَفْزَزَ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجَلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجَلِكَ ».

و كأن السياق هنا يذكرنا بفشل إبليس مع نبينا، و ان علينا الان ندعه ينجح معنا أيضا، أو لسنا اتباع ذلك الرسول؟! وَ إِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا

ای لن یستطیعوا ان یواجهوک بعد ما یرجواک. لعل الآیہ تشير الی سنہ إلیہ، قضاها الرب لعبادہ: ان رسل اللہ، والذین ہم یسیرون علی نہجہم، أو تاد الأرض، فمن دونہم تسبخ بأهلہا، بہم یحفظ اللہ العصاء ان یدمرہم شر تدمیر، فاذا طغی الناس و اخرجوا هؤلاء من بلادہم فان العذاب یصبّ علیہم صبا. و لو لا ان نبینا صلی اللہ علیہ و آلہ اختار الہجرہ الی المدینہ لکان أهل مکہ یتعرضون لعذاب شدید، بل انک ترى انہم تعرضوا للقتل و الأسر، و فتح بلادہم لأنہم ہموا بإخراج الرسول.

[۷۷] سُنَّہ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا سنہ اللہ لن تتغیر حتی یوم القیامہ، فہذہ من الحتمیات الالہیہ، و التحویل هو تحویل الشیء الی غیرہ، و سنہ اللہ المتمثلہ بنصر الرسل، سنہ ابدیہ محتومہ، كما ان الظروف الطبیعیہ تحتما، لان الکفر یسیر ضد التيار العام للطبیعہ، بينما تنصر رسالات اللہ، لأنها تتحرك باتجاه التيار الطبیعی للحیاء، كما انها تتوافق مع الفطرہ.

## الصلاه:

[۷۸] کیف یقاوم المرء ضغوط الشیطان؟ یرجى السياق القرآنی عن هذا السؤال بعد ان بین خطط إبليس فی إغواء بنی آدم، و سوقہم الی النار و یتلخص الجواب فی اقامہ الصلوات المفروضہ، و التہجد باللیل، و الصدق فی المدخل و المخرج، و التوکل علی اللہ، و الثقہ بنصرہ، فہذہ خمسہ برامج یتحدی بها المؤمن مکر الشیطان و کیدہ.

[۷۸] أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ

دلوک الشمس ای زوالها، و سمي الدلوک دلوکا، لان الإنسان يدلک عينه عنده لشده شعاعها انثذ، و قال البعض ان الدلوک هو الميل، و سمي الزوال دلوکا لان الشمس تميل عنده الى جهه المغرب، كما ان المغرب سمي به أيضا لان الشمس تميل الى الغروب.

إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ غَسَقٌ - دلجه - ظلمه - بمعنى واحد و هو شدة الظلام، و شموله، و لعله يتم عند منتصف الليل.

وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا <sup>□</sup> قرآن الفجر هو صلاة الصبح، و صلاة الصبح مشهودة من قبل ملائكة الليل و ملائكة النهار، لذلك استحب استحبابا مؤكدا صلاة الفجر في أول وقتها.

نلاحظ ان الله سبحانه حدد أوقات الصلاة بثلاث أوقات بدل ان تكون خمسة أوقات، نظرا لتقارب وقتي الظهر و العصر، و المغرب و العشاء.

[٧٩] وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ <sup>□</sup> نَافِلَةً لَكَ نافلة الليل هي الصلاة غير المكتوبة، و لو كتب على المؤمن غير الفرائض الخمس لكان المكتوب صلاة الليل لما فيها من الثواب، و مباحات الله ملائكته بمن يصلها.

التهجد: السهر لصلاة الليل، و أخذت الكلمة من الهجود و هو النوم، و كأن المتهجد يغالب نومه.

عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا <sup>□</sup>

هذه فائده صلاه الليل و المقام المحمود للرسول الشفاعه، و للمؤمنين درجات الكمال، حيث جاءت الأحاديث تؤكد على صلاه الليل، و توضح فوائدها، فهي تزيد في الرزق، و تزيد في العمر، و ترفع عذاب القبر و هي نور في القبر، و نور يوم القيامة، و ترفع اسم الإنسان، و تزيد في بهاء وجهه، و تزرع الخشيه في قلبه، و تحببه الى إخوانه و عشرات من الفوائد العظيمه.

### شفاعه الرسول في أمته:

عن الامام الصادق عليه السلام : عن آيه « عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا » سأله رجل عن قول الرسول في تفسير هذه الآيه «انا سيد ولد آدم و لا- فخر» قال عليه السلام «نعم يأخذ حلقه من باب الجنه فيفتحها، فيخر ساجدا، فيقول الله: ارفع رأسك.. اشفع تشفع،.. اطلب تعطى فيرفع رأسه ثم يخر ساجدا، فيقول الله: ارفع رأسك.. اشفع تشفع.. اطلب تعطى، ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفع، و يطلب فيعطى.»

و في روايه اخرى عن الامام الصادق عليه السلام رواها عنه الامام الكاظم عليه السلام : يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين يوما، و تؤمر الشمس فتنزل على رؤوس العباد، و ينجم العرق، و تؤمر الأرض الا- تستقبل من عرقهم شيئا، فيذهبون الى آدم فيشفعون، فيدلهم على نوح، يقول: اذهبوا الى نوح، و يدلهم نوح الى إبراهيم، و يدلهم إبراهيم الى موسى و يدلهم موسى الى عيسى، و يدلهم عيسى على محمد، فيقول:

عليكم بمحمد خاتم النبيين، فيقول محمد صلى الله عليه و آله : أنا لها، فينطلق حتى يأتي باب الجنه، فيدق الباب، و يقال: من هذا؟ فيقول محمد: افتحوا، فاذا فتح الباب، و استقبل ربه، فخر ساجدا لا يرفع رأسه حتى يقول الله له: تكلم، فاسأل تعطى، و اشفع تشفع، فيرفع رأسه فيستقبل ربه، فيخر ساجدا، فيقال له مثلها، فيرفع حتى انه ليشفع من قد حرق بالنار، (و ما) أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه

من محمد، و هو قول الله تعالى: عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا .

و بالرغم من ان الآيات تخاطب النبي صلى الله عليه و آله، و فسرت في أكثر النصوص المأثوره عن علماء المسلمين جميعا بالشفاعه التي خص بها الرب حبيبه محمدا صلى الله عليه و آله-بالرغم من ذلك-الا- ان القرآن نزل على لغه «إياك اعنى و اسمعى يا جاره» حسب النصوص المأثوره.

و هكذا نعرف ان نافله الليل هي معراج المؤمن الى الكمال، انها تطهر القلب عن عقده و احقاده، و اهتماماته بصغائر الأمور، و توسع الصدر لاستقبال المسؤوليات العظام، و تشحذ العزيمه لتحدى العقبات، و تنهض الإراده الخامله، و تعطى النفس قوه دفع ذاتيه، و كل ذلك بفضل القرب الى الرب، و لعل كلمه «عسى» فى هذه الآيه كما لفظه لعل فى آيات اخرى تذكرنا بان هذه الحقائق ليست مثل الحقائق الفيزيائيه التي تقضى بحتميه النتائج بعد الأسباب، بل انها حقائق فوق ماديه تتبع مشيئه الله، و الله سبحانه لا- يتقبل العمل الا- بالتقوى و الإخلاص، و هو ينظر الى روح العمل قبل مظهره، فعلى الإنسان ان يستمر فى الاجتهاد، و يرجو رحمه الله، فعسى ان يبلغه الله النتائج و بذلك يحرض القرآن المؤمنين على المزيد من العمل و المزيد من التضرع الى الله ليبلغوا المقام المحمود بفضله.

### نصره الله:

[٨٠] وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ بِالصِّدْقِ فِي الْمَوَاقِفِ، فِي كُلِّ مَدْخَلٍ وَ مَخْرَجٍ مِنْهَا هُوَ أَهْمُ وَاجِبَاتِ الرَّسُولِ وَ الرَّسَالِي، وَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، أَوْ يَخْرُجَ عَنْهَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، فَهُوَ بِحَاجَةِ إِلَى حَاجِزٍ يَمْنَعُهُ عَنِ الْإِنْخِرَافِ، وَ هَذَا الْحَاجِزُ أَمَّا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ الْمَرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: يَا رَبِّ ادْخُلْنِي فِي الْأُمُورِ إِدْخَالًا صَادِقًا، وَ اخْرِجْنِي

ص: ٢٨٦

منها إخراجاً صادقاً.

وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا إِذَا التزم الإنسان بالواجبات الشرعيه، و جسد الشخصيه القرآنيه انئذ يصبح تحت ظلال رحمه الله فى الأرض، فيصبح سلطاناً من قبل الله، بالطبع ليس سلطاناً مادياً، بل سلطاناً ربانياً رحمانياً، و يبعث الله من ينصره من المؤمنين و الملائكه.

إذا أردت ان تكون قائداً أصلح نفسك و كن مع الله، لأنه من كان مع الله كان الله معه.

جاء فى وصيه الامام الحسن عليه السلام لجناده:

«يا جناده من أراد عزا بلا عشيره، و هيبه بلا سلطان فليخرج من ذل معصيه الله الى عز طاعته. » و لو عمل المسلمون بهذه الآيه الكريمه لاغنتهم عما فى ايدى أعدائهم، و هيات لهم استقلالاً اقتصادياً، و ثقافياً، و سياسياً، كيف؟ لقد أودع الله فى الإنسان معادن لا- تنفد و لا- تحدد، و سخر له الطبيعه بما أعطاه من علم و اراده و قوه. و من أعظم المواهب التى أتاها الرب للخلق الطموح، فكل واحد يتطلع الى العظمه، و يحب الكمال و هذا التطلع هو جناح المرء فى تحليقه فى فضاء التقدم. الا ان الشيطان يغويه، و يوجهه طموحه فى الاتجاه الخاطى، انه يلوى مقود سيارته عن الشارع المعبد الذى يمهدده الجهد الصادق باتجاه الصخور الوعره، و يهمس فى اذنه هذا هو طريق المجد، الكذب، الغش، السرقة، و انتهاب ثروات الآخرين، و استغلالهم، أو استجداء العون منهم، و هكذا يخدعه مرتين حين يسلب عنه عزيتمه، و حين يخيل اليه ان الآخرين ينفعون.

ص: ٢٨٧

اما المؤمن فإنه يعلم ان قوه ساعده، و نفاذ بصيرته، و مضاء عزمه كل أولئك كفيل بتقدمه، و ان رزقه موجود فى الطبيعه، فى الأرض التى يزرعها، فى المعادن التى يستخرجها و يسخرها، و بالتالى فى التعامل الشريف مع الناس.

و هكذا بينى بناءه على الصدق، فان دخل فى عمل، فى مشروع، فى حركه، فى شركه، دخل بنيه صادقه فلم يدخل ليستغل جهد الآخرين، و لا ليستريح من بذل الجهد، ثم لا يخرج الا بصدق فيكمل مسيرته حتى النهايه، و يتم عمله بأحسن وجه دون ان يخدعه الشيطان، فيدفعه لترك العمل. متى ما رأى فيه صعوبه.

و لعل صدق العمل فى المدخل و المخرج هو التحدى المناسب لخطه إبليس فى مشاركه الأموال و الأولاد، حيث قال الله سبحانه فى آيه مضت بينت مكر إبليس فى تضليل البشر قال: «**وَ شَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ مَا يُعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**».

إذ ان صدق المؤمن لا يدع مجالاً لمشاركه إبليس الذى يهدف إفساد الاقتصاد و التريه، و كيف يفسد اقتصاد قوم لا يأكلون الحرام، و لا يسرقون جهد بعضهم، و لا يتعاملون بغش، أو تطفيف، أو تغرير، أو كذب! و نستوحى من تواصل بدايه الآيه و خاتمتها ان الصدق فى الدخول و الخروج و سيله لنزول نصر الله، و بلوغ القوه (السلطان) و العزه (النصر).

و الصدق فى البدايه هو خلوص العمل، بينما الدعاء فى الخاتمه هو التوكل و هما العمل الصادق و التوكل على الله يتكاملان فلا توكل من دون عمل، و لا ينفع العمل من دون التوكل.

[٨١] **وَ قُلْ لِّجَاءِ الْحَقِّ وَ زَهَقِ الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**

سبب ارتفاع الباطل هو خفوت نور الحق و تقوقعه، و متى ما وجد الحق غاب الباطل.

وهذه الآيه تعطى الثقه بالمستقبل و لعلها تعالج غرور الشيطان الذى أشير اليه، و قول ربنا سبحانه: **وَ عِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** فبينما الشيطان يخدع الإنسان، و يمنيّه بالمستقبل كذبا، فان الله سبحانه يعده صادقا، إذ انه يبشره بان العقابه للمتقين، و ان الحق منتصر و ان الباطل كان زهوقا.

و هكذا يقاوم المؤمن كل مكر شيطاني بخطه رشيده، و عمل مبارك:

١- يتحدى صوته المضلل ببصائر الوحي.

٢- خيله و رجله و بالتالى ارهابه بالصلاه و التهجد.

٣-٤- مشاركته فى الأموال و الأولاد بالصدق و التوكل.

٥- و عوده و غروره بالثقه بوعد الله و الأمل فى المستقبل.

عازنا الله من شر الشيطان و كيده و مكروه.

ص: ٢٨٩



إشاره

وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسِئًا (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤) وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا- رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفْيِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)

اللغه

٨٨[ظهيرا]:الظهير المعين و أصله من الظهر.

٩٢ [كسفا]: وهي جمع كسفه بمعنى القطعه.

[قبيلًا]: مقابله و عيانا.

ص: ٢٩١

هدى من الآيات:

يبدو أن آيات هذا الدرس تتركز في بيان الموضوع الرئيسي لسوره الإسراء، و هو الوحي، و تعالج الموقف السلبي الذي اتخذه الكفار من القرآن.

كلما نزلت آيه من القرآن كانت شفاء عن داء، و رحمه للمؤمنين، بينما الظالمون لا تزيدهم الا خسارا. لماذا؟ لان الإنسان يتكل على النعم، و يغتر بها، فاذا أنعم الله عليه بنعمه اعرض عن ربه و استكبر، فلما زالت النعمه عنه استبد به اليأس، و لعل هذا أعظم سبب للجحود و الكفر بالقرآن، كما يظهر من خاتمه هذا الدرس.

و كل إنسان يعمل حسب ما بنيت شخصيته عليه، و الله اعلم بمن هو أهدي سبيلا، و لعل هذا هو السبب الثاني الذي يجعل الكفار يخسرون نعمه القرآن، و لا

يستفيدون منه، لا شفاء ولا رحمه.

و الوحي نعمه من الله و ليس من الرسول نفسه و لو شاء الله لذهب به دون أن يقدر أحد على المطالبه به، و انه لرحمه من الله، و فضل عظيم، و لعل زعمهم بان الوحي من الرسول سبب ثالث لكفرهم و هو معجز لأنه لو اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثله لا يقدرون على ذلك حتى و لو تعاون بعضهم مع البعض الآخر.

و هو يحتوى على امثله الحياه التى لو ساروا عليها لاهتدوا و لكن أكثر الناس يكفرون بهذه النعمة، و تراهم يطالبون الرسول بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا حتى يؤمنوا به، أو تكون له جنه من نخيل و عنب فيفجر الأنهار خلالها تفجيرا.

و قد يطالبونه بالعذاب كأن يسقط السماء عليهم كسفا، أو يأتى بالله و الملائكه قبلا، أو يقولون له لو كان لك بيت من زخرف، أو رقيت الى السماء، و أنزلت معك كتابا نقرؤه لآمنا بك و هم يغفلون عن حقيقه هامه هى ان الرسول بشر مثلهم يوحى اليه، و ان القرآن ليس منه انما هو من الله سبحانه.

### بينات من الآيات:

### شفاء القرآن:

[٨٢] القرآن شفاء و رحمه، شفاء يطهر القلب و البدن و المجتمع من الجرائم، و رحمه تنمى فيها الخير و الفضيله.

و نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ كُلِّ الْقُرْآنِ شِفَاءٌ لِّلْمَرَضِ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِ شِفَائِهِ، و لان القرآن نزل حسب الظروف تنزيلا فقد كانت آياته شفاء

ص: ٢٩٣

للامراض التي نزلت لعلاجها، و لعل كلمه «من» تدل على ذلك.

و السؤال هنا هو: كيف يكون القرآن شفاء و رحمه للمؤمنين؟ اختلف المفسرون حول معنى الشفاء و ابعاده، و لكن الشفاء المقصود به هنا هو:

شفاء عام لكل جوانب الحياه.

### القرآن شفاء القلب و المجتمع و البدن:

أولاً: بين الإنسان و معرفه الحقائق حجب متراكمه من ضغوط الشهوه، و عقد النفس، و قيود المجتمع، و تخلص الإنسان من هذه الحجب لا- يكون الا- بإثاره دفائن عقله، و هزه ضميره، و القرآن يقوم بهذا الدور، إذ انه كالصاعق الكهربائي الذى يهز ضمير الإنسان و وجدانه من الصميم، فيتحرك العقل من الداخل ليخترق حجب الجهل و الضلال، و الغرور هو أعظم حاجز بين الإنسان و الحقيقه، لذلك تصب هذه الآيات حمم الإنذار من خلال تصوير مشاهد يوم القيامه، و هلاك السابقين، ليقطع الاسترسال فى الغفله و أحلام اليقظه، و فى هذا السبيل يضع شرائع مفصله لتنميه المواهب الخيره فى القلب بعد تطهيره من امراض الاستكبار، و الحسد، و الحقد، و العجب، و الغرور و..و..

إذ القرآن يعالج تفكير الإنسان لئلا يقع فى الاخطاء المنهجيه لفهم الحقائق، و ذلك عبر تقديمه للمنهج الصحيح.

ثانياً: القرآن الحكيم شفاء للامراض الاجتماعيه حيث يعطينا برنامجاً فى الاقتصاد، و السياسه و التربيه، و الاسره لنحل به جميع المشاكل، و لا يدع شارده أو وارده بلا حكم واضح.

ص: ٢٩٤

ثالثاً: و يقدم القرآن لنا نصائح توجيهيه للحفاظ على الجسد، فهو يؤكد على ضروره الطهاره و النظافه، و ضروره العمل، و رفع الكسل و التواني، و ينظم للإنسان حياته الاجتماعيه، و الاقتصاديه، و غيرها ليجنبه الأمراض الروحيه و الجسديه.

و نحن عند أصابتنا باى مرض فى اى مجال نحتاج الى التسلح بالإراداه و الحيويه، و حينما تخلص نيتك لله، فانه سيمن عليك بشفائه من حيث تعرف أو لا تعرف.

و هكذا

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام «إنما الشفاء فى علم القرآن» لقوله: «و نُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِأَهْلِهِ لَا شَكَّ فِيهِ وَ لَا مَرِيه، وَ أَهْلُهُ أُمَّةُ الْهُدَى الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» (١).

و جاء فى حديث آخر، مأثور عن الامام الباقر عليه السلام :

«ما اشتكى أحد من المؤمنين شكايه قط، و قال: يا خلاص نيه و مسح موضع العله» «و نُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» الا عوفى من تلك العله، أيه عله كانت، و مصداق ذلك فى الآيه حيث يقول: «شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (٢).

## السعاده و أبعادها:

للسعاده جزءان الاول: (رفع النقمه) و هو الشفاء و (جلب النعمه) و هو الرحمه، و يعنى رفع الألم و الفقر و المرض، و منع حدوث الفتن و الحروب و ما شابه.

ص: ٢٩٥

١- ١) تفسير الصافى ج ٣ ص ٢١٣

٢- ٢) المصدر

اما الجزء الثانى للسعادة فهو:السكينه و الاطمئنان ببلوغ الإنسان غاياته.

و هكذا كان القرآن شفاء و رحمه.

وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۗ ان فى القرآن منهاجك الذى يصل بك الى اهدافك،و لكن لا يستفيد من هذا المنهج الا المؤمنون الذين يطبقون القرآن بوعى و استقامه و إخلاص،اما الظالمون الذين يغيرون معانى آيات القرآن حسب مصالحهم فان القرآن سيكون لهم شقاء فى الدنيا،و خساره فى الآخره،فهو لا يدع مناسبه الا ذمّ فيها هؤلاء الظالمين بائعى الحق،و عبده الشيطان و الهوى،و نتساءل:لماذا خصت الآيه الظالمين بالذكر و الجواب:

أولاً:ان الظلم ظلام القلب،و حجاب و ظلمات يوم القيامة.

ثانياً:لان الظالم يفسق عن حدود الله،و يعبد شهواته فانه يفسر آيات القرآن حسب اهوائه،و بدل ان تدله آيات الذكر على صراط الجنه تهديه الى سواء الجحيم، لأنه هو الذى حرفها،و غير معانيها و يكون مثله كمثل الذى يغير علامات الطريق، فتضله عن الجاده،و لو لم يتبع هواه إذا لاهتدى الى الجاده.

[٨٣]كيف لا- ينتفع الظالمون من القرآن الا- خساراً؟ يبدو ان السياق يجيب عن ذلك فى الآيتين التاليتين،حيث ان الآيه الاولى تبين طبيعه الإنسان و التى لا تقضى استقبال النعم،و الانتفاع بها اما الآيه الثانيه فتوضح اثر العاده فى سلوك البشر و حيث ان ما تعود عليه الظالمون و هم سائر الناس غير المؤمنين من الذين انزل عليهم القرآن فلم يستجيبوا له أقول:ان سائر الناس قد جبلوا على الاعراض عند النعم،كما انهم يعملون على الشاكلة التى ساروا عليها سابقاً،

فلا يتركونها بسهولة الى القرآن، بلى المؤمنون وحدهم يتجاوزون هذه الحالة، و يرتفعون الى مستوى الايمان.

وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ قَالُوا: بَانَ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ يُعْرَضُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ عِنْدَ النِّعْمَةِ، وَ يَبْطُرُ بِهَا وَ يَتَوَلَّى، فَالْآيَةُ حَسَبَ قَوْلِهِمْ نَظِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا .

و لعل الأقرب الى السياق أن نقول: ان هذه الآية تبين صفة اخرى للإنسان و هى الاستهانه بالنعم، و عدم الاستفادة منها، و عدم تقديرها حق قدرها، و الاعراض هنا عن النعم ذاتها و ليس عن الله، بلى ان الاعراض عن الله و عن نعمه ينبع من صفة واحده، ذلك لان من يعرض عن ربه و لا يشكر نعمه، و يزعم انما اوتى النعم بعلمه و جهوده، بل يرى ان النعم جزء من ذاته، و ان له طبيعه مميزه عن غيره بدليل انه خص دون غيره بالنعم فعنصره أفضل من سائر الناس.

أقول ان مثل هذا الفرد يستهين أيضا بالنعم و يعرض عنها، و بالتالى فان هاتين الصفتين تنتهيان الى طبيعه واحده.

و لان الإنسان يعرض عن النعمه، و يتعالى عليها، و يتولى بركنه، و ينأى بجانبه، فانه لا ينتفع بالقرآن الحكيم، و لا يكون القرآن بالنسبه اليه شفاء، و هذا أكبر ظلم ذاتي ان يترك المرء الاستفادة من أكبر النعم استهانه بها.

بلى يبذل المؤمن جهدا كبيرا حتى يستفيد من نعمه الوحي، لأنه يتواضع له، و يسمع و يطيع و يقنت لله بخضوعه لكتابه، فيكون الكتاب شفاء له، و هكذا سائر النعم فى الحياه.



أو ليس العلم نعمه، و لكن من الذى ينتفع به، هل الذى يستهين به أو يتعالى عليه أم الذى يقدره و يكرم مقامه.

و حتى الثمره الناضجه لا ينتفع بها الا من يقطفها و ينظفها ثم يطعمها، اما من يتولى عنها فهل يستفيد منها؟! وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُؤْسَأُ لَإِنِ الْإِنْسَانَ يَرَى النِّعَمَ مِنْ ذَاتِهِ فَانَهُ يَرَى اسْتِمْرَارَهَا، فَيَتَّكِلُ عَلَيْهَا، فَاِذَا زَالَتْ تَصِيْبُهُ الصَّدْمَةُ وَ يَنْهَارُ لِأَنَّهُ قَدْ سَقَطَ مَتَكَأَهُ وَ مَعْتَمِدُهُ، وَ هَكَذَا يَسْتَبِدُّ بِهِ الْيَأْسُ.

أما المؤمن فيشافيه الله بالقرآن الذى يكمل هذا النقص من طبيعه الإنسان، و يجعله يعتمد على الله، و يلهمه الصبر و الأمل.

### الشخصيه و نهج العمل:

[٨٤] و يختلف الناس فى مدى انتفاعهم بالوحى، و ينبع الاختلاف من شخصياتهم الداخليه، التى تكون بالصفات و العادات المتباينه.

و بالرغم من ان الله قد وهب للإنسان من القدره و المعرفه ما يمكنه من صياغه شخصيته حسب ما يشاء، الا انه لو لم يفعل ذلك فسوف يقاد بلجام شخصيته، و ستكون اعماله فى تجاه شخصيته، حتى موافقه من المعارف الالهيه سوف تتأثر بنوع شخصيته، و صفاته، و عاداته، و ملكاته.

قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ الشَّاكِلَةُ مُشْتَقَةٌ مِنْ كَلِمَةِ (الشَّكَلَ) وَ هُوَ الْجَامُ الدَّابَهُ، وَ الشَّكَلَ لَجَامِ الدَّابَهُ،

و يبدو ان المعنى المناسب لهذه الكلمه بالنظر الى أصل معناها اللغوى و سياق ذكرها هنا هو الطريقه و المذهب، أو الطبيعه أو الخلقه، فيكون معنى الآيه كل شخص يعمل حسب طريقته و طبيعته، و بالتالى فان مظهر عمله ينبئ عن مخبر ضميره و نيته، و هكذا تكون اعمال الناس تعبيراً عن طرائقهم، و مذاهبهم، و طبائعهم، و عاداتهم، و علينا ان نكتشف من خلالها نياتهم، و نصنع أعمالهم بها.

من هنا جاء فى الحديث المأثور

عن الامام الصادق عليه السلام :

«النيه أفضل من العمل. الا و ان النيه هى العمل».

ثم تلا « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ . » و قد تكون الأعمال متشابهه الا ان اختلاف النيات، و شخصيات العاملين، و اهداف العمل يجعلها متناقضه، فالصلاه و الصيام و الحج قد يقوم بها المخلص فتكون معراجاً و جنه و جهاداً أكبر، و قد يقوم بها المرئى فتكون وبالاً على صاحبها.

و الله سبحانه و تعالى هو الحكم الذى يقضى بسلامه النيه أو الغلّ فيها.

فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا - و إذا كنت تحب عملاً، أو تهوى طريقه أو تعودت على سلوكك و مذهب فلا- يعنى ان كل ذلك حق، بل مقياس الحق و الباطل هو الله الذى اوحى بالكتاب ليكون فرقاناً، و يهدينا الى سبل السلام، فلا ترك نفسك، و لا تجعلها مقياس الحق و الباطل.

**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي :**

[٨٥] من انزل القرآن من عند الله على قلب الرسول؟ و من يسدد الأنبياء و يؤيدهم بإذن الله؟

ص: ٢٩٩

أو ليس هو الروح الذى قال عنه ربنا سبحانه و تعالى:

«نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ» (١٩٣/ الشعراء) فما هو الروح و من أين يأتى و من يسوقه؟ وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ هَذَا الرُّوحُ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ، مخلوق مدبر، و هو الذى ينزل فى ليله القدر حيث يقول ربنا سبحانه.

«تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا» و هو الذى يسدد الله به الأنبياء و هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل، و كذلك

جاء فى الأحاديث و أضاف بعضها:

«له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان يسبح الله بجميع ذلك» (١) و يرى بعض المفسرين ان الروح هنا هو روح الإنسان، و الكائنات الحيه، بيد ان سياق الآية يدل على ان المراد منه هو روح القدس، أو ليس الحديث لا يزال عن القرآن و هو الذى نزل به الروح الأمين، بلى لا يمكننا ان نقول روح الإنسان، و جميع الأحياء بل حتى أرواح الملائكة تقتبس الحياه من ذلك الروح، و الروح واسطه بين الإنسان و الحياه، و هناك العقل هو ظل من ظلال الروح، و العلم الانسانى جزء من علم الروح، ذلك الملك العظيم، و هكذا اختلفت الأحاديث المأثوره عن مصادر الوحي فى معنى الروح هنا، فبينما نجد بعضها يؤكد على انه الملك العظيم، يقول:

بعضها بأنه روح الإنسان، و الواقع انهما معا من مشكاه واحد، تعال نقرأ معا بعض تلك النصوص:

ص: ٣٠٠

(١- ١) راجع كتاب نور الثقلين ج ٣ ص (٢١٥/٢١٩)

يروى حمران عن أبي جعفر (الباقر) و أبي عبد الله (الصادق) عليهما السلام بعد السؤال عن قوله يسألونك عن الروح. قالوا: «ان الله تبارك و تعالى أحد صمد، و الصمد الشيء الذى ليس له جوف، فانما الروح خلق من خلقه (له) بصر و قوه و تأييد يجعله فى قلوب المؤمنين و الرسل. « ٢-

و روى ابو بصير عن أحدهما الباقر أو الصادق عليه السلام قال: سألته عن قوله:

« وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي » ما الروح؟ قال: «التي فى الدواب و الناس» قلت: و ما هي؟ قال: «هي من الملكوت، من القدره. « ٣-

و روى ابو بصير أيضا قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله الله عز و جل « يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي » قال: «خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل، كان مع رسول الله، و هو مع الائمة و هو من الملكوت» (١).

و هكذا نجد الروح من الملكوت، سواء الذى يؤيد الله به الرسول أو الذى يحيى به الله البشر و الأحياء، إلا ان الله يعطى منه لمن يشاء كيف يشاء بقدر ما يشاء، و هو اعلم بحقيقته لذلك قال ربنا:

وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [٨٦] وَ لَئِنْ سَأَلْتُمْ لَنَنْزِلَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ان القرآن ليس من صنع الرسول و لا غيره من البشر، انما اوحى اليه عن طريق

ص: ٣٠١

الروح، والدليل على ذلك: ان باستطاعه ربنا سبحانه أخذ هذا الوحي من نبيه، و لا يستطيع النبي ان يفعل شيئاً، و هذا دليل على قدره الله.

[٨٧] إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا و من رحمه الله بعباده تنزيله الوحي عبر الروح على رسوله، و هذه هي أكبر النعم على امه الرسول حيث يتبعون منهاجه و يستضيئون بقبسات هديه، و العقل و العلم ظلال لتلك الروح و مثل هذه الروح لا تقهر، و مثل هذا القرآن لا يهزم.

### القرآن يتحدى:

[٨٨] قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا لَوَقَامَ جَمِيعِ سَكَانِ الْمَعْمُورَةِ بِالْاجْتِمَاعِ مِنْ أَجْلِ صَنْعِ آيَةِ كَايَاتِ الْقُرْآنِ لَمَا اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ، و القصص التاريخيه كثيره فى هذا المجال، فذات مره اجتمع ثلاثه من كبار بلغاء العرب و زنادقتهم و فيهم ابن أبى العوجاء الملحد المعروف، و قرروا فى اجتماعهم تأليف آيات بضاهون بها القرآن، و طال بحثهم لمدته سنه كامله فما رجعوا الا بالخيبه و الخسران، و ها هو القرآن بعد أكثر من (١٤٠٠) عام يتحدى الغرب و الشرق، فهل من منافس؟! كلا.

[٨٩] وَ لَقَدْ صَيَّرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ و من معاجز القرآن انه يحدثنا عن كل شىء، و يضرب لنا الامثله فى كل ناحيه، لذلك كان القرآن واقعى التشريع، صحيح المنهج، فواضعه علام الغيوب الذى لا تخفى عليه خافيه فى السماوات و الأرض.

فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا فَبَدَّلَ شُكْرَ النِّعَمِ تِرَاهِمَ يَكْفُرُونَ بِهَا، لماذا؟ لان منطلق الناس في تقييم القرآن هو منطلق مادي بحت، وهم يظنون ان القرآن يجب ان يوزن بمقدار الذهب، و مكاييل الفضة، و مساحات العقار، و هذا هو نمط تفكيرهم المنحرف.

### حوار العاجزين:

[٩٠] وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا يَبْدَأُ الْمَعَارِضُونَ فِي طَرَحِ افكَارِهِمُ التَّبْرِيرِيهِ، و شروطهم التعجيزيه في محاوله يائسه للتنصل من مسئوليات الايمان بالرساله، فبدل أن يسألوا عن تطلعات الرساله و برامجها في الحياه يطلبون من الرسول ان يفجر لهم ينبوعا من الماء، و ما قيمه ينبوع امام منهج الحياه، و تنظيم السلوك و المجتمع؟! [٩١] أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهُمْ تَفْجِيرًا وَ هُنَا تتجلى بوضوح ماديه النمط التفكيري للكفار، فهم يطالبون بالماء و النخيل و الجنات و الأنهار لتكون شواهد على صدق الرساله، و لكن السؤال الذي يطرح على أمثال هؤلاء هو: ماذا يعنى تفجر الينابيع بالنسبه للرساله؟ و ما علاقته مبدأ الرساله و احقيتها بهذه المطالب الماديه؟ و هل تصلح هذه لكى تكون شواهد صدق على عصمه الرساله و عظمتها؟ [٩٢] أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ

وَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا وَ يَسْتَمِرُّ السَّفَهَ الْفِكْرِي، وَ الْخَوَاءَ الثَّقَافِي النَّابِعَ مِنَ الْمُنْتَطَلِقَاتِ الْمَادِيَةِ لِلْمَجْتَمَعَاتِ الْكَافِرَةِ، فَهَمُّ تَارِهِ يَطْلُبُونَ يَنْبِيعَ الْمَاءِ، وَ فِي أُخْرَى يَطْلُبُونَ بِالْجَنَاتِ وَ الْأَنْهَارِ، وَ يَبْلُغُ بِهِمُ السَّفَهَ حَدًّا يَطَالِبُونَ بِحُضُورِ اللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ عِنْدَهُمْ لِيَتَأَكَّدُوا مِنْ صِدْقِ الرِّسَالَةِ (!!) أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِالْمَحْسُوسِ، وَ أَمَا غَيْرُ ذَلِكَ فَهَمُّ بِهِ كَافِرُونَ، وَ الْقُرْآنَ يَدْعُوهُمْ لِإِثَارَةِ عُقُولِهِمْ، وَ التَّخْلِيَّ عَنْ هَذِهِ الْمُنْتَطَلِقَاتِ السَّخِيفَةِ فِي تَقْيِيمِ الْأَفْكَارِ وَ إِبْعَادِ الْحَيَاةِ.

[٩٣] أَوْ يَكُونُ لِمَكَ بَيِّنَةٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَزْقِيٍّ فِي السَّمَاءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ وَ مِنْ مَقُومَاتِ الرِّسَالَةِ وَ الرِّسُولِ عِنْدَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ: امْتِلَاكُ الْوَسَائِلِ الْمَعِيشِيَةِ كَالْبَيْتِ الْجَمِيلِ، وَ الْمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ الرَّفِيعَةِ، وَ الْكَلِمَةِ النَّافِذَةِ، وَ إِنْ يَكُونُ فَوْقَ الْبَشَرِ انْتِطَاقًا مِنْ نَظَرِ تَهْمِ الْمَادِيَةِ الْقَاصِرَةِ، وَ هُمْ يَطْلُبُونَ صُعُودَ الرِّسُولِ لِلسَّمَاءِ، وَ أَخَذَ رِيسَالَهُ مِنَ اللَّهِ مَكْتُوبَةً فِي وَرْقِهِ.

إِنْ كُلُّ رِيسَالَةٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَخْتُومَةً بِخَتْمِ الْوَاقِعِ، وَ مَدْمُوعُهُ بِدَمْعِهِ الْحَقِّ الْإِلَهِيِّ هِيَ بَاطِلَةٌ بِإِجْدَالٍ، وَ هَذَا هُوَ الْمَعْيَارُ الْحَقُّ لِتَقْيِيمِ الرِّسَالَاتِ وَ لَيْسَتْ تِلْكَ الْمُنْتَطَلِقَاتُ الْهَزِيلَةُ.

قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا إِنْ مَشْكَلَهُ النَّاسُ هِيَ وَقُوفُهُمْ عِنْدَ نَقْطَةِ بَشَرِيَةِ الرِّسُولِ، وَ اخْتِلَاطُ الْمَقْدِمَاتِ بِالنَتَائِجِ فِي شَكْلِ غَيْرِ صَحِيحٍ فِي تَقْيِيمِهِمْ لِلرِّسَالَةِ مِمَّا يُوْدِي إِلَى نَشْوءِ مَعَايِيرٍ وَ مَقَايِيرٍ غَيْرِ سَلِيمَةٍ، فَمُصْدَرُ الرِّسَالَةِ هُوَ اللَّهُ وَ إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَ الْمَصِيرُ، وَ مَا الرِّسُولُ إِلَّا بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ،

يبلغ رسالات الله، و امره و نواهيه، قد تم اختياره من البشر، و من مجتمعه بالذات لاعتبارات ذاتيه واقعيه، و اخرى نفسيه، و اجتماعيه و غيرها مما لا يلم به الا علم الله الواسع.

ص: ٣٠٥



إشارة

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا- (٩٤) قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمُقًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّوْأَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا- لا- رَيْبَ فِيهِ فَمَابَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَيْتُمْ حَشِيَّةَ الْأَنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّئِلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَ قُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أُسْكِنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)

اللغة

٩٧[خبت]:الخبو سكون النار عن الالتهاب.

١٠٠[قتورا]:القتر التضييق و هي مبالغه فى البخل.

١٠٢[مثورا]:هالكا.

١٠٤[لفيفا]:اللفيف الجماعات،و المعنى قد لفّ بعضكم فى بعض.

ص:٣٠٧

هدى من الآيات:

ما الذى منع الناس عن الايمان برسالات الله؟ يجيب القرآن عن هذا السؤال و يعالجه.

أولاً:تساءلوا مستغربين و منكرين ابعث الله بشرا رسولا،و أجابهم الوحي بلى،أو ليس النبي ينبغي ان يكون من جنس من يرسل إليهم،فلو كان سكان الأرض ملائكة إذا كان رسولهم ملكا مثلهم.

ثانياً:ان الله هو الذى يشهد على صدق الرساله و كفى به شهيدا،و ان عليه الهدى،اما من يضلله فلن تجد لهم أولياء لأنهم سيحشرون على وجوههم عمياء، و صماء،و بكما،و جزاؤهم جهنم لماذا؟لأنهم كفروا بآيات الله،و أنكروا البعث و النشور.

نستوحى من السياق ان معالجه الكفر بالرسالات تكون بالتذكير بالجزاء الموفور

الذى ينتظر الكفار فى يوم القيامة و هكذا نجد القرآن يدفع هنا شبهه الكفار حول البعث، و يتساءل أو ليس خالق السماوات و الأرض قادر على ان يخلق مثلهم.

و بعد ان يبين طبيعه الشح عند الإنسان(و لعلها سبب من أسباب الكفر بالرسالات) يبين قصه موسى كيف واجه فرعون الذى قال: **إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسِيحُورًا**، فأجابه ان الوحي بصائر، و قال له: **«إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا»** و لخصت هذه القصة كثيرا من حقائق سورة الإسراء حيث أراد فرعون استفزاز موسى و قومه فاغرقه الله و من معه جميعا، و أورث بنى إسرائيل أرضهم الى أجل محدود.

## بينات من الآيات:

### اشاره

من أهم الموانع التى تصد طائفه كبيره من الناس عن الايمان بالرسالات شبهه عميقه الجذور تقول: لماذا الرسل بشر، و لعلها تعود الى احساسين شاذين:

أ- استصغار الإنسان نفسه مقارنة مع ما فى عالم الطبيعه من عجائب خلق الله، و لذلك يزعم ان الله سبحانه و تعالى أعظم من ان يتصل بالإنسان بصورة مباشره أو يبعث من البشر رسولا! ب- عدم معرفه الوسيله التى يتم عبرها اتصال الله باهل الأرض، فهل ينزل من السماء ملك الى الأرض؟ من هو اذن؟ و كيف يكون؟ و قبل كل شىء لا بد ان نعرف:

ان التعجب نوع من الجهل و انه سيكون حجابا بين المرء و الحقيقه، و ان الكثير من الناس يكذبون بالحقائق لاستغرابهم منها، و عدم احاطه علمهم بابعادها، كما يقول ربنا **«بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ»** كذلك يؤكد ربنا بان سنه الله قضت بان يرسل الرسل من نفس جنس المرسل إليهم، و لو كان سكان الأرض ملائكة إذا

لبعث منهم رسولا إليهم.

[٩٤] وَمَنْ مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۗ إِنَّ الْحِجَابَ الَّذِي حَجَبَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَاتِ اللَّهِ هُوَ عَدَمُ تَصَدِيقِهِمْ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ: أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا، وَكَأَنَّ الرِّسَالَهَ مَرْتَبَهٗ عَالِيَهٗ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا بَشَرًا أَوْ كَأَنَّ اتِّصَالَ الْغَيْبِ بِالشُّهُودِ مَحَالٌ.

[٩٥] قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْسُونَ مُطَمَّئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا لَّوْ كَانُوا سَكَّانَ الْأَرْضِ مَلَائِكَةً لِّبَعَثْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ وَ مِنْ جِنْسِهِمْ، وَ هَكَذَا فَانِ الرَّسُولَ، أَيِ رَسُولٍ هُوَ مِنْ نَفْسِ الْقَوْمِ الَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ قَالَ رَبَّنَا سُبْحَانَكَ:

«رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» «بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» «وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا» «كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَ لَا تَتَّقُونَ».

و هناك تفسیر آخر لهذه الآیه يقول: ان ربنا سبحانه و تعالى يذكر بان من طبيعه الإنسان حاجته للتذكير، لأن مادته ترابيه تجذبه نحو الشهوات، كما ان فيه و مضه روحيه ترفعه نحو القيم لذلك فهو بحاجة الى عامل خارجي يقوى شعوره بالومضه الروحيه حتى يعلوا، فكانت هذه حاجته الى الرساله: و لو خلق الله الملائكه كما خلق الإنسان من طبيعه ترابيه تقوم بالفساد كما قالت الملائكه «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» إذا لبعث الله إليهم رسولا ملكا منهم، و هذا التفسير يتبناه العلامة الطباطبائي رحمه الله عليه، و يستدل على ذلك بكلمه «يَمْسُونَ مُطَمَّئِنِّينَ» دلالة على جاذبيه الأرض للإنسان التي تسبغ على حركته فوق الأرض طمأنينه و توازنا و لولاها لصعد في الهواء، أو لاضطرب في مشيه و حركته.

[٩٦] قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا تلك كانت شبهات تحول بين تصديق الناس للرسالات، و لكن صدق الرسالات يتجلى عبر عده مظاهر جعلها الله شواهد على صدق الرساله، و كفى بالله شهيدا.

أولاً: لقد أودع الله في عقل الإنسان مجموعه قيم و تعاليم ترشده الى الحق، و الرسالات السماويه حين تأتي للبشرية تدعو الإنسان الى ذات القيم و التعاليم و هكذا يطمئن الإنسان الى صدق تعاليم الرساله و قيمها، لانطباقها على القيم و التعاليم التي يحملها في نفسه، و في ذلك

يقول رسول الله صلى الله عليه و آله :

«ان لكل حق حقيقه، و على كل صواب نورا.» و

ذات مره جاء رجل الى النبي صلى الله عليه و آله و قال: يا رسول الله انى أعيش فى الصحراء و لا أملك من يهدينى و لا أستطيع ان آتى إليك باستمرار فعظنى فأمره رسول الله صلى الله عليه و آله ان يدنو منه حتى إذا وصل بمحاذاته وضع النبي الأكرم صلى الله عليه و آله يده على قلب الرجل و قال: «ما أمرك به هذا فأفعله، و ما نهاك عنه فانته» و هذه شهادته باننا لو تجردنا من الضغوط و الأهواء و العادات و الأفكار المسبقه، لرأينا بوضوح انطباق تعاليم القرآن مع التعاليم التي تكنها عقولنا و فطرتنا.

ثانياً: رغم كل الصعوبات و العراقيل التي وضعها أعداء الرساله و لا يزالون نجد ان الإسلام قد اجتاح الأرض كلها، و لو لا تأييد الله سبحانه للمسلمين فى حروب بدر و حنين و غيرها إذا لاندحر الإسلام و المسلمين منذ البدايه، و لو

لا نصرته لعباده في حطين و عين جالوت لانطفأت شمعته الإسلام، و لو لا تأييده للمؤمنين في إيران على الشاه لما انتعش الأمل بتحقيق وعد الله «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» و استمرار التأيد الغيبي لدينه دليل على صدق النبي و صدق رسالته، و ما أكثر الشواهد الغيبيه، و الألفاظ الخفيه و الظاهره التي أنعم الله بها على عباده المؤمنين في جهادهم.

ثالثاً: عظم درجه رسول الله صلى الله عليه و آله و منزلته الخصيصة عند الله فقد جرب بعض أصحابه كيف كان يشفع لهم عند الله في تحقيق مسائلهم، فيستجيب الله لهم، بل لا تزال الشفاعه الى يومنا هذا، فالله يستجيب لكل مؤمن إذا توسل اليه بجاه رسوله، و قد جاء في الحديث كتاب (فيض القدير) فيما روى الطبراني في الأوسط عن علي عليه السلام موقوفاً قال:

«كُلُّ دَعَاءٍ مَحْجُوبٍ حَتَّىٰ يَصَلِيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ وَ آلُ مُحَمَّدٍ.» و هناك الكثير من الشواهد التي يوجزها الله سبحانه بقوله: «كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا».

هذا و قد ذهب البعض في تفسيره لهذه الآيه «قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ» بأنها قطع للجدل و الصراع بين الرسول صلى الله عليه و آله و قومه حينما غضب عليهم لعنادهم، فقال: «كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ» و هذا تفسير بعيد، بل هذه شهاده من الله على صدق الرساله كما فعل الله لأنبياؤه السابقين عليهم السلام، حيث حول نيران نمرود الى برد و سلام على إبراهيم، و كانت حجه على صدق إبراهيم، و إغراق فرعون، و نصر موسى عليهم السلام، و أحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام و كثير من الحجج التي حدثنا عنها القرآن من هذا القبيل معاجز عاجله أو آجله تشهد

على صدق الرسالات.

[٩٧] وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ثُمَّ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْهَادِي الَّذِي يَهْدِي الْعِبَادَ إِلَى الرِّسَالَةِ وَالْإِيمَانَ بِهَا، وَسَبَقَ أَنْ أَوْضَحْنَا أَنَّ الْهَادِيَةَ مَرَحَلَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ مِنَ التَّكَامُلِ الْبَشَرِيِّ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يَبْلُغَ مَرَحَلَةَ الْهَادِيَةِ إِلَّا بَعْدَ رَحَلَةٍ شَاقَّةٍ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا الضَّالُّ الَّذِي حَجَبَتْهُ الْمَعَاصِي عَنْ رُؤْيِهِ الْحَقِّ وَأَوْلِيئِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ شَيْئًا.

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَفِيدُوا مِنَ نِعْمِ الْحَوَاسِّ وَالْعَقْلِ، لِذَلِكَ سَوْفَ يَسْلِبُهُمُ اللَّهُ تِلْكَ النِّعْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا جَزَاءٌ مِنْ عَطَلِ وَظَيْفِهِ عَيْنِهِ وَأُذُنِهِ وَلسَانِهِ.

مِثْلًا وَأَهْمُ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا كُلَّمَا ضَعُفَتْ نَارُ جَهَنَّمَ بَاعْتَابَهَا مَادَّةً، يَزِيدُهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِالْوَقُودِ لِتَزْدَادَ سَعِيرًا—وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ—فَالْعَذَابُ دَائِمٌ وَالنَّارُ تَتَجَدَّدُ، وَلَا مَنَقَذَ لَنَا مِنْ عَذَابِهَا سِوَى اخْتِلَافِ الْإِيمَانِ، وَمَحْضِ الطَّاعَةِ، وَانْتِهَازِ الْفُرْصِ وَاجْتِنَابِ لِحَظَاتِ الْعَمْرِ، لِنَقْضِهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَمَامَنَا فُرْصَةٌ عِنْدَ كُلِّ مَنْعُطٍ فِي مَسِيرَتِنَا. فَرَمَضَانَ رِبِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحِجَّ مَعْرَاجَ الصَّالِحِينَ، فَيَجِبُ أَنْ لَا نَفُوتَ تِلْكَ الْفُرْصَةَ،

وَالْحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَقُولُ:

«أَنْ مَنْ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَلَا يَغْفِرُ لَهُ إِلَّا إِذَا أَدْرَكَ عَرَفَاتٍ» فَلِنَقْذِ أَنْفُسَنَا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي لَا بَدَّ مِنْ وُرُودِهَا كَمَا قَالَ: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» فَمَنْ اسْتَطَاعَ إِنْقَازَ نَفْسِهِ، وَتَدَرَّعَ ضِدَّ جَهَنَّمَ

ص: ٣١٣



لباس التقوى فقد فاز.

[٩٨] ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فعذاب جهنم الدائم جزاء من يكفر بآيات الله، لا شفقه و لا عطف عليهم لأنهم كفروا، ان حجب العصبية و حب الذات و اتباع الشهوات تغطى قلوبهم و من دون التخويف الذى يوقظ القلب، و ينشط فيه العقل و الاراده لا- يمكن اختراق تلك الحجب المتراكمه، و اى تخويف اعمق أثرا من تخويفهم بعذاب جهنم، هكذا يعالج الكتاب امراض القلب، و يوفر للإنسان أفضل فرصه للخلاص من حجب قلبه.

### البعث من جديد:

وَ قَالُوا أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَ إِذَا لَمَبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا و كأنما هذا الاشكال سينقذهم! ان الله قادر على البعث، و سيرون العذاب بعد حين، و حاله الاستغراب و التعجب التى حالت بينهم و بين الايمان بالآخرة لن تفيدهم.

[٩٩] أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فَادِرٌّ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ أَوْ لَا- تكفى الطبيعه بكل روعتها و بهائها و ما بها من جبال، و وديان، و بحار، و أنهار، و منظومات، و مجرات شهاده على قدره الله سبحانه و..و..؟! و هل خالق كل هذا يعجزه خلق الإنسان من العدم، و ما دام الفرد قد خلق لا من شىء فهل يعجزه ان يعيد خلقه مره اخرى؟! وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ

ص: ٣١٤

للإنسان أجل لا ريب في ذلك، وأموره جميعا بيد الله، بقاءه، حياته، موته، وحياته من جديد و إذا أقر الله سبحانه عذابهم فانما رحمه بهم، و تنفيذاً لأجل مقدر سلفاً، و لعلهم يرجعون، و لكنهم بدل ان يشكروا نعمه الله و ينتفعوا بهذه الفرصه الاخيره التي منحت لهم تراهم يكفرون بالله، و يكفرون بنعمه الأجل، بل يتخذون من تأخير الأجل دليلاً على عدم العقاب، أ فليس ذلك منتهى الكفران بالنعمه؟! بلى، و السؤال لماذا هذا الكفران؟ و الجواب: لأنهم ظلموا أنفسهم. و تجاوزوا حقوق الله و حقوق الناس.

فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا - كُفُوراً كلما ازدادت الجرائم حجت القلوب عن الايمان فيكفرون، و هذه فكره طالما تكررت في القرآن الكريم، و هناك تجربه شخصيه يمكن لاي شخص ان يلاحظها في نفسه فعند ما يدفع الشيطان الإنسان الى ارتكاب معصيه ما تجد قلبه معرضاً عن ذكر الله، و خلال صلاته يكون مشغول البال، اما حينما يكون القلب نظيفاً فانك تجده متصلاً بنور الله سبحانه حتى في غير الصلاه.

[١٠٠] قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَيْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا الْحَاجِزَ الْآخِرَ الَّذِي يَحْجِزُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْإِيمَانِ هُوَ (البخل) فالإنسان مجبول على الشح سواء كان غنياً أو فقيراً، فلو كان يملك خزائن الله، و خزائن رحمته التي وسعت كل شيء لقبض يده خشيه الإنفاق.

لقد تكررت في سورة الإسراء المباركه مثل هذه الآيه التي تذكرنا بطبائع الإنسان كقوله سبحانه: «وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا» و قوله «وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا»

(٦٧) وقوله: «وَ إِذِ اُنْعَمْنَا عَلَي الْاِنْسَانِ اَنْ اَعْرَضَ وَ نَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَ اِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسًا» (٨٣) و لعل السبب يكمن فى ان هذه السوره تبين فوائد الوحي و من اعظم فوائده: شفاء البشر من طبائعه الضعيفه و المنحرفه، و من هنا ذكرت السوره ببعض هذه الطباع.

[١٠١] وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَّ بَنى إِسْرَائِيلَ اِذْ جَاءَهُمْ لَقَدْ كَذَبُوهُ لِأَنَّهُمْ نَظَرُوا اِلَيْهِ بِمِثْلِ نَظَرْتَهُمْ اِلَىٰ نَبِيِّكُمْ، فَقَدْ كَانَ رَاعِيًا، اِذَا مَلَاسَ بِسَيْطِهِ وَ وَ حِينَ قَالَ: اِنى رَسُول رَب الْعَالَمِينَ اِلَيْكُمْ اتَّهَمَهُ فِرْعَوْنُ بِالْجَنُونِ.

فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ اِنى لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْجُورًا يَبْدُو اَنَّهُ زَعَمَ اَنْ مُوسَىٰ قَدْ اَبْتَلَىٰ بِالسَّحْرِ لِأَنَّهُ كَانَ شَائِعًا فِى مَجْتَمَعِهِ، وَ لِأَنَّ عَوَاقِبَ هَذِهِ الدَّعْوَىٰ كَانَتْ تُضِرُّ مُوسَىٰ، وَ لَا يَقْدَمُ عَلَىٰ مِثْلِهَا عَاقِلٌ.

هكذا كان يزعم فرعون ذلك الجبار الكافر بجبار السماوات و الأرض سبحانه.

و الواقع ان تحدى أنبياء الله لسلطات عصرهم و فساد مجتمعهم كان عظيما و شاملا و جذريا، الى درجه كانوا يتهمون بالجنون لو لا- ان كل تصرفاتهم و أقوالهم كانت تفيض بالحكمه و المعرفه، فلو لم يكونوا متصلين بالغيب، و واثقين من نصر الله لهم، و مخلصين لفضيتهم فهل كان تحديهم غير الجنون، إذا ذات التحدى كان أعظم شهاده على صدق رسالاتهم، و لعل القرآن ينقل لنا تهم الطغاه للأنبياء بالجنون لنعرف هذه الحقيقه.

و لم يكن موسى مسحورا بل كان رسولا، و علامه رسالته تحديه لسلطه فرعون، و ارهابه و تضليله لذلك قال:

[١٠٢] قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا انك هالك يا فرعون فأنت تعلم ان الحق معي،الا- ان فرعون ما كان يعلم عن نبوه موسى علم ايمان،و انما كان يعلم علم حجه،بمعنى ان الحجه ثبتت عنده،و لكن لم يؤمن،و تلك الآيات العظام لا تجرى على يد إنسان غير نبي لذلك قال ربنا«لقد علمت»يا فرعون ان الآيات التسع وهى:خروج اليد بيضاء من غير سوء و العصا- و السنون-و نقص الثمرات-و الطوفان-و الجراد-و القمل و الضفادع-و الدم انما هى من عند الله و لم تجر على يد إنسان عادى.

و قرء«و لقد علمت»بالضم يعنى موسى هو الذى علم كما يؤيد ذلك حديث

يروى عن الامام على عليه السلام يقول:فيما معناه:

«كلا- لم يعلم فرعون ان الله بعث موسى بتلك الرساله،انما موسى هو الذى علم فهو واثق من امره. » و القرآن جعل الكتب السماويه بصائر تساعد الناس على رؤيه الحقائق،و لما كذب فرعون بتلك الحقائق كلها بصّره موسى عليه السلام بخاتمته «وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا»! [١٠٣]حينئذ ثارت ثائره فرعون.

فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَزْعَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطَرْدِهِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ،و نفيهم من البلاد الا ان الله سبحانه و تعالى وقف له بالمرصاد.

ص:٣١٧

فَأَعْرِضْنَا لَهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً [١٠٤] وهذا أحد معاني شهاده الله على صدق رسالات الأنبياء، فقد أخذ الله سبحانه و تعالى فرعون و ملاءه، و نبذهم فى اليم فابتلعهم الماء كما يبتلع النهر الحصاه.

وَقُلْنَا مَنْ بَعِيدٍ لِيُنِي إِسْرَائِيلَ إِسْرَائِيلَ أَشْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا قَالُوا فى معنى اللفياف انه بمعنى متلاحم بحيث يلف بعضه ببعض، فلا يميز البعض عن الآخر لشده اندكاهم ببعضهم.

و هكذا ذهب فرعون و بقى منه عبره للعالمين!

ص: ٣١٨

إشاره

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا (١١١)

اللغه

١٠٦ [مكث]: مهل و تأن.

ص: ٣١٩

هدى من الآيات:

هذا هو الكتاب، و تلك هي رسالات الله التي فيه، انه الحق الذي أنزله الله و سوف يحفظه، و اما الرسول فان هو الا مبشر و نذير، و انما نزله على دفعات، لأنه أبلغ أثرا حيث يستوعبه الناس و ان للقرآن فئه من الناس يؤمنون به ايّما ايمانا، فهم يخرون للأذقان ساجدين كلما تليت عليهم آياته، و يسبحون الله و يتقون بوعده، و يسجدون له و يبكون و يزيدهم القرآن خشوعا.

ان هؤلاء الذين يصوغهم الوحي مثل حيّ للقرآن و شهاده مبينه على صدقه، و على انه من الله أو ليس القرآن يهدى الناس المؤمنين الى ربهم و يأمرهم بدعائه و بأسمائه الحسنى، يأمرهم بالصلاه دون الجهر من القول و يختم القرآن سورة الإسراء المباركه بحمد الله، كما بدأها بتسبيحه، ذلك الله الواحد الأحد، الذي لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك في الملك، و لم يكن له ولي من الذل.

التسبيح و الحمد و التكبير هو نسب الله و صله العبد به سبحانه و تعالى.

## بينات من الآيات:

### اشاره

[١٠٥] ما هو محتوى الرسالات؟ انه الحق الذى انزل الله به القرآن، و انه الذى الحق بقى القرآن عليه دون ان تمتد اليه يد التحريف، و لكن ما هو الحق؟ ١- وجود الكون و الإنسان حق.

٢- قوانين الطبيعه، تلك السنن الالهيه التى أجراها الله فى كل شىء حق.

٣- عقل البشر الذى أودعه الله قلب كل إنسان و به يستوعب واقعيات الأشياء حق.

و القرآن حقيقه واقعه و قد نزل ليعكس الحقائق و يهدى الى السنن و يثير العقول كمحتواه حق لا ريب فيه.

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ لَقَدْ قَدَرَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَهُ بِالْحَقِّ (وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ)، و تحقق هذا التقدير (و بالحق نزل) و ان محتواه حق (وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) و ثمراته حق (و بالحق نزل) و ان الحق الذى أنزله الله به (وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) سوف يستمر (و بالحق نزل). أو لم يقل ربنا: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»، فلم و لن يقدر أحد على تغييره، هكذا ينبغى ان تفهم هاتان الكلمتان.

قال بعض المفسرين: ان نزول القرآن كان مصاحبا للحق، كما ان الحق كان مصاحبا للقرآن، و نتساءل ما هو معنى الباء فى قوله بالحق؟



الباء: حرف جر للاستعانه فان قلت: اكتب بالقلم، اى استعن بالقلم فى الكتابه و هذا المعنى يصح فى الآيه، إذ ان الحق محتوى القرآن و جوهره بل ان كل آيه فيه دليل حق، لان القرآن جاء لاحقاق الحق كله.

قال تعالى: **وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧٧/ الأنفال)** **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** الرسول بالنسبه الى من أرسل إليهم لا يعدو ان يكون مبشرا لهم بالخير ان هم آمنوا، و نذيرا لهم بالعذاب ان هم كفروا و لم يكن الرسول كفيلا أو وكيلا عليهم و لم يؤت صلاحيه تغيير القرآن، و قد عصمه الله من ان يغير فيه شيئا.

[١٠٦] **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ لِلْقُرْآنِ عِدَّةَ أَسْمَاءَ** فمره يقال: انه كتاب لأنه يكتب، و مره يقال: انه فرقان لأنه يفرق بين الحق و الباطل، و مره يقال: انه ذكر لأنه يذكر، و هكذا يسمى القرآن قرآنا لأنه يقرأ، و هكذا تختلف المسميات. و المسمى واحد و لعل ذلك من أجل الا- يعتقد الإنسان ان أهميه القرآن تكمن فى كتابته أو فى قراءته، و لكن أهميه القرآن تكمن فى جوهره. و ما هذه الأسماء الا تلخيص لاهداف القرآن و اشاره إليها.

(فرقناه) اى فصلناه و فرقناه «على مكث»: اى بتأن و تؤده، بين فتره و اخرى حتى يستوعبه الناس.

**وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** فى الآيتين السابقتين قال الله كلمه واحده باختلاف بسيط، فقال مره: أنزلناه،

و مرّه نزلناه، فما هو الفرق بين الكلمتين؟ الفرق هو ان كلمه (أنزلناه) اى أنزلناه جمله واحده و(نزلناه) اى على اقساط و هذا يؤكد ما قيل: ان القرآن نزل مرتين على قلب الرسول صلى الله عليه و آله مره فى ليله القدر، و المره الاخرى خلال ثلاث و عشرين سنه حسب المناسبات و الظروف لكى تترسخ آياته و تعاليمه فى ضمير المؤمنين و فى واقع الحياه الاجتماعيه.

[١٠٨-١٠٧] ان النفس العالمه لا تستطيع ان تصبر امام النور الباهر المنبعث من القرآن، و يخز صاحبها سجودا.

و لكن من هم الذين أوتوا العلم؟ الذين أوتوا العلم هم أحد اثنتين:

١- اما أولئك الذين أعطاهم الله العلم من أهل الكتاب عن طريق الرسالات الالهيه السابقه، و عند ما سمعوا الآيات القرآنيه استوعبوها و رأوا ان هذه الآيات مصدقه لما أوتوه، بل هى أعظم فسجدوا للحق و خضعوا له.

٢- و اما ان يكونوا من العرب الذين غمرت نفوسهم بزخات العلم، فكانوا غير أولئك الجهّال الذين يبحثون عن الأمور التافهه لذلك فهم عند ما يستمعون الى صوت الحق، و يرون النور الباهر يؤمنون به، و يستجيبون لندائه.

كان اويس القرنى يعيش فى الصحراء عيشه العز و الشرف، فعند ما سمع بالرسول و بقرآنه، آمن به و بقرآنه من دون ان يراه فصار بذلك من المقربين الى رسول الله صلى الله عليه و آله، و أسلم و أحسن إسلامه فكان يقضى نهاره بالصوم و ليله بالعباده، و مثل أويس أبو ذر و المقداد و كثيرون آخرون.

قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا لَا يَهْمُنَا إِنْ تَوَمَّنُوا أَوْ لَا تَوَمَّنُوا، فإلْسنا محتاجين الى إيمانكم، إذا كان الله يريد أن يضلّكم، فهناك من يؤمن بالقرآن إيماناً عميقاً، وهم أهل المعرفة.

إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ أَى أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ نَزْوِ الْقُرْآنِ.

إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا الْخُرُورُ: هُوَ الْوَقْعُ السَّرِيعُ.

خَرُّوا بِسَرْعَةٍ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَ لَعَلَّهُمْ نَسُوا أَنفُسَهُمْ إِمَامَ الْقُرْآنِ وَ وَقَعُوا عَلَى أَذْقَانِهِمْ وَ لَمْ يَقَعُوا عَلَى جِبَاهِهِمْ، لِأَنَّهُمْ وَقَعُوا مِنْ دُونِ اخْتِيَارٍ، فَوَقَعُوا عَلَى أَذْقَانِهِمْ ثُمَّ سَجَدُوا بِوُجُوهِهِمْ.

وَ يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا يَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ شَيْئًا وَ قَدْ تَحَقَّقَ فِي الْقُرْآنِ أَوْ أَنَّهُمْ عَبَرُوا- بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ- عَنْ غَايَةِ إِيمَانِهِمْ، وَ مَتَّهَى يَقِينُهُمْ حَيْثُ نَزَّهَ اللَّهُ عَنْ خَلْفِ الْوَعْدِ، وَ أَكْدُوا أَنَّ وَعْدَهُ فِي الْكِتَابِ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَ حَسَنَ جَزَائِهِمْ فِي الْآخِرَةِ حَقٌّ.

وَ سَيَتَحَقَّقُ أَكِيدًا. وَ هَذَا أَحَدُ مَعَانِي الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ «وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَّلَ».

ان مخففه بمعنى «إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا» .

[١٠٩] وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعًا

يبدو ان للإنسان امام الحالات الغريبه،حالتين متدرجتين:

الاولى:الانصعاق و الدهشه.

الثانيه:الانبهار الواعي.

و لعل الآيه التاليه تشير الى هاتين الحالتين حيث يقول سبحانه: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» (٢٣/الزمر) في البدء يرتجف الإنسان و يصعق،ثم يستوعب الصعقه و هكذا المؤمنون فهم يخزون أولا لقوه النور،و ما يلبثون ان يتعودوا على قوه النور،فيخرون خشوعا لله سبحانه.

### توحيد الله:

[١١٠] قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ كَتَبَ الْعَلَامَةُ الطَّبَاطُبَائِي فِي تَفْسِيرِ الْمِيزَانِ بَحْثًا مَطْوُولًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ مَا مَحْتَوَاهُ: ان البوذيين و المجوس و غيرهم من اتباع الأديان،و من تأسى بهم يعتقدون ان لله مظهرا و جوهرًا،و ان مظهر الله يختلف عن جوهره،فمظهره هي أسماءه و هي منفصله عن جوهره،أو بمعنى آخر منفصله عن ذاته،و يعتقدون بان الله أجل من ان يسمى بهذه الأسماء،و أسماءه انما هي الملائكه،فكل ملك من الملائكه يحمل صفة من صفات الله،فأحد الملائكه يمثل العلم،و آخر يمثل العزه،و آخر يمثل القدره،فهم يعبدون الملائكه و يجسمونها بتجسيمات مختلفه،و بالتالى فهم لا يعبدونها الا

ص:٣٢٥

لتقربهم الى الله زلفى، فصنعوا لله ثلاثمائة و ستين إلهًا، كل إله يختلف عن الآخر، فجمال الله يختلف عن عمله و علمه يختلف عن جلاله، و جلاله يختلف عن قدرته و هكذا..

هذه هي الوثنيه، أما عقيدته التوحيد فترفض ذلك و ترى ان أسماء الله تشير الى الحق الواحد فالله رحيم عزيز، و بيد ان العزه و الرحمه تشير ان الى ذات واحد، و هكذا جبار و كريم، و رؤف.. إلخ، و هذه الأسماء مجرد آيات تشير اليه سبحانه فعند ما نقول: سمع بصير، فهو سمع بصير بدون آله سمع أو بصر، و قد قال الشاعر:

عبارتنا شتى و حسنك واحد و كل الى ذلك الجمال يشير

قال كفار قريش عن الرسول صلى الله عليه و آله مره: انظروا الى هذا الصابئي يأمرنا ان نعبد إلهًا واحدًا و هو يعبد الهين، يقول: الله، الرحمن، فجاءت الآيه لتقول: سواء قلت الله أو الرحمن أو الرحيم أو الواحد أو القهار فان ذلك يدل على شىء واحد، و ان الأسماء الحسنی كلها لله و هي ليست بعيده عنه فهي صفات له، و هي غير ذاته.

جاء فى الحديث عند سؤال هشام بن الحكم الامام الصادق عليه السلام عن اشتقاق كلمه (الله) فقال له: «يا هشام! الله» مشتق من «اله» و «إله» يقتضى مألوها، و الاسم غير المسمى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر و لم يعبد شيئًا، و من عبد الاسم و المعنى فقد كفر و عبد اثنين، و من عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد، أ فهمت يا هشام؟ قال: فقلت: زدنى فقال: «ان الله تبارك و تعالى تسعه و تسعين اسما، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهًا، و لكن الله معنى يدل عليه هذه الأسماء، و كلها غيره، يا هشام! الخبز اسم للمأكول، و الماء اسم للمشروب، و الثوب اسم للملبوس، و النار اسم للمحروق، أ فهمت يا هشام فهما تدفع به و تناضل أعداءنا، و المتخذين مع الله عز و جل غيره؟» قلت: نعم

قال: فقال «نفعك الله به و ثبتك قال هشام: فو الله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتى قمت مقامى هذا» (١) وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ  
وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا

جاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام :

«الجهر بها رفع الصوت، والتخافت بها ما لم تسمع نفسك، و اقرأ بين ذلك» (٢) و لعل الآية تشير الى فكره هامه هي انه لا ينبغي  
الصراخ فى الصلاه لان الصراخ ليس من آداب الدعاء و لا يجوز الإخفات الى درجه بعيده صحيح ان الله بعيد عنك بعلوه و  
جلاله الا انه قريب منك بلطفه و علمه، و كما

جاء فى الدعاء (الذى بعد فلا يرى، و قرب فشهد النجوى) و لذلك شرع فى الصلوات الإخفات فى الصلاه النهاريه، و الجهر فى  
الصلاه الليليه.

### الله يتجلى فى كتابه:

[١١١] لم تحر البشريه فى مسأله كحيرتها فى الرب، لان عقل الإنسان محدود فبالرغم من ان الله علمه الأسماء كلها، قصر عن  
معرفه كنه وجود الله سبحانه، إذ أن علمه و عقله، و كل وجوده أقل من ان يحيط برب السماوات و الأرض، فكيف يحيط بكنهه و  
هو لم يحط بنفسه علما. بل الاحاطه بكنه الطبيعه من حوله الا- أن الله سبحانه ما ترك الإنسان سادرا فى حياته تلك، فقد عرفه  
نفسه و تجلى له مرتين: مره فى آفاق العالم و مره فى نفسه عبر الذكر الحكيم. و آيات الذكر تذكرونا بآيات الطبيعه.

ص: ٣٢٧

١- (١) البحار ج ٤- ص ١٥٨

٢- (٢) نور الثقلين ج ٣ ص ٢٣٤

فنحن اذن أحوج ما نكون الى القرآن لكي نعرف ربنا، ونعرف أسماءه الحسنی. و ان معرفه الله سبحانه أعظم فائده يستفيدها الإنسان من خلال قراءته للقرآن، لو قرأها من دون حجاب بينه وبينها، وهي بالتالي أعظم شهاده على صدق رسالات الرب.

جاء في الحديث المأثور:

«إِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى فِي كِتَابِهِ لِعِبَادِهِ وَ لَكِن النَّاسَ لَا يَبْصُرُونَ.» فهذا القرآن أنزل الله فيه ما لو نزل على جبل لفته فتا، فقال: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ\* وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (٢٢/الحشر) هذا هو حال الجبل الأصم من عبر القرآن و دروسه فكيف بالإنسان.

وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَعَدَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، لَعَلَّ أَحَدًا مَعَانِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَمْ يُفَضَّلْ عِنَصْرًا عَلَى عِنَصْرٍ وَلَا - جَوْهَرًا عَلَى جَوْهَرٍ إِلَّا - بِالتَّقْوَى، مِمَّا أُعْطِيَ لِلْجَمِيعِ فِرْصَةَ التَّعَالَى إِلَيْهِ، وَ الْكَمَالَ بِفَضْلِهِ. وَ الْآيَةُ تَفْضِيحٌ مَا يَعْتَقِدُهُ الْوَثْنِيُّونَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَوْلَادًا هُمُ الْمَلَائِكَةُ.

جاء في الحديث:

«الحمد لله الذي لم يلد فيورث و لم يولد فيشارك.» و حيث نفى الولد، نفى الشرك لان من لم يلد صمد الا جزاء، فكيف يكون مولودا و من لم يكن مولودا لا يكون شبيها بشيء، فلا كفوله و لأنه لا شريك له لا

ص: ٣٢٨

ولى له من الذى ينصره لأنه غنى بدأته فكيف يستعين بغيره..

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ قِيلَ ان هذه الآية جاءت ردا على اليهود و النصارى حين قالوا: اتخذ الله ولدا، و على مشركى العرب حيث قالوا: لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك، و على الصابئين و المجوس حين قالوا: لو لا أولياء الله لذل الله. (١)

و قد جاء فى الدعاء المأثور: (الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا فيكون موروثا، و لم يكن له شريك فى الملك فيضاده فيما ابتدع، و لا ولى من الذل فيرفده فيما صنع). (٢)

لم يكن عند الله شريك فيضاده أو يساعده، لأنه لو كان له شريك يضاذه لترزع النظام، و لو كان له شريك يساعده فالأول قوى و الآخر ضعيف فما هى حاجتنا الى الضعيف.

فى الحديث المأثور عن هشام بن الحكم فى حديث الزنديق الذى أتى أبا عبد الله عليه السلام و كان من قول أبى عبد الله عليه السلام «لا يخلوا قولك انهما اثنان من ان يكونا قديمين قويين، أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويا و الآخر ضعيفا، فان كانا قويين فلم لا- يدفع كل منهما صاحبه و ينفرد بالتدبير، و ان زعمت ان أحدهما قوى و الآخر ضعيف، ثبت انه واحد كما تقول للعجز الظاهر فى الثانى فان قلت:

انهما اثنان لم يخل من ان يكونا متفقين من كل جهه أو متفرقين من كل جهه فلما رأينا الخلق منتظما و الفلك جاريا، و التدبير واحدا، و الليل و النهار و الشمس و القمر، دل صحه الأمر و التدبير و ائتلاف الأمر على ان المدير واحد ثم يلزمك ان

ص: ٣٢٩

١-١) مجمع البيان

٢-٢) دعاء عرفه للإمام الحسين عليه السلام مفاتيح الجنان



ادعيت اثنين فرجه ما بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجه ثالثا بينهما قديما معهما فيلزمهاك ثلاثة فان ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين، حتى يكون بينهم فرجه فيكونوا خمسة ثم يتناهى في العدد الى مالا- نهايه له في الكثره. « (١) ان ما يتوهمه المتوهمون هو مخلوق لهم، مردود عليهم، فالله لا- يوصف بتمثيل و لا- يشبه بنظير فبدل ان يفكروا في ذات الله يجب عليهم ان يتفكروا في خلقه الذي يقودهم اليه.

وَ كَبْرُهُ تَكْبِيرًا لَيْسَ مِنَ الصَّحِيحِ ان نقول ان الله أكبر من كل شيء، فهل هناك شيء يحتمل ان يكون أكبر منه؟! و انما نقول هذا الشيء أكبر من هذا الشيء لوجود تقارن بينهما، و لكن الأصح ان الله أكبر من ان يوصف، لا- ان تقول الله أكبر من الشمس فهناك إذ ليست هنا لك مقارنه بينهما، كيف تضع الحقير المخلوق بجانب الخالق الكبير؟! و لكن يمكنك ان تقول: ان الشمس أكبر من القمر.

جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال لجميع بن عمير:

«اي شيء الله أكبر؟» فقلت: الله أكبر من كل شيء، فقال: «و كان ثم شيء فيكون أكبر منه؟» فقلت: فما هو؟ قال: «أكبر من ان يوصف» (٢) و جاء في حديث آخر: عن أبي عبد الله عليه السلام قال رجل عنده: الله أكبر فقال: الله أكبر من اي شيء؟ فقال من كل شيء، فقال: حددته فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قل الله أكبر من ان يوصف ٣

ص: ٣٣٠

١- (١) نور الثقلين ج ٣ ص ٢٣٨

٢- (٢،٣) نور الثقلين ص ٢٣٩ ج ٣

سوره الكهف

اشاره

ص: ۳۳۱



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فضل السوره

عن الامام الحسين عليه السلام قال:

«من قرأ سوره الكهف فى كل ليله جمعه لم يمت إلا شهيداً، و يبعثه الله من الشهداء، و وقف يوم القيامة مع الشهداء» نور الثقلين، ص ٢٤٥، ج ٣

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«من قرأ عشر آيات من سوره الكهف حفظاً لم تضره فتنة الدجال، و من قرأ السوره كلها دخل الجنة» م البيان، ص ٤٤٧، ج ٣

## الاسم:

معلوم ان اسم (الكهف) أخذ من قصه تاريخيه وقعت بعد مبعث عيسى بن مريم (عليه السلام) و كانت شائعه بين أهل الكتاب، بل فى أوساط الجزيره العربيه، و لأهميه القصه سميت السوره بالكهف الذى هو رمز حمايه الله للإنسان من الأخطار إذا التجأ إليه.

ص: ٣٣٣



### تمهيد:

نور الشمس يغمر الأرض فيضيء الأشياء والأشخاص، و يظهر الألوان، ثم يقف دوره عند هذا الحد ليبدأ دور العين بعملية الرؤية و الملاحظه، و كذلك القرآن يؤدي دوره عند ما ينشر الهدايه و يبين الحقائق، و بعد ذلك يبدأ عمل القلب و البصيره في ادراك هذه الحقائق و استيعابها، و إذا أقفل الإنسان بصيرته و قلبه فإنه لن ينتفع بهدى القرآن و لن يعرف الحقائق، تماماً كمن يغمض عينيه فإنه لا يرى الأشياء رغم سطوع نور الشمس عليها و وضوحها.

و هكذا فإن القرآن لا يلغى دور العقل و التفكير، لكن العقل من المتعذر عليه ان يكشف الحقيقه بدون القرآن، كالعين التي يستحيل ان ترى الأشياء بدون الضوء، و هكذا التفكير لا يلغى دور القرآن، كما ان العين لا تلغى دور الضوء.

و بناء على ذلك فلا يجوز للإنسان أن يقول: ما دام القرآن موجودا فلا حاجة لأن اعقل و أتفكر و اتبصر، و الا كان مثله كمثل من يترك النظر و الملاحة و يضع حجابا على عينيه انطلاقا من ان النور موجود، و الأرض مضاءة، و الألوان ظاهره، ان وضوح الأشياء و اضاءتها يساعد على الرؤية، و ليس هو الرؤية بذاتها.

### مفردات قرآنيه:

و لذلك نرى القرآن يصف نفسه بالنور و الذكر و البصيره و الهدى، فنجد كلمه النور فى آيات مثل:

١- «نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ» ٢- «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا\* وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرًّا جَ مُنِيرًا» ٣- «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» و كلمه الذكر ترد فى القرآن بصيغ مختلفه مثل:

١- «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» ٢- «وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» ٣- «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ» ٤- «كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ»

ص: ٣٣٦

و هي تعنى ان عقل الإنسان يعرف الحقيقه و لكنه ينساها، و كذلك قلبه يشعر بها و لكنه يغفل عنها، فيحتاج الإنسان الى من يذكره و يلفت انتباهه إليها.

و كلمه البصيره تعبر عن الحقيقه البينه التى يبصر بها الشئ على ما هو به عليها فى المجمع.

مجمع البيان ج ٤ ص ٣٤٥ «فَدَّجَاءَ كُمْ بَصِيرًا مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أْبَصَرَ فَلِنَفْسِهِ» و مجموع البصائر التى تفضل الله سبحانه بها على عباده تمثل الهدى و هو نور القلب و العقل.

١- «فَأَمَّا يَا تَبِئَكُمْ مَنِ هُدَى فَمَنْ تَبَعَ هُدَاى فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ» ٢- «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» و هذه الصفات لو تدبرنا فيها قليلا لرأينا انها تعنى الحقيقه التى تساعد العقل على التفكير، و القلب على التدبر، و ليس ما يلغياها و يحل محلها.

### اتجاه خاطئ:

و إذا تثبتت الفكره و توضحت، فلا بد ان ندين الاتجاه الخاطئ فى التفسير سابقا و هو: تحويل القرآن الى شئ بديل عن التفكير أو العقل، بينما القرآن هو طريق الفكر و العقل، و الذى يجعل القرآن بديلا عن الفكر هو كمن يريد ان يجعل النظاره بديلا عن العين، أو النور بديلا عن الرؤيه، أو كالذى يجعل الأرقام فى الرياضيات



بديلا عن الحقائق التي وراءها.

## التفسير والتدبر:

### إشارة

و لعل هذا هو الفرق جليا بين كلمتي:التفسير و التدبر و هكذا الفرق بين كلمتي التفسير و التأويل.

فالتفسير هو:شرح و توضيح الآيات القرآنية ذاتها فيما يرتبط بالقرآن ذاته، حروفه و كلماته و جملة و آياته،و سياق المجموعه التوجيهيه فى القرآن و ارتباط السور مع بعضها.

بينما التدبر شىء آخر،و هو ما دعا القرآن الى ان يكون وسيله لمعرفة التأويل أو النهايات و النتائج الواقعه لآياته،و الكلمه مشتقه من (الدبر)و هو مؤخره الشىء، و هذا يوحي بأن التدبر هو عدم الوقوف عند ظواهر المعانى و الحوادث،بل محاوله معرفه ما وراءها.

قال الطبرسى (قدس الله روحه)التدبر:النظر فى عواقب الأمور.

مجمع البيان ج ٣ ص ٨١ و عاقبه الأمر:هى ما يؤول اليه الأمر،و هو تأويله.

قال الله سبحانه و تعالى: «هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا- تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ» (١٥٣/الأعراف).

و قال فى قصه يوسف: «قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ» (٣٧/يوسف)

ص: ٣٣٨

فتأويل الإنذار ما تحقق ما انذر به واقعا و تأويل الرؤيا تحولها الى حقيقه واقعه، و يبدو ان التدبر هو البحث عن التأويل.

و لهذه الكلمه عدّه أبعاد:

### البعد الأول:

هو التفكير منذ البدايه فى آخر الأمر و مآله، فالقرآن عند ما يقول الظلم ظلمات و عاقبته خزى فى الدنيا و عذاب فى الآخرة، فلا نتوقف عند ذلك، و انما نأخذ هذه المعلومه شمعته و نذهب الى الواقع الخارجى، نذهب الى الحياه و نفتش عن ظلم ثم نجعل تلك الشمعه عند ذلك الظلم الذى يأخذ مجراه عمليا، و نتحرك معه الى ان نرى نتيجه النهائيه.

و عند ما يحدثنا القرآن عن قوم عاد و كيف انهم بطشوا بطش الجبارين، و بالتالى انتهى مصيرهم الى الدمار، فعلىنا ان لا نقرأ ذلك قصه و نستغنى بها عن التفكير، و انما نحمل تلك القصه مصباحا و هاجا بأيدينا، ثم نبحت فى الحضاره الماديه، و عن طريق هذا المصباح نعرف مصيرها فى المستقبل و الى اين تنتهى عاقبتها.

### البعد الثانى:

ينبع من ذات كلمه (التدبر) و هى من الصيغ التى تنطوى على الاشاره الى بذل المجهود فى الأمر، و الذى يستخدم الإنسان فيه طاقاته، فكلمه تصرّف غير كلمه صرف إذ الأولى تعنى السيطرة على الشىء، و محاوله صرفه بقوه أو بجهد، كذلك التحدّث يعنى استخدام الجهد فى الحديث، و هكذا فأن التدبر يعنى بذل الجهد فى التفكير للوصول الى نهايات الأمور، و هنا نصل مره اخرى الى ذات الحقيقه و هى ان القرآن ليس بديلا عن جهد الإنسان.

ص: ٣٣٩

هو ان كلمه التدبر مرتبطه بالواقع الخارجى، فبينما التفسير يرتبط بذات الآيات حيث نكتشف معنى الآيه الكريمه عن طريق تفسير الآيات ببعضها، و معرفه معانى المفردات من المراجع اللغويه، و ربط الجمل ببعضها، والاستفاده من السياق، و استخراج معنى الكلمه من مقارنتها بمفردات مماثله جاءت فى آيات اخرى من القرآن الحكيم، و تفسير الآيات بالروايات و الأحاديث الشريفه و بالاستفاده من العلم الحديث.

فإننا فى التدبر أو التأويل، و بعد انتهاء عمليه التفسير، و معرفه الآيه معرفه ذاتيه، فإننا نحمل الآيه القرآنيه الى الواقع الخارجى، و نبحت عن انطباقها على الناس و الأشياء و الأحداث المتغيره.

فإذا جاء فى القرآن كلمات مثل: الذين آمنوا، الذين كفروا، المنافقون، المستكبرون، المستضعفون... فينبغى علينا ان نحاول تحديدهم و تشخيصهم واقعيًا، و لا نكتفى بمعرفه معانى هذه الكلمات و مدلولاتها اللغويه فقط.

و إذا قرأنا عن مجتمعات مثل: عاد، ثمود، قوم لوط، أصحاب الايكه، أصحاب موسى عليه السلام أصحاب محمد صلى الله عليه و آله فيجب ان نبحت عن ممثلهم فى واقعنا الحاضر الذى نعيشه، فمن الذى يتبع عليا و الحسين (عليهما السلام) اليوم؟ و من الذى يمثل دور معاويه و يزيد؟ و هكذا.

فالتدبر هو: البحث عن ممثل دور القصص و الآيات القرآنيه فى الواقع الخارجى، و بالتالى معرفه معانى الأشياء عمليا و محاوله تحسسها و الاقتراب منها.

و التدبر بحاجه الى جهد فكرى و آخر جسدى، فلا يمكننا ان نتدبر و نحن نغلق

الأبواب على أنفسنا و نفضل عن الواقع، و إذا أردنا ان نتدبر فعلينا ان ندخل في حياه المجتمع و نعرف خصائصه و مميزاته، و ندرس طبيعته، ثم بعد ذلك نرجع الى القرآن و نسأله: ماذا نسمى مجتمعا هذه ميزاته و خصائصه، و تلك سلبياته و ايجابياته؟ هل هو مجتمع لوط أو شعيب أو ثمود أو غيرهم؟ و المطلوب من الإنسان في دراسته للقرآن التفسير ثم التدبر و التأويل بمعناها المذكور آنفا.

### التدبر و المسلمون في العصر الحاضر:

لقد توقف المسلمون اليوم عند القرآن، كان القرآن منطلقا فجلسوا عند المنطلق، و كان مطارا يجب ان يقلعوا بواسطته فمكثوا في المطار، و كان مصباحا يضيء العالم فاكتفوا بجعله زينه، و كفوا عن الاستضاءه بنوره في دروب الحياه المظلمه.

انهم الغوا دور افكارهم و عقولهم، و بذلك الغى التدبر من القرآن، فسدّ باب عظيم من أبوابه التي أمرنا الله بدخولها، اننا لا نجد في القرآن الحكيم آيه تشير الى التفسير بينما توجد عدّه آيات حول ضروره التدبر.

١- «أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» ٢- «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ» و عشرات الآيات تأمرنا بالتفكر، و السير، و الحركه، و التذكر، و كلما يحرك طاقات الإنسان نفسه.

و هنا يكمن سر الغموض في فهم القرآن لدى أغلب المسلمين لأن عمليه التأويل و التفسير متكاملتان و التفسير إذا دَعِمَ بالتأويل و التطبيق فإنه يصبح أكثر وضوحا و يمكن اكتشاف خفاياه بصورة أفضل.

ان القرآن الحكيم يتابع فى سوره الكهف سلسلتين من القضايا:

الأولى: عن زينه الحياه الدنيا، و موقف الإسلام منها.

و الثانيه: عن القضايا التى تتصل بالهدى و العلم و المعرفه.

و لا ريب ان بين هاتين السلسلتين علاقات هامه، إذ ان الإنسان الذى يتسلح بالهدى و العلم يتخذ موقفا ايجابيا و متساميا من زينه الحياه الدنيا، اما ذلك الذى يفقد هذا السلاح، فأن موقفه من زينه الحياه الدنيا و متاعها الزائل هو موقف الأتباع المطلق و الاستسلام التام.

و الواقع ان هذا من مظاهر اعجاز القرآن، و بلوغه فى البلاغه المنتهى، حيث ان آياته الكريمه تتبع عدده خطوط متوازيه و متناسبه تتظافر على توجيه القلب البشرى الى قضيه جوهرية واحده، الا ان السلسله الاولى كما يبدو هى المحور فى آيات هذه السوره حيث تتحدث سوره الكهف عن الرؤيه الاسلاميه الى زينه الحياه، و كيف ينبغى على الإنسان ان يتحرر من ضغوط زينه الحياه و حب الدنيا و ينظر الى الحياه نظره موضوعيه قوامها معرفه عاقبه الحياه، و العلاقه الوثيقه بين زينه الحياه الدنيا و التمتع بها و بين عمل الإنسان.

ف نجد فى هذه السوره قصه أصحاب الكهف و الرقيم الذين تحرروا من حب الجاه الذى كانوا فيه، و استطاعت إرادتهم الساميه ان تقلع بهم من قاع الحياه الماديه الى سماء الحقيقه و القيم، و نجد فى هذه السوره أيضا قصه معاكسه لذلك، و هى قصه صاحب الجنه التى دخلها و زعم انه خالد فيها، و كلما نصحه الناصح الأمين و قال:

ان هذه الجنه انما هى بأذن الله، و لو لا ان تقول ما شاء الله حين تدخل جنتك، فإنها

سوف لا تنفعك و لكنه لم يقبل هذه النصيحة، و دخل جنته و هو ظالم لنفسه و قال:

ما أظن ان تبيد هذه أبداء،الى ان انتهت حياته و جنته جميعا الى الفساد و التلف.

و هناك مثلا عن واقع ذى القرنين لأولئك الذى بلغوا جاها عظيما و ملكا كبيرا، و لكنهم رفضوا الخضوع لضغوط الجاه و زينه الملك.

و تعطينا السوره الكريمه فى اطارها العام نظره شموليه الى موقف الإسلام من زينه الحياه الدنيا، اما القسم الأول منها فإنه يلقى نظره عامه على موضوعات السوره كعاده القرآن فى بدايات السور التى تتميز بحسن المستهل، حيث انها تلقى الضوء على اطار السوره و مجمل الموضوعات التى تبحثها.

حيث تذكر آيات هذا الدرس (١-٨) بأن القرآن كتاب هدايه، و ان الهدايه هى طريق الإنسان المستقيم الى نعم الله.

و تحدثت كذلك عن الحوافر التى تدفع الإنسان الى الالتزام بهدى الله و منها الإنذار و التبشير.

و أشارت الى أخطار الشرك بنسبه الولد الى الله سبحانه و تعالى عما يشركون ثم أشارت الى ان على الرسول أو القائد الذى يقوم مقامه، واجب التبليغ و بيان الحقائق، و ليس له ان يقتل نفسه غما و كمد، إذا لم يستجب الناس لهدى الله.

و أخيرا بينت الرؤيه الاسلاميه لزينه الحياه الدنيا و متاعها، بأنها ماده للإبتلاء و الامتحان الإلهى بالنسبه للبشر و انها بالتالى زائله، لأن الأرض سوف تصبح صعيدا جرضا.

ثم تحدثت الآيات من (٩-١٦) عن وجوب ملاحظه الإنسان لسنن الله فى الكون، فيسلم لحكم الله مهما كانت الحوادث التى يشاهدها أو يسمعها بالغه

الغرابه عنده و جديده عليه و الثوره على الظلم هي احدى سنن الله فى الحياه، لأن الله يأمر بالعدل و هو قائم بالقسط. كما بينت الآيات أسلوب الثوره و هو: ان يستجيب الإنسان لإلهام فطرته، و يفجر الثوره على كل ألوان الظلم ابتداء من نفسه، و يعتزل مجتمع الشرك و الجاهليه، ثم يأتيه تأييد الله الذى يهديه الى الوسائل الماديه و المعنويه للانتصار.

ثم تحدثت الآيات من (١٧-٢٠) عن الألفاف الإلهيه و النفحات الربانيه التى يتعرض لها الذين يقومون لله و باسم الله، الى الحد الذى قد يوقف الله سبحانه معه بعض السنن الطبيعيه أو يغيرها لمصلحتهم، ثم أشارت الى سلاح هام يعطيه الله لأولياءه و هو سلاح الرعب، و تعرضت الآيات لذكر بعض الصفات الأخلاقيه الثوريه، كما بينت ان أول مرحله من مراحل العلم بالنسبه للإنسان هو الاعتراف بالجهل، ثم اقتباس العلم من منبعه الحقيقى و هو: الله العليم الحكيم.

ثم تابعت الآيات من (٢١-٢٦) عن دور حادثه أهل الكهف كواحد من الظواهر التى تبين للناس صدق وعد الله و ترفع من نفوسهم كل ريب حول قضيه الساعه و المبعث، ثم أشارت بطريقه ايحائيه الى موقف القرآن من زياره قبور الأولياء و الصالحين ثم بينت ان الإسلام يؤيد المنهج العلمى القائم على الحقائق لا على الرجم بالغيب و الجدليات العميقه، و ان القرآن يدعوا الى المرونه و التكيف السليم مع الحياه و يرفض البرامج الجامده و الأفكار المتحجره.

و تحدثت الآيات من (٢٧-٣١) عن الضمانات الوقائيه للإنسان تجاه ضغوط زينه الحياه، و هى تلاوه القرآن و الاتصال الدائم بالله، و الانتماء الى التجمع الإيمانى القائم على أساس المبادئ الرساليه، لا الاعتبارات الماديه، و أخيرا التحلى بروح التحدى و الاستعداد للصراع، ثم بينت المقياس الذى يتبعه الإنسان لمعرفة القياده الصالحه، ثم عرضت صورا مجسمه للجنه و للنار فيها عبره لمن اعتبر.

و بيّنت الآيات من (٣٢-٤٤) موقف الإنسان من النعمة و المنعم، و ان من مكر الله بالجاحدين ان يملى لهم فيوسع النعمة عليهم، و من ثم يؤدي اغترارهم بها الى إنزال العقوبه الصارمه بهم، ثم بيّنت مراحل التدهور العقيدى و من ثم السلوكى عند الإنسان الكفور، الذى يستند على معادله خاطئه و هى ان العطاء فى الدنيا دليل رضى الله، بينما هو فى الواقع امتحان للعباد، كما بيّنت ان الخضوع للثروه و الأثرياء فيصبح بمنزله الشرك بالله، و ان الولايه الحقيقه على العباد لله الصمد فقط، لا لغيره من المخلوقات التى يطرأ عليها التغيير و الزوال.

و صورت لنا الآيات من (٤٥-٤٩) الحياه من واقع قصه الطبيعه، و دعت الى الاهتمام بزينه الآخره و هى الباقيات الصالحات، ثم بيّنت دور العمل الصالح فى بناء الحضاره، و دعت الى شمول النظره المستقبلية، و امتدادها الى ما بعد هذه الحياه الزائله.

ثم عرضت لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامه يبين لنا ان كل شىء فى هذه الحياه يتحرك و لا- يثبت على حال، حتى الجبال الراسيات، اذن فلا مسوغ للاعتماد على زينه الدنيا لأنها هى الأخرى تتحرك و تزول، و حملت الإنسان مسئولية اعماله كامله امام ربه، تلك الأعمال التى سيرها مسجله بالكامل و مجسمه امامه، ان خيرا فخير، و ان شرا فشر.

ثم جاءت الآيات من (٥٠-٥٦) لتبين موقف الإنسان من أصحاب الزينه، و هم المستكبرون فى الأرض و عن طريق الصور التاريخيه و المستقبلية، يحث القرآن على إيجاد فاصل بين المؤمنين و بينهم، فلا يتبعونهم و لا يتخذون منهم عضدا، لأنهم أعداء أولا، و جاهلون مزلون ثانيا.

ثم تحدثت عن دور التصور الذهنى فى معرفه الحقائق الغيبية، و بيّنت ان جدل



الإنسان لا حدود له، مهما كانت الحقائق القرآنية كثيرة امامه، ثم أكدت على ان الإنسان ليس مجبرا على الهدايه، و ان الاستهزاء هو اخطر حجاب بين عقل الإنسان و بين الهدايه. و من أشد ظلما لنفسه و للناس و للحقائق ممن أودع الله قلبه فطره الأيمان ثم ذكره عبر رسالاته بآيات ربه فأعرض عنها و نسي ذنوبه فجعل الله على قلبه ستارا، و منع عنه الفقه و جعل فى اذنه وقرا فاذا به لا يهتدى أبدا.

و لأن الله غفور ذو رحمه، فهو لا يعاجل الكافرين بالعذاب إلا أن لهم موعدا لا يحددون عنه، و شاهد ذلك تاريخ القرى التى أهلكت فى الموعد المحدد لهلاكها- (٥٩/٥٧)-.

و يستمر السياق القرآنى (٦٠-٦٤) يحدثنا عن قصه موسى مع العالم، و من خلالها يبين لنا صفات العالم و المتعلم، و أهميه العلم، كما يشير الى وجود خلفيات هامه للتقديرات الإلهيه، و الأحكام الشرعيه.

فلقد عقد موسى العزم على الرحيل الى مجمع البحرين و أنبأ فتاه و مرافقه بأنه حتى لو مضت حقب من الزمان فلن ينثنى عن عزمه هذا، و عند ما بلغا مجمع البحرين نسيا حوتهما الذى سرب فى الماء و عند ما تركا الموقع طلب من صاحبه الغداء، الا أنه أخبره بقصه الحوت التى كان قد نسيها و قال: ان الشيطان هو الذى أنساه و حين عرف موسى بقصه الحوت علم بأن موقع قرب الحوت فى البحر هو بالذات ميعاده مع العالم فعادا أو رجعا اليه.

عند الموقع وجد موسى العالم الذى أتاه ربه الرحمه و العلم، و حين سأله موسى عما إذا كان مستعدا لتعليم رشدا مما علمه الله، أخبره انه لن يصبر على ذلك الرشدا لأنه لم يحط بذلك خبرا، و أصر موسى و وعده بالطاعه إنشاء ربه.

كان موسى نبيا، و عارفا بأحكام الرساله الظاهره، و من خلال تعلمه لخلفيات الأحكام كان ينتفض مستنكرا لأنه لم يعلم حكم الشريعة.

فلما خرق العالم السفينه استعظم الأمر، اما حينما قتل غلاما فقد استنكر ذلك بقوه، و هكذا عند ما بنى جدارا لقوم لا يستحقون و لم يطالبهم بأجر.

و فى كل مره يذكره العالم بوعدده و يعتذر منه موسى، حتى افترقا- (٦٥-٧٨)-.

لقد أخبره ان السفينه كانت لمساكين و انه سيقدر الملك مصادره السفن الصالحه فقط فأردت أن أعيها لمصلحتهم.

اما الغلام فقد كان يخشى على أبويه الكفر فأراد الله تبديله بمن هو اذكى و أقرب رحما.

اما الجدار فقد كان تحته كنز ليتيمين، فأراد الله سبحانه و تعالى حصولهما على الكنز كرامه لأبيهما الذى كان صالحا- (٧٩-٨٢)-.

و فى اطار الحديث عن زينه الحياه الدنيا فى سوره الكهف تناول السياق أهم زينه منها و هى السلطه و ضرب لنا عن واقع ذى القرنين مثلا، كيف مكن الله به فى الأرض و أتاه من كل شىء سببا و وسيله اما هو فقد مضى على طريق الأسباب الى أهدافه النبيله، فبلغ مغرب الشمس و سار فى أهلها بالعدل، و مضى قدما فى اتباع الأسباب حتى بلغ مطلع الشمس حيث وجد الناس يعيشون حياه بدائيه، و حتى انهم لا يجدون ما يسترهم عنها، و مضى فى طريق الأسباب فوجد منطقه جبلية، كان أهلها يحتاجون الى سدّ يحفظهم من غارات يأجوج و مأجوج المفسدين، فبادر الى بناء السدّ دون ان يطالبهم بأجر، بل شكر ربه على نعمه السلطه.

انما يسخر طاقاتهم البشريه و مواردهم فى بناء الروم،فجعل زبر الحديد على بعضها و أمرهم بأن ينفخوا فى النار التى اججوها حولها فلما تحولت الى نار و التحمت ببعضها افرغ عليها لباسا مصنوعا من النحاس المذاب،فأصبح سدا مرتفعا و منيعا، فلا استطاعوا عبوره و لا اختراقه.

و شكر ذو القرنين ربه على هذه السلطه بدل ان يفرض على الشعب حمده و شكره،و كما يفعل الملوك عادة.

و أنبأهم بأن السدّ لا يقاوم امر الرب،فإذا جاء الوعد الموعود فإن الله سيجعله دكاء و إذا بالناس يموج بعضهم ببعض و ينفخ فى الصور،و يجمع الله الناس على صعيد واحد جميعا.

ليعرض على أولئك العميان الذين لم يبصروا آيات الله،و لم يسمعوا نصيحه المصلحين،يعرض عليهم جهنم لكفرهم بالله.

و هكذا ضرب الله لنا مثلا،للمؤمن الذى تجاوز السلطه فملكها و لم تملكه و استفاد منها لأهدافه،و لم تستفد منه لها-(٨٣-١٠١).

و فى الدرس الأخير من هذه السوره نجد أهم العبر القرآنيه المبتوئه فيها،و فى قصصها العجيبه،و من أبرزها ضروره توحيد العبديه لله،و الا يتخذ العباد أولياء من دون الله،و يبين القرآن ان الأخسرين أعمالا هم الذين ضل سعيهم فى الحياه الدنيا و هم يحسبون انهم يحسنون عملا،بلى أولئك هم الكافرون بآيات الله،الذى لا يابه بهم ربهم يوم القيامه بالرغم من مظاهر الزينه و القوه عندهم فى الدنيا لأنهم استهانوا بالآيات و الرسل،بينما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فإن لهم جنات الفردوس نزلا،يخلدون فيها و لا يبغثون لها عن بديل.

تلك السوره من كلمات الله و كلمات الله كثيره حتى لو كان البحر مدادا لكتابتها لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات الله.

و خلاصه كلمات الله توحيد الله، و الاعتقاد بأن الرسول بشر اوحى اليه، و ان من يرجو لقاء الله فعليه ان يعمل عملا صالحا، خالصا لوجه الله، و لا يشرك بربه أحدا.

ص: ٣٤٩

[سوره الكهف (١٨): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابْنَائِهِمْ كَثُرَتْ كَلِمَهُ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ بِأَنفُسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)

اللغه

١[عوجا]:اختلافا.

٢[قيما]:مستقيما معتدلا.

٣[باخع]:القاتل المهلك.

ص:٣٥٠

٨[صعيدا]:الصعيد ظهر الأرض أو الطريق الذى لا نبات فيه.

[جرزا]:الأرض التى لا تنبت كأنها تأكل النبتة أكلا.

ص:٣٥١

## هدى من الآيات:

يحب البشر مصدر النعم. ويحمد أصحابها. بيد أن النعم من الله جميعا. فله الحمد كله. وأعظم نعمه و أفخم منه الهدى الذى أنزله فى كتاب لا- عوج فيه يقوم به نظام حياه البشر، و يرتفع على صرحه بناء سعادته. و هو ينذر بأسا شديدا من لدن الرب و يبشر المؤمنين الصالحين بأجر حسن خالدين فيه.

هكذا بدأت سورة الكهف ببيان نعمه الهدايه التى تكتمل بها نعم الله و هى تنذر الذين أشركوا بالله. و زعموا بأن له ولدا. أنها كلمه كبيره خرجت من أفواههم.

و كذب مبين (بلى أو ليس الشرك جذر الضلاله و الانحراف) و بالرغم من ذلك فعلى الرسول ألا يهلك نفسه أسفا عليهم لأنهم لا- يؤمنون بالكتاب (انما يمتحنهم الله بزينة الأرض) و لقد جعل الله ما على الأرض زينه، و لكنها غير دائمه إذ يجعله الله بعدئذ صعيدا جرضا.

و هكذا لخصت آيات هذا الدرس دروس القرآن فى سورة الكهف. و بينت

ضروره التسليم لكتاب الله، حيث تتم نعم الله، وذلك عبر توحيد الله. و عدم الانبهار بزينة الحياه الدنيا.

## بينات من الآيات:

### اشاره

[١] تبدأ السوره بعد « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » تبدأ بحمد الله، و يتركز الحمد على نعمه الهدايه، فنحن نحمد الله مره على نعمه العين، نعمه اليد، نعمه العلم، نعمه الحركه، نعمه الأكل و الشرب، نعمه المسكن و الملبس، و لكن هذه النعم تصيح ضئيله على عظمتها فى مقابل نعمه الهدايه، إذ لو لا الهدايه لم تنفع نعمه اخرى مهما كانت كبيره. الهدايه هى صبغه نعم الله سبحانه و تعالى و الطريق إليها، فلو كان هناك طعام و شراب و كنت محتاجا إليهما و لكنك لم تعرف الطريق إليهما، فهل يكونان بالنسبه لك نعمه؟ كلا.. فالهدايه هى طريق الإنسان للاستفاده من النعم و التمتع بها.

و هدايه الله تتكامل فى كتاب إلهى يوحىه الى عبد من عباده يصطفيه رسولا و يأمره بتبليغ الرساله لبنى جنسه من البشر، و فى الآيه اشاره واضحه الى أن الهدايه لا تكون أبدا بمعزل عن الكتاب أى الرساله الإلهيه، و لا عن الرسول الذى هو رجل من أهل الأرض.

### سنن القرآن و سنن الطبيعه:

كتاب الله كتاب قويم يربط الإنسان ربطا مباشرا بأهدافه، و سائر النعم المتواجده و المتوافره فى الكون، لذلك يؤكد القرآن فى هذه السوره على هذه الصفه فى الرساله.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا فَكِتَابَ اللَّهِ يَعْطَى الْبَرَاعِجَ الصَّحِيحَةَ، وَ الْمَنَاهِجَ السَّلِيمَةَ الَّتِي تُوَصَّلُ الْإِنْسَانَ إِلَى



اهدافه المنشوده، عبر طريق مستقيم لا اعوجاج فيه و لا نتوءات، و بديهى انه يكون أقرب الطرق و أسرعها.

و نجد هذا الاتجاه أيضا فى الطبيعه التى تجرى سننها و قوانينها على أساس التوصل الى الهدف من اقصر السبل و أسرعها، فمثلا الضوء و الصوت و الحراره و موجات المذياع، تتحرك عبر أقرب و أفضل الخطوط، و عند ما تتعارض القوى فأن الطاقه المغناطيسيه أو الكهربائيه أو الطاقه الحركيه للأجرام السماويه فى مداراتها الفلكيه تختار اقصر الخطوط المنحنيه فى الانتقال و هكذا فأن الطبيعه لا تحب التراخى و التباطئ فى أداء الأعمال و لا الالتواء فى المسير الى الهدف و هكذا السبل القرآنيه، و هذا التطابق بين السنن القرآنيه و السنن الكونيه دليل على وحدانيه الخالق و رحمانيته، و ان له الحمد فى الأولى و الآخره.

### الكتاب القيم:

[٢] قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسِيبًا ۗ كِتَابٌ مَّكْمُلٌ وَ حَكِيمٌ، فهو يجعل الأمور فى مواقعها و يعطى كل شىء حقه، بنسبه حاجته إليه دون زياده أو نقصان.

و ربما تشير كلمه «قيما» الى هذه الفكره، و هى ان كل نظره و كل حكم شرعى و بالتالى كل وصيه و موعظه فيه إنما هى بقدر الحاجه، و بنسبه الواقع الخارجى، و بموازين دقيقه.

فمثلا حين يقول القرآن أن الزوج يرث نصف مال زوجته بعد موتها ان لم تخلف ولدا و راءها، فلا يعنى ذلك الا ان هذه الحصه تتطابق مع حكمه الحياه و مع واقعيات الاقتصاد الأسرى، مع حاجه الزوج و طبيعه العلاقه التى تربط الزوج

بالزوجه، أى ان هذا الحكم متطابق تماما مع كل الظروف المحيطة به دون زياده أو نقصان.

و هناك تفسير آخر لهذه الكلمه و هى ان القرآن ليس فقط رشيدا و حكيما و متكاملا فى ذاته، و انما هو أيضا يعطى التكامل و الحكمه للحياه، و يقيمها على أساس منظم و متين دون اى خلل أو ثغره، كما قال رَبَّنَا سُبْحَانَهُ: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» و قيمومه الكتاب. و الدين الإلهي، نابعه من قيمومه الرب سبحانه حيث يقول تعالى: اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فكل شىء يقوم به الرب فى عالم التكوين. و كل شىء يصلح بكتابه فى عالم التشريع.

و لأن الكتاب قيم فهو يحفظ رسالات الله جميعا. لأنه مهيمن عليها. و يحفظه الله من التحريف. و يحفظ به امه الإسلام.

### أهداف الكتاب و حوافز الهدايه:

و هكذا فإن الكتاب حينما يريد ان يستفيد الناس من الهدايه فإنه يثير فيهم الحوافز النفسيه الملائمه التى تدفعهم الى الأخذ بها و العمل بمقتضاها. و من حوافزه:

### الإنداز:

و هو الأبلغ أثرا فالإنسان بطبيعته يخشى الضرر أكثر مما يتوقع المنفعه فلو قيل لك إذا لم تقم بالعمل الفلانى فلن تحصل على مليون دينار، فأنك تهتم و تجتهد كثيرا لأن تتجنب ذلك الضرر.

و هكذا فإن من طبيعه البشر الهروب من الضرر، أكثر من البحث عن المكاسب و المنافع، لذلك فان الإنداز يلعب دورا اساسيا فى حياه الإنسان. و الكتاب نذير حق

بعذاب شديد ينزل من لدن الرب القوى العزيز.

### الحافز الثاني:

و هو حافز التبشير، حيث يعد الله الإنسان حينما يهتدى بالكتاب، و يعمل وفق برامجه بالأجر الحسن و النعم الإضافيه، التي هي أعظم من تلك التي بيد الإنسان، حيث يمكث فيها مخلدا.

و هنا نجد إثارة لإحساس هام فى البشر و هو حب الخلود و الخشيه من زوال النعم، و يستفيد الكتاب من هذا الأحساس و تلك الخشيه ليدفع الإنسان الى تقبل الهدايه الإلهيه التي تضمن له ان يظل ماكتا فى نعم الله أبدا.

لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْبَأْسِ وَالضَّرِّ، إِذِ الضَّرُّ قَدْ يَأْتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ، أَوْ بِسَبَبِ الْمَرَضِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ، بِيَدِ ان الْبَأْسِ لَا- يَأْتِي إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَاقِلِهِ، وَ الْكِتَابُ يُنذِرُ الْإِنْسَانَ بِبَأْسٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِي انَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ وَ يَمَكُرُ فَيُعَذِّبُ، وَ هَذَا أَبْلَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ. لِأَنَّ الْخَطَرَ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ رُبَّمَا يَتِمَكَّنُ الْإِنْسَانَ مِنْ تَجَنُّبِهِ بِطَرِيقِهِ مَا، وَ لَكِنْ سَهْمُ الْعَذَابِ الَّذِي يُوْجِهُهُ اللَّهُ إِلَيْكَ لَا يَخْطِئُ هَدْفَهُ أَبَدًا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ ارادته العليم القدير الذى خلق الكون و خلقك و خلق كل شىء هى النافذه حتما، فأين المفر من عذاب الله و أين المهرب؟ و كما

جاء فى الدعاء: «و لا يمكن الفرار من حكومتك.»

### العلاقه الوثيقه:

وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا هُنَا يَسْعَى الْقُرْآنُ فِي آيَاتِهِ الْكَرِيمَةِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْأُخْرَى، وَ بِتَأْكِيدٍ شَدِيدٍ وَ بِأَسَالِيبٍ

ص: ٣٥٦

مختلفه من أجل ان يعمق الشعور عند الإنسان بأن هناك علاقته وثيقه بين عمله و بين حياته الحاليه و المستقبلية،و لكن الإنسان يريد ان يفهم كل شىء الا هذه الحقيقه، فهو يحاول ان يحصل على نعم الله دون ان يطيعه فى بذل الجهد المناسب و العمل الصالح و التعبير ب «يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ» يدل على الاستمراريه.

أى انهم لا- يزالون يعملون الصالحات و هذا هو المهم.حيث لا ينفع عمل صالح ما فى وقت معين.بل ينبغى ان تكون نيه العمل سليمه.و يكون سلوكك الفرد سليما.

حتى تكون كل اعماله صالحه.

[٣] مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَيْدَاءٌ أَيْنَ ذَلِكَ الْأَجْرِ الْحَسَنِ؟ هل هو فى الدنيا أم فى الآخرة؟أهو فى البرزخ أم يوم القيامة الذى يمتد خمسين الف سنه أم فى الجنة؟ القرآن لا يحدد و هذا يعنى الإطلاق،اى ان هذا الأجر أجر دائم يبدأ من الحياه الدنيا و يمتد عبر كل المراحل القادمه و حتى دخول جنات عدن.

و فى ذلك تطمين و بشاره للمؤمنين بأنهم ما داموا يعملون الصالحات،فلا داعى لأن يخافوا من الموت،بل انهم بانسدادهم الى الجهاد فى سبيل الله و إعلاء كلمته فأن الموت لا يكون بالنسبه لهم خساره أو انقطاعا للنعم،و انما هو مجرد انتقال من مرحله نعمها محدوده،الى مراحل اخرى نعمها أدوم و أعظم.

### ألوان الشرك:

[٤] وَ يُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا و أخطر ذنب يرتكبه الإنسان هو ان يخرج عن التوحيد الخالص،و يجعل لله

شركاء فى وحدانيته، كأن يزعم جاهلاً أن لله ولداً سبحانه و تعالى عن ذلك، و هو الكامل المنزه عن كل نقص، و هو الغنى غير المحتاج الى الولد و غيره.

و قد تتخذ نسبة الولد الى الله تعالى صورته رمزيه غير صريحه، و هى ان يشرك الإنسان فى حكم الله و سلطته و ملكوته أحداً غير الله، فرداً كان أم مؤسساً و تنظيمياً، و يعتقد أنه امتداد لسلطه و حاكميه الله.

و من المؤسف ان تنتشر هذه الخطيئه بين عدد كبير من المسلمين، و لكن بصوره خفيه دون ان يشعروا بها، حيث انهم يتبعون علماء السوء و يقلدون من يدعون الفقه و الاجتهاد و ليسوا كذلك، فهؤلاء يضلون من يتبعهم و يقتدى بهم، و بالتالى يحرفونهم عن خط التوحيد الى منزلق الشرك.

و لهذا فأن المسلم عند ما يريد ان يقلد فى أمور دينه فعليه ان يتأكد من ان مقلده انه عالم مجتهد و متق يدعو الى الله و باذنه، حتى تكون اعماله خالصه لله، و يكون مسلماً موحداً بحق.

[٥] مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبِرَتْ كَلِمَهُ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا هؤلاء الذين يجعلون أبناء لله و أندادا له، سواء كان ذلك صراحه أو ضمناً انهم يرتكبون خطيئه كبيره، و هم يعلمون فى أنفسهم يقينا أنما يقولونه و يدعونه هو الكذب بعينه، و لكنهم يسوغون ذلك عبر التبريرات الباطله، بهدف تحقيق المنافع و المصالح العاجله حسب تصورهم و تقديرهم.

### ما على الرسول إلا البلاغ:

[٦] العاقل يتعجب، كيف يترك أولئك البشر الطريق الصحيح و يتبعون طريقاً

ملتويا ليهلكوا أنفسهم.

و كلما قوى إيمان الإنسان، و ارتفعت درجه حبه للآخرين و إحساسه تجاههم بالعطف و الحنان، كلما اشتد حزنه و غمه على هذا الانحراف، لذلك تجد رسل الله (صلوات الله عليهم) حينما يواجهون هذا الانحراف الكبير فأنهم يكادون أن يهلكوا أنفسهم لإصلاحه، فيؤكد القرآن هنا انه لا ينبغي للرسول أو المصلح عموماً، أن يهلك نفسه فى سبيل هدايه الناس.

إن هذه حكمه من الله إذ خلق الناس ليمتحنهم، و ما على الرسول الا ان يقوم بدور الإنذار و التبشير.

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا «زينه الأرض فتنه البشر» [٧] إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا  
كل ذلك لهدف و حكمه.

لِنَبْلُوهُمْ أَأَنْهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا- إنما جعلنا ذلك لكى نبلو الإنسان و نختبره، حتى يتبين الذين يعملون الصالحات من الذين يرتكبون السيئات.

[٨] و لكن لا تغرك زينه الحياه فإنها لا تدوم، إنها أيام قليله و سنوات معدوده و تنتهى.

وَ إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا

ص: ٣٥٩

تصور مدينه جميله تزخر بالحياه فيها أشجار و حدائق، و شوارع و بيوت، و رياض و امتعه، و وسائل .. إلخ، و إذا بصاعقه قاصفه، أو زلزال رهيب، أو حرب مدمره تحول تلك المدينه الجميله الى صعيد أملس و ارض جرداء، ففي فتره قليله لا تتعدى (١٦/١) من الثانيه الواحده تحولت مدينه (هيروشيما) ثم مدينه (نجازاكي) ربما فيهما من المصانع و العمارات و المنشآت، الى ما يشبه الرماد.

على الإنسان ان يعتبر، يمكن ان ينجذب الى زينه الحياه، و لكن ليس ذلك الانجذاب المطلق، الذى يفقد معه قيمه و طريقه انما ينجذب الى الحياه فى حدود حاجته إليها، و فى نطاق احتفاظه بقدرته و سيطرته على نفسه و على الحياه، فيصبح هو مالك الحياه لا مملوكا لمتاعها، و لا ننسى ذلك

الحديث الكريم المروى عن الأمام على عليه السلام الذى يقول فيه:

«ليس الزهد الا تملك شيئاً، و انما الزهد الا يملكك شىء.»

ص: ٣٦٠

اشاره

أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصِيبَ الْكَهْفَ وَالرَّقِيمَ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاَهُمْ هُدًى (١٣) وَ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَمَيْنَتَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَ إِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦)

اللغة

٩[الكهف]:الغار المتسع في الجبل.

[الرقيم]:اللوح المكتوب فيه قصتهم.

١٤[ربطنا]:شددنا و قوينا.

[شططا]:الخروج عن الحد بالغلو فيه و أصله مجاوزه الحد.



١٦ [مرفقا]: اليسر و اللطف.

ص: ٣٦٢

### إشاره

السنة التي تجرى

### هدى من الآيات:

فى قصة أصحاب الكهف و الرقيم دروس و عبر فى بيان ضروره مقاومه الإنسان لجاذبيه الشهوات الدنيويه، و إثبات قدرته على ذلك عن طريق الإراده الذاتيه أولاً، ثم التوكل على الله ثانياً.

و تبدأ هذه المجموعه من الآيات ببيان الإطار العام لهذه القصة، ثم تفصل الحديث حولها تفصيلاً.

### بينات من الآيات:

### قصة أصحاب الكهف و الرقيم:

[٩] ان قيام هؤلاء لله و ثورتهم ضد الطغيان و تحريرهم لأنفسهم من ضغط المجتمع الفاسد، و بالتالى نصره الله لهم بطريقه غيبية، لا يشكل شذوذاً فى سنن الله فى الحياه، و لا تثير عجباً، لأننا نراها و نلمس آثارها فى كل لحظه و فى كل شىء،

و هي تدل على وجود حكمه فى تدبير الكون و قوه قاهره تجرى تلك الحكمه.

فآثار القدره و الحكمه الإلهيه واضحه، و أصحاب الكهف و الرقيم كانوا مجموعه بشر يعيشون مجمل هذه المعادله الكونيه الحكيمه، اذن لا تعجب إذا جاءت يد الغيب و انتشلتهم من وهدتهم و حررتهم من اغلالهم.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا

يقول المؤرخون: انه حين قتل يزيد بن معاويه. سبط رسول الله أبا عبد الله الحسين (عليه السلام). و طاف برأسه البلاد كان الرأس يتلو من فوق القناه هذه الآيه الكريمه. أو تدرى لماذا هذه الآيه بالذات؟ لعله لبيان تلك المعادله الكونيه و لكى لا يتعجب الناس كيف ان الرأس الشريف يتلو القرآن.

و هكذا فإن ذلك الرأس المبارك يشير الى ان الكون يجرى ضمن معادله حكيمه من ابعادها نصره المظلوم إذ ان نصره المظلوم هى ضمن تلك المعادله التى أجراها ربنا سبحانه و تعالى فى كل ابعاد الكون.

و معنى هذه الآيه هو: هل تحسب ايها الإنسان ان ما جرى لهؤلاء هو شىء عجيب؟ كلا..

هناك آيات و حقائق تعودنا على رؤيتها، و هناك حقائق لم نرها، فأنت إذا دخلت مدينه لأول مره قد تتعجب من لغه و عادات أهلها، و بناء بيوتها و جسورها، و نظام الشوارع و السير فيها.. إلخ، و لكن إذا بقيت فيها لمدته سنه فكل شىء يغدو عندك آنثذ عادياً.

و المجتمع يبادل بعضه بعضا التعاون و العمل، و الأحساس و الفكر، فيبدو لنا ذلك الشىء طبيعياً جداً لأن هذه السنن حياتيه، حيث جعل الله الناس يحتاج

بعضهم الى بعض، و هذه سنه إلهيه عظيمه و عجيبيه، و لكننا لطول الألف بها نراها عاديه لا تثير فينا الاستغراب.

و الشمس كل يوم تطلع من هنا و تغرب من هناك، و تجرى بدقه و نظام، هذه سنه عجيبيه و لكننا تعودنا عليها حتى أصبحنا لا نهتم كثيرا لهذا الأمر، اما إذا حدث كسوف كلى للشمس مثلا، فأن الناس يظهرون اهتماما بالغاً لهذا الحدث و يهرع العلماء الى مرصدهم و اجهزتهم العلميه لدراسه هذه الظاهره.

و أن يحكم نظام طاغوتى فى بلد ما و يخضع الناس له راضين بالواقع المنحرف، هذا شىء ألفتنا لكثيره حدوثه و انتشاره حتى أصبحنا نعدده شيئاً طبيعياً، و لكن ان تتفجر ثوره الهيه و يقوم الثوار المجاهدون بإسقاط ذلك النظام الفاسد ليقيموا نظام الحق و العدل و الحرية، فذلك يعد شيئاً غريباً و ينظر الناس اليه على انه معجزه عجيبيه بينما هو فى الواقع سنه الهيه كسائر السنن التى نألفها.

و ربما تشير هذه الآيه الى ان الإنسان عند ما يرى حوادث و وقائع جديده عليه أو يسمع بها لأول مره فلا يحق له ان ينكرها، و يكذب بها، لمجرد انه لم يألفها و لم يتعود عليها، فعدم العلم بالشىء لا يعنى العلم بعدمه، و انما على الإنسان ان يتأمل فى سنن الله فى الخلقه، و ينظر الى عظمته و حكمته و قدرته، و يؤمن بكل ما يصدر عن الله عز و جل من قول و فعل.

و القرآن يذكر لنا: ان الملائكه عند ما بشروا إبراهيم عليه السلام بهلاك قوم لوط كانت امرأته قائمه، فضحكت فبشروها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب فقالت: يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِي شَيْخًا؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قالوا: أتعجبين من امر الله؟ و التعجب الذى ينهى عنه القرآن هو ذلك الذى يؤدى الى الاستنكار و عدم

التصديق، اما التعجب بمعنى الانبهار بعظمه الله و قدرته التى تتمثل فى بديع خلقه و إتقان صنعه،الذى يؤدى الى سمو الأيمان و كمال التصديق فشئ حسن، إذ ان كل خلق الله يثير العجب لدى التأمل و التفكير.

« أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا »! الكهف هو الفجوه فى الصخور الجبلية، و الرقيم هى الكتابه- حسب أقرب التفاسير- و تختلف التفاسير هل ان أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم؟ أم ان أولئك طائفه اخرى؟ و يشير حديث شريف الى انهم كانوا طائفه اخرى، و لكن بعض المفسرين يذكرون ان كلمه الرقيم تدل على الكتابه التى نقشها قوم أصحاب الكهف على باب الصخره، و لذلك سمو بأصحاب الرقيم.

### حربه الإنسان تتحدى:

و مما يثير العجب فى قصه أصحاب الكهف، قدره هؤلاء الفتيه من البشر على الأفلاط من أغلال الطاغوت، و قيود الثقافه الفاسده، من دون رساله و لا رسول.

فنحن نعرف ان الله يبعث رسولا- الى قوم يعظهم فيؤمن به جماعه و يكفر آخرون، و لكن ان ينبعث ضمير نقى فى مجموعه فتيه يعيشون تحت ركام الخرافات و فى ظل الظروف الفاسده فيثوروا و يتحرروا!! ان هذه قضيه تبدو غريبه و تثير العجب، و لكن لدى التأمل الدقيق يتبين ان فطره الإنسان مهياه لتمييز الانحراف من الاستقامه، و ان قدره الله و نصرته تعين الإنسان الذى يستجيب لنداء فطرته.

فكما ان الله يبعث رسولا، و ينزل عليه الملائكه و الكتاب، و يؤيده بروح منه، كذلك إذا استجبت ايها الإنسان لنداء فطرتك و اتبعت الحقيقه بعد ان عرفتها، فأن الله يزيدك هدى و يأخذ بيدك، و هذه هى حكمه بيان قصه أصحاب الكهف

حسبما يبدو، فلا تقل انك لست برسول و لم ينزل عليك وحى، ففيك من الفطره الإلهيه ما لو اتبعتها أعانك الله على ظروفك.

[١٠] إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا لَقَدْ التَّجَاؤا إِلَى الْكَهْفِ حَيْثُ لَمْ يَجِدُوا فِي الْأَرْضِ مَلْجَأً، وَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، أَوْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ فَيُعِينُهُمْ، فَأَضْطَرُّوا إِلَى تِلْكَ الْوَسِيلَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ أَمَامَهُمْ غَيْرَهَا.

و الإنسان عند ما تضطره الظروف للالتجاء الى كهف داخل جبل فى منطقه معزوله قفراء، فأن ذلك يعنى انه منقطع من كل أسباب القوه و الأمن، و مفتقد لكل نصير و معين، و هذا هو ما يحدث للذين يريدون ان يتحرروا من الأغلال، و يثوروا على الأوضاع المنحرفه.

و حينما لم يجد فتيه الكهف أحدا فى الأرض ينصرهم التجأوا الى رب السماء سبحانه، و دعوا الله أن يعطيهم أمرين:

الأول: الرحمه اى الخير و التقدم، و كل ما فى الحياه من أسباب السعاده و الفلاح.

الثانى: ان يهديهم الى الطريق السوى صحيح ان فطرتهم أوضحت لهم ان طريق قومهم خاطئ، و لكنهم لم يكونوا يعرفون الطريق البديل. و قوله تعالى:

« وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ». يدل على ذلك.

### خرق السنن الطبيعیه:

[١١] فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا

ص: ٣٦٧

ان الضرب على الأذان اشاره لطيفه الى ان أهم علامه للنوم عند الإنسان هي ثقل اذنه، و انقطاع سمعه، و اما إغماض العين، فليس كافيا لأن يدل على النوم، إذ قد يغمض الإنسان عينيه و هو مستيقظ، و لكنه لا يمكن ان يقطع سمعه و هو كذلك.

هذا من جهه و من جهه ثانيه باستطاعه البشر ان ينام يوما أو يومين بدون أكل أو شرب، بينما نجد هؤلاء قد ناموا سنين عديده، حتى انتهى العهد الفاسد، و هكذا كانوا يبدون في مظهر الأموات، و لذلك يقول القرآن:

[١٢] ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا فَنَسِبه ايقاظهم ببعث الموتى، بسبب طول فتره مكوثهم نياما، و لكن لماذا بعثهم الله يا ترى؟ ذلك لكى يرى الناس أنه قوى قدير، و ان حزب الله هو الغالب، إذ أن هناك حزبان فقط فى ساحه الحياه مهما اختلفت العناوين و الأسماء، حزب المستكبرين الراضين بحكم الظلم و الجور، و الآخر هو حزب الله الثائرين على الظلم و الجور.

و حزب الله لا يملكون الا أنفسهم فى البدايه، حتى انهم يضطرون للالتجاء الى الكهف، أو كما فى عصرنا الى العمل السرى أو الهجره من البلاد، و هذا دليل انقطاعهم عن الوسائل الماديه.

حينما نقارن بين أصحاب الكهف و بين الحكومه الطاغوتيه آنذاك، حيث كان الملك و أعوانه يملكون القوه و الهيبه و السلطان و كل الوسائل الماديه، نجد ان كفه أصحاب الحق هي الراجحه بالرغم من ذلك لأن الطواغيت كانوا يسيرون على طريق الخطأ، و لم يستطيعوا ان يحموا ما كانوا يملكون بينما نجد أولئك الذين لم يكونوا يملكون شيئا الا أنفسهم و إرادتهم، حموها بالإيواء الى الكهف اولاً، و من ثم

كسبوا الجوله فى ساحه الصراع.

اما التفسير الظاهر للأحصاء فى الآيه فهو معرفه عدد السنين التى مكثوها فى الكهف. و على هذا التفسير يكون المراد من الحزبين هما الفريقان الذين اختلفوا فى عدد السنين التى قضوها فى النوم كما تشير الأحاديث التاليه.

هذا هو الموجز لقصه أصحاب الكهف أما التفصيل فتعرض له الآيات القادمه..

[١٣] نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ الْقُرْآنِ يَقُصُّ الْأَنْبَاءَ بِالْحَقِّ فَهُوَ أَوْلَى: يذكر الأنباء صحيحه، و ثانيا: يهدف من ورائها اهدافا سليمه، اى عند ما تورده الآيات القرآنيه قصه فإنها تستهدف من ورائها تكوين حكمه صحيحه فى ذهن الإنسان، و اقامه حكم الحق فى العالم، و ثالثا: ان مجريات القصة تتطابق مع السنن الحق فى الحياه و هذه الأبعاد الثلاثه موجوده فى كل قصه من قصص القرآن.

إِنَّهُمْ فِيهِ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى ان هؤلاء الفتيه بشر و لم يكونوا رسلا، و لكنهم آمنوا بربهم و تحرروا من ضغط الجاهليه فأيدهم الله، و كذلك كل إنسان فى العالم يملك اراده التحرر، و عند ما يضعها موضع التنفيذ فأن هدى الله يأتيه و يؤيده.

و فى الأحاديث إن هؤلاء لم يكونوا كلهم شبابا و لكن القرآن سماهم فتيه، لأن الفتى أقدر على التغيير و الثوره، و على ان يبدل مسيرته و منهاجه، و القرآن يتحدث عن هذه الثوره فى الآيه التاليه، و يبدو ان كلمه الفتى تشير إلى من يملك الفتوه و هى الرجوله و البطوله و الشجاعه

قال ابو عبد الله الصادق (عليه السلام) لرجل «ما الفتى



عندكم؟ فقال له: الشاب، فقال: لا، الفتى: المؤمن، إن أصحاب الكهف كانوا شيوخا فسامهم الله فتيه بأيمانهم « (١) [١٤] وَ رَبُّنَا عَلِيُّ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا أَي ثَارُوا و انتفضوا، و لكن لماذا يقول و ربطنا على قلوبهم؟ ذلك لأن الإنسان الذى يريد أن يتحرر من ريقه الطاغوت يرى فى بدايه أمره -القضيه غامضه، ثم يتقدم قليلا فتتضح معالمها أمامه، و لكنه لا يملك القدره الكافيه على الصمود و المقاومه، فهنا يزيد الله اراده و عزمه، و يربط على قلبه حتى لا يتردد، و يستمر فى ثورته متحررا من الخوف.

ان بدايه القيام أن تنطلق أنت، و لكن بعد ذلك تجرى حلقات النهضه بطريقه متتابعه و بتأييد الهى، أى ان الله سبحانه و تعالى يتولى أمرها فيزيد الثائرين و ضوحا فى الرؤيه، و يقوى معنوياتهم، و يوفر للثوره أسباب النجاح سواء بطريقه عاديه أو غير عاديه.

فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّوْرِيهِ الشَّدِيدِهِ الْقَاصِفِهِ كَالرَّعْدِ لَا تَصْدُرُ عَادَهُ الْإِنْسَانِ عَنِ الرَّسُولِ، و لكنها صدرت عن هؤلاء بتأييد الله، أى بعد ان ربط على قلوبهم.

ثم يعلنون انهم عازمون على المضى فى الثوره و عدم النكوص..

لَنْ نَدْعُوًا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا

ص: ٣٧٠

و كلمه «لن» تدل على الأبدية، أى مستحيل علينا أن نرجع الى واقعنا الفاسد، ثم يذكرون سبب ذلك:

لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا أَي ان عودتنا الى افكارنا و أقوالنا السابقه هي ضلال و انحراف و شذوذ.

### الجذريه:

لقد ثاروا ثوره جذريه، و هذه من سمات الثوره الرساليه، فمنذ البدايه قالوا: لن ندعوا من دونه إلهها أى لن نخضع لهذا الطاغوت و لا- لطاغوت آخر يأتى مكانه، و لن نقبل ان يطاح بفئه حاكمه ظالمه لتستولى على الحكم فئه أظلم منها و لكن باسم آخر و شعارات اخرى، أو يذهب ملكك فينصبوا ابنه مكانه و يظل النظام الفاسد كما هو.

فكلمه «إلهها» تشير الى عدم التخصيص بالملك الذى كان يحكم فى زمانهم، بل الى كل من يتصف بادعاء النديه لله سبحانه و هكذا كانت رؤيتهم صافيه. لأن الله سبحانه أيدهم و ربط على قلوبهم.

و لذلك

جاء فى الحديث المأثور عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال: «اما علمت إن أصحاب الكهف كانوا صيارفه يعنى صيارفه الكلام. و لم يعن صيارفه الدراهم» (١) [١٥] لقد قطعوا آيته علاقه لهم بالماضى و سفهوه، و لم يكتفوا بذلك و انما أخذوا يسفهن الآخريين.

هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة

ص: ٣٧١

فاستنكروا موقف قومهم الذين اتخذوا السلاطين و الرؤساء آلهه من دون الله.

لَوْ لَا - يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقًا مَا أَوْ رَجُلًا قَائِدًا فَيَفْعَلُ، و لكن ان يأتى بحجه قاطعه و دليل قوى، و هكذا خطأ أصحاب الكهف منهج الكفار فى اختيار الإله بطريقه غير عقلانيه، و لم يخطئوا النتيجة فقط، و انما بدأوا بالسبب الجذر للانحراف، و هذه من أقوى و اعمق الثورات الثقافيه و السياسيه فى العالم، فهى لا تنظر الى النتائج الظاهره و الفساد القائم فقط، و إنما تبحث عن السبيل الذى سلكه الناس حتى وصلوا الى ذلك الفساد، أو طريقه التفكير التى أدت بهم الى هذه النتيجة.

### سياسه الطاغوت:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا هَذِهِ آيَاتُ آخَرَى شَبِيهَةٌ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الطَّغَاةَ يُؤْطِرُونَ عَمَلَهُمْ بِأَطَارِ الْقُدْسِيَّةِ، و يحاولون تضليل الناس و إيهاهم بأن ذلك هو من قبل الله سبحانه و تعالى، و يربطون أنفسهم بطريقه ما بالله و بالمبادئ الساميه.

حتى ان هتلر الذى جلب الدمار للعالم كان يعتبر نفسه المنقذ الذى أرسله الله لأنقاذ البشريه، و الصليب المعقوف انما هو اشاره الى انه يمثل الله فى الأرض، و فى هذه الآيه يقول أصحاب الكهف: ان قومهم افتروا على الله الكذب، فقالوا: ان الله هو الذى أمرنا بأن نعبد تلك الألهه و هو برىء مما يدعون.

### تأييد الله:

و أخيرا وصل أصحاب الكهف الى نتيجة و قرروا ان يعتزلوا قومهم فى البدايه ثم

يلتجئوا إلى الكهف و يطلبون رحمة الله لينصرهم في حركتهم الثورية.

[١٦] وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَابْتَغَيْتُم مِّنَ اللَّهِ فَاُولَئِكَ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ مَنَ الَّذِي قَالَ لَهُؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ إِنَّهُمْ إِذَا  
اعتزلوا الناس، والتجأوا إلى الكهف، فإن الله سبحانه سينصرهم؟ هل كان هناك رسول يبلغهم؟ كلا.. وانما كان ذلك من إلهام  
الفطره، انه حينما يكون عمله الله العزيز فأَن الله يؤيده و ينصره.

### التأييد الإلهي:

وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا أَي ان الله سبحانه يهيء لكم الوسائل لتطبيق برامجكم. صحيح ان الوسائل منقطعه و الطرق مسدوده  
أمامكم الآن، و لكن اعتزلوا الكفار و المشركين، و التجأوا إلى الكهف و انتظروا رحمة الله فهي آتية لا ريب، و انه سوف يهيء  
لكم السبل الملائمه ماديه و معنويه.

و هكذا نستوحى من هذه الآيه الكريمه أسلوبا للثوره و هو: اعتزال الطغاه و عدم اتباعهم، و انتظار رحمة الله، فلا نكون مستعجلين  
للحصول على النتيجة، و انما علينا بالصبر و انتظار الفرج. و كانت الثورات الإلهيه تبدأ هكذا عادة: يعتزل شخص أو مجموعه  
اشخاص، ثم يلحق بهم الآخرون، و تأتيهم الأموال و السلاح و الرجال من حيث لم يحتسبوا، و في ذات الوقت يبدأ الحكم  
الطاغوتي بالضعف مع الزمن، و تظهر فيه الثغرات فتتهياً الظروف لتفجر الثوره و من ثم انتصارها.

اشاره

وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَ تَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَ هُمْ رُفُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَّتَ مِنْهُمْ رُغْبًا (١٨) وَ كَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ نِسَاءً لَوْ بَيْنَهُمْ فَالِقَاتٌ لِنُفُوسِهِمْ مَنْ لَمَّا لَبَسُوا لَبَسُوا مِنْهُمْ كَمَ لَبَسَ لَبِثًا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبَسْنَا فَأَیُّكُمْ أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لِيَتَلَطَّفْ وَ لَا يُشْعِرَنَّ بَكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا (٢٠)

اللغه

١٨[بالوصيد]:الوصيد من أوصدت الباب أى أغلقتة و جمعه و صائد.



**هدى من الآيات:**

و هذه المجموعه من الآيات الكريمه تبين لنا جانباً من قصه أصحاب الكهف، التي تشهد على هذه الحقيقه أن الإنسان قادر على أن يقلع من أرض الشهوات و الضغوط، و يخلق في سماء القيم بقوه إرادته و بنصره الله سبحانه و تعالى.

ان لطف الله بالإنسان لطف دائم و قديم و شامل، و لكنه بحاجة الى تحرك من قبل الإنسان نفسه، فلو تحرك الإنسان الى ربه خطوه فسوف يتقدم اليه ربه فراسخ و أميالاً.

ان فتيه الكهف حينما تركوا قومهم، و التجأوا الى الكهف طلباً لرحمه الله سبحانه و تعالى، فإن الله وسع عليهم الكهف، و ابعده عنهم الشمس حتى لا تحرقهم أشعتها، فكانت تشرق عن يمين كهفهم و تغرب عن شماله، بحيث تمنحهم الأشعه اللازمه للحياه دون أن تؤذيهم.

و من ناحيه اخرى فقد جعل الله نومهم بحيث، كانوا يتقلبون بسبب خفه نومهم، و هذا بدوره من رحمه الله سبحانه و تعالى، لأن بقاءهم على حاله واحده كان سيضر بأجسامهم كما أنه يخرق ثيابهم.

أما كلبهم فقد كان يربض أمام باب كهفهم باسطا ذراعيه، كما يفعل عادة عند ما يجلس للمراقبه، و الذى يمر عليهم يحسب أن هؤلاء مجموعه من الناس، جاؤوا الى هذا المكان للقليل، ثم الذهاب الى عملهم، لأن نومهم خفيف، و الكلب موجود، و هم يتقلبون ذات اليمين و ذات الشمال بالرغم من استيلاء النوم عليهم.

فقد حماهم الله سبحانه و تعالى من الأعداء بسبب الرعب، فالحيوانات كانت تخاف من الكلب، أما الناس فكانوا يرتعبون لأنهم إذ اطلعوا على هذا الكهف و قد نام فيه هؤلاء، يرون و كأن ابطالا يربضون فيه فيولون عنهم فرارا، و يمتثلون منهم رعبا.

لقد أبقاهم الله اجيالا و قرونا على هذه الحاله، حتى تشابهت حالتهم مع حاله الموتى، لأن الله لما أيقظهم عبر عن ذلك بالبعث.

جلس هؤلاء من النوم، و بعد أن انهوا تساؤلهم عن مدّه نومهم، و حيث بلغ أقصى تقدير لهم أنهم ناموا يوما أو بعض يوم شعروا بالجوع، و كان أحدهم يملك نقودا و كانت عبارته عن سكه فضيّه دفعها الى وزير الملك، فتنكر بأن لبس ملابس الراعى و أخذ تلك النقود، و ذهب الى المدينه ليجد أمامه المفاجأه، فقد لاحظ أن المدينه تغيرت و أن الأوضاع تبدلت.

كما ان النقود التي كان يحملها كشفت حقيقته و حقيقه جماعته، لأن حاشيه الملك و أعوانه لما افتقدوا هؤلاء كان بعضهم وزراء و اداريين كبار، بحثوا عنهم فى كل مكان فلم يجدوهم، فنشر ذلك الخبر كحادثة مهمه و كتب ذلك فى تاريخهم،



و كانت الأجيال تحفظ هذه القصة الغريبه و تتناقلها،الى أن جاء هذا الوزير متكررا بلباس الراعى،و معه تلك النقود المنقوش عليها صوره الملك فى ذلك العصر،فعرف الناس أنهم هم الذين يذكرهم التاريخ المدون لديهم.

## بينات من الآيات:

### اشاره

[١٧] وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ رَبَّمَا يَرِيدُ السِّيَاقَ رُبَّمَا ثَلَاثُ حَقَائِقَ بَعْضُهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَ لِيَكُونَ فِي أُذُنَانَا صُورُهُ ذَاتِ ثَلَاثَةِ أبعاد:

البعد الأول:يرينا آيه الشمس،و كيف أن الله سبحانه أجراها فى مسيرها دون أن تتخطى المدار المرسوم لها،و الترامها بنظام معين،و هذه لفته نظر الى السنن الكونيه التى يجريها الله بقدرته و حكمته.

البعد الثانى:إذا كيف الإنسان نفسه مع هذه السنن يستفيد منها،فالشمس التى تطلع و تغرب فى مسيره محدده إذا تعرض الإنسان الى وهجها بصوره مباشره فسوف يتأثر،و إذا ابتعد عنها فسوف يتأذى،و إذا كان فى وضع معين فإنه يستفيد منها،و هكذا فأن تكيف الإنسان مع الشمس بصوره معتدله ينفعه.

البعد الثالث:أن تكيف الإنسان مع سنن الكون لا يمكن الا بهدايه الله سبحانه،لأنه هو الذى يحيط علما بهذه السنن،و يعرف الإنسان بها.

و من خلال التدبر فى الآيه يظهر لنا مدى لطف العلاقه بين كلماتها،يقول القرآن: «وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ» أى أن الشمس حينما تطلع فإنها تبتعد عنهم.

تزاور: تتعد و تنحرف. و قال البعض ان ماده الحكمة نابعه من الزياره و تتناسب مع شروق الشمس كأن الشمس عاقله و مریده و هی لیست كذلك، و لكن الذی قدر للشمس حرکتها حکیم و قادر و هو الله سبحانه و تعالی.

وَ إِذَا عَزَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ أَى تعبر عنهم و تتركهم، و كلمه تقرضهم تناسب و مغیب الشمس.

وَ هُمْ فِى فُجُوهِ مِنْهُ أَى كان مكانهم متسعا و يعيشون فيه براحه تامه، و يقال أن باب الكهف كان على الشمال، فكانت الشمس تطلع عن يمينه و تغرب عن شماله، و هذه هی مواصفات غرفه النوم الصحیه، أن تكون واسع، و لا تشرق عليها الشمس مباشره، و لكن قريبا منها، ذات اليمين و ذات الشمال.

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ هُنَا ترتبط قصه الهدايه بقصه الشمس، و حرکتها حيث أنها من آيات الله التى تشير الى حکمته و قدرته الواسعه. كما ان بقاء هذه الفئه فى الكهف هذه السنين من آيات الله.

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ مَا دامت هذه من آيات الله و حکمته، و تدل على أن الله هو الذى جعل الأمور بسنن ثابتة دقيقه، فعلينا أن نهتدى بهدى الله، و نلتمس المعرفه منه سبحانه.

وَ مَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا

أى يرشده الى طريق الحق، الله هو وليّ الإنسان الذى يرشده، وبيّن له المناهج الصحيحه فى الحياه، و الذى يريد أن يتبع برامج الله و مناهجه هو المهتدى، و من يعرض عن ذلك فليس هناك اله آخر يهديه من دونه.

[١٨] وَ تَحَسَّبُ لَهُمْ أَيْقَاطًا وَ هُمْ رُقُودٌ يَمْرُ عَلَيْهِمُ الرَّجُلُ فَيَرَاهُمْ وَ كَأَنَّهُمْ فِي حَالِهِ الْإِسْتِيقَاطُ، وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَوْمَهُمْ كَانَ خَفِيفًا وَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًّا عَلَى كُلِّ حَوَاسِهِمْ وَ أَعْضَائِهِمْ، بِحَيْثُ لَمْ يُمْكِنِ لِلنَّازِرِ أَنْ يَكْشِفَ لِأَوَّلِ وَ هَلَهُ انْهَمِ نَائِمُونَ، وَ لَعَلَّهُ بِسَبَبِ عِيُونِهِمْ الْمَفْتُوحَةِ، وَ تَقْلِبِهِمْ.

وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ هَذَا التَّقْلِيبُ يَسَبِّبُ رَاحَةَ الْجَسَدِ، كَمَا يَسَبِّبُ عَدَمَ تَمزِقِ الثِّيَابِ وَ تَخْرُقِهَا.

وَ كَلْبُهُمْ بِأَسْطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ الْكَلْبِ أَيْضًا يَرْبُضُ عَلَى بَابِ الْكُهْفِ، وَ كَأَنَّهُ يَتَرَبَّصُ بِكُلِّ مَنْ تَسَوَّلَ لَهُ نَفْسَهُ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ حَيْوَانٍ مُتَوَحِّشٍ أَنْ يَدْخُلَ الْكُهْفَ وَ يُؤْذِيَ أَصْحَابَهُ.

لَوْ أَطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيَتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ مِنْ جِهَةِ ثَانِيهِ فَأَنَّ مَظْهَرَهُمْ كَانَ يَنْبَغِي عَنْ قُوَّتِهِمْ وَ بَطُولَتِهِمْ الْخَارِقَةِ، وَ يُوْهِمُ النَّازِرِينَ بِأَنَّهُمْ مُسْتَيْقِضُونَ وَ لَيْسُوا نَائِمِينَ، كَانَ يَبْعَثُ عَلَى الْخَوْفِ وَ مِنْ ثَمَّ الْفِرَارِ.

وَ لَمَلَّيْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا وَ هَذَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَنظَرَهُمْ وَ مَخْبَرَهُمْ كَانَا يَبْعَثَانِ عَلَى الرَّعْبِ، إِذْ أَنَّ مِنْ يَرَاهُمْ يَخَافُ وَ عِنْدَ مَا يَهْرَبُ وَ يَبْتَعِدُ فَإِنَّ قَلْبَهُ يَمْتَلِئُ رَعْبًا وَ مِنْ ثَمَّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْكَرَ

بالرجوع ثانيه، و هذه حمايه الهيه لهم من خطر الأعداء، ففى الأحوال العاديّه قد يخاف المرء من شىء و يهرب منه ثم بعد ما يهدأ و يتروى فإنه لا يجد مبررا للخوف و من ثم يتمكن من العوده لذلك الشىء ثانيه. أما بالنسبه الى هؤلاء فإن أسباب الرعب تبقى عند من يراهم حتى بعد ان يتركهم.

[١٩] لقد ناموا هذه الفتره الطويله، و لكنهم بعد ذلك بعثوا من قبل الله سبحانه و تعالى لكى يسأل بعضهم بعضا.

وَ كَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ إِيَّاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ هُنَا نَتوقف قليلا لنطرح هذا السؤال: ما هى العلاقه بين بعثهم و ايقاظهم من الرقاد و بين سؤال بعضهم بعضا؟ ربما تكون العلاقه بين بعثهم و تساؤلهم، أن الإنسان حينما يكون نائما فإنه يكون غافلا عمّا حوله، و حينما يستيقظ فإنه يفهم و يعلم و ينشط فكره، و أول شىء يأتى الى الإنسان بعد اليقظه هو عقله حتى قبل ان تسمع أذنه، أو ترى عينه، و تتحرك يده، فإن عقله يتحرك و عند ما يتحرك العقل فإنه يبحث عن معلومه جديده.

و هذه الحاله توجد عند الإنسان حينما يبعث فى يوم القيامه، حيث يتساءل الناس بينهم يومئذ: كم لبثنا فى قبورنا؟ فبعضهم يقول: يومنا، و بعضهم يقول: ساعه من نهار، المهم أنهم يطرحون هذا السؤال بينهم و يناقشونه، و هناك علاقته وثيقه بين قصه أصحاب الكهف و العبره منها، و بين قصه الإنسان فى رحلته الطويله من الحياه الى الموت، و من الموت الى الحياه سنذكرها مستقبلا إنشاء الله.

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فِي الْبَدَايَةِ قَالُوا: يَوْمًا وَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ نَامُوا يَوْمًا كَامِلًا، ثُمَّ بَعْدَ مَا حَدَدُوا مَسِيرَ الشَّمْسِ وَ فَكَّرُوا جِدًّا، تَوَصَّلُوا إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَنَامُوا هَذَا الْمَقْدَارَ فَاسْتَدْرَكُوا قَائِلِينَ: أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.

قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ بَعْدَئِذٍ أَخَذُوا يَفْكُرُونَ أَكْثَرَ وَ بَرَزَتْ أَمَامَهُمْ عَدَّةٌ تَسْأَلُونَ.. فَبِمَا كَانَتْ هُنَاكَ شَجَرَةُ أَمَامِ الْكَهْفِ فَلَمْ يَجِدُوا هَاهُنَا، أَوْ شَاهَدُوا هُنَا صَخْرَهُ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ، وَ بَلَا- شَكَّ فَأَنَّ بَعْضَ التَّطَوُّرَاتِ وَ التَّغْيِيرَاتِ حَدَّثَتْ فِي الْبَيْتِ الْمَحِيطِ بِالْكَهْفِ، فَتَرَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ، وَ عَلِمُوا أَنَّ هُنَاكَ حَقِيقَهُ مَجْهُولَهُ لَا تَزَالُ غَامِضُهُ عَلَيْهِمْ، وَ هِيَ طَوَّلَ مَدَّةِ نَوْمِهِمْ، لِذَلِكَ سَكَنُوا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَ قَالُوا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ كَمْ لَبِثْتُمْ؟ وَ كَيْفَ لَبِثْتُمْ؟

### الطريق الى العلم:

و قَبْلَ أَنْ نَنْتَقِلَ إِلَى الْمَجْمُوعَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْآيَاتِ، لَا بَأْسَ أَنْ تَتَدَبَّرَ قَلِيلًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ رَحْلَةَ الْإِنْسَانِ مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَى الْعِلْمِ، وَ مِنَ الْغُرُورِ إِلَى التَّبَصُّرِ، تَشْبَهُ إِلَى حَدِّ بَعِيدِ رَحْلَةَ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّوْمِ إِلَى الْيَقْظَةِ، فَالنَّوْمُ وَ سَبَاتُ الْجَسْمِ يَشْبَهُ سَبَاتِ الْعَقْلِ وَ الْعِلْمِ أَيْ الْجَهْلِ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَنْقُلُ الْجَسْمَ مِنْ حَالِهِ النَّوْمِ وَ السَّكُونِ إِلَى حَالِهِ الْيَقْظَةِ وَ الْحَرَكَةِ، فَهُوَ أَيْضًا الَّذِي يَنْقُلُ الْعَقْلَ مِنْ حَالِهِ الْجَهْلِ وَ الرُّكُودِ الْفِكْرِيِّ إِلَى الْعِلْمِ وَ النِّشَاطِ الْفِكْرِيِّ الْخَلَاقِ، فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَوَّلًا: أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَى جِهْلِهِ وَ هَذِهِ بَدَايَةِ مَسِيرِهِ الْعِلْمِ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ، وَ لَكِنْ ذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنَّ الْعِلْمَ غَيْرَ مَوْجُودٍ، فَاللَّهُ يَعْلَمُ، وَ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنَا لَا أَعْلَمُ فَلَا بَدَّ أَنْ أَتَحَرَّكَ نَحْوَ اللَّهِ حَتَّى أَقْتَبِسَ مِنْ نُورِ عِلْمِهِ.

و كلمه لبثتم تشمل عدده تساؤلات: كيف لبثتم؟ كم لبثتم؟ ما هي مجريات الأمور و تطورات الأحداث التي أحاطت بكم في هذه الفتره؟ فَأَبْعَثُوا أَحِدَكُمْ بِرِزْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَاصِلِ الْعِلْمِ عَلَى الْإِنْسَانِ عَلَى الْعِلْمِ عَلَيْهِ الْإِصْبَحُ مَتَجَرِّدًا عَنِ الْوَأَقْعِيَّاتِ، فَأَجْتَهَدُ فِي حَاصِلِ الْعِلْمِ الَّذِي يَنْفَعُكَ، وَ لَا تَبْحَثُ فِي أُمُورٍ بَيْنَظِيهِ جَدْلِيهِ، فَالْقُرْآنُ يَقُولُ: أَنْ هُوَ لَاءُ جَلَسُوا وَ خَطَطُوا وَ فَكَّرُوا وَ قَالُوا: حَسْنَا كَمْ بَقِينَا عَلَى حَالِنَا؟ وَ كَيْفَ بَقِينَا؟ تَلِكُ قَضِيهِ جَانِبِيهِ، أَمَا الْقَضِيهِ الْأَهْمُ فَهِيَ الْجُوعُ، فَلَنْتَحَرَّكَ إِلَى مَا يَفِيدُنَا وَ نَفَكِّرُ فِي مَا يَنْفَعُنَا.

بورقكم: هو السكه الفضييه.

فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا الْأَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ إِنْ الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ يَبْحَثُ عَنِ الْأَزْكَى الطَّعَامِ، زَكَاهُ مَادِيهِ وَ مَعْنُوِيهِ، فَلَا يَبْحَثُ عَنِ طَعَامٍ يَضُرُّهُ، كَمَا لَا يَبْحَثُ عَنِ طَعَامٍ حَرَامٍ، بَلْ يِرَاعِي النُّوَاحِي الصَّحِيهِ وَ الشَّرْعِيهِ.

ثم يشير القرآن الى مسأله عدم الإسراف في الأكل، فلا ينبغي أن يأكل الإنسان بقدر ميزانيته بل بقدر حاجته فقط، لذلك قالوا: «فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ» اي بمقدار ما تأكلونه و ليس أكثر من ذلك.

وَ لِيَتَلَطَّفُوا أَي لِيَكُنْ تَصَرُّفُ الَّذِي يَذْهَبُ لِيَبْحَثُ عَنِ الطَّعَامِ وَ يَشْتَرِيهِ مَهَذَّبًا، وَ حَرَكَاتِهِ لِطِيفِهِ فَوْ قَدْ يَشْتَرِي الْإِنْسَانُ طَعَامًا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ، وَ لَكِنْ بَعْدَ الْعَرَائِكِ وَ الْخَشُونَةِ مَعَ النَّاسِ، وَ لَكِنْ الْقُرْآنُ يَنْهَى أَيْحَائِيًا عَنِ ذَلِكَ فَيَقُولُ: «وَ لِيَتَلَطَّفُوا» وَ هَذَا مِنْ آدَابِ

وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا و ذلك حتى لا يحس الأعداء بهم، وهذا يفيد بأن الذى يعمل عملا سريا عليه ان يتكتم على عمله، و أن يعمل بطريقه ذكيه بحيث لا- يشعر أحدا بأن عنده عملا- سري، و لا- يكفى أن يكتم عنهم نوع عمله فحسب بل حتى يكتم شخصه، و ذلك حتى لا- يدفعه فضوله الى البحث و اكتشاف اسرار ذلك العمل، و هذا منتهى السريه و الكتمان المطلوب فى العمل الثورى الناجح.

[٢٠] إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا اما يقتلونكم رجما و هو من أشد أنواع القتل و اما يضغطون عليكم فيسبون ارتدادكم عن ايمانكم و فى ذلك ابتعادكم النهائى عن الفلاح و السعاده، و هذا يعنى ان على الإنسان الا- يعرض نفسه و بمحض إرادته لتلك الضغوط التى يخشى على نفسه منها، و لا يقول أحد انا لا يهمنى السجن أو التعذيب لأنى رجل صامد، فربما تكون الآن صامدا، و لكن غدا إذا صبَّ عليك العذاب صبا فى سجون الطواغيت فقد تفقد ذلك الصمود و تنهار، و بانهارك ينهار دينك، لذلك فأن أصحاب الكهف اتبعوا شروط التقيه و السريه من أجل الا تتسبب ضغوط الأعداء عليهم فى عودتهم عن دينهم الى دين الملك آنذاك، و بالتالى يحرمون من الفلاح و السعاده. و الواقع انهم كانوا- لفته طويله- يعبدون الله فى السر. و أعطاهم الله أفضل الجزاء على ذلك

جاء فى الحديث الشريف المأثور عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام): «إن أصحاب الكهف أسروا الأيمان و أظهروا الكفر، و كانوا على جهار الكفر أعظم اجرا منهم على الأسرار بالأيمان» (١).

اشاره

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغْلَبُوا أَنْ وَعِدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ  
أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ  
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَذِبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ  
فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَىءٍ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي  
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَابْتُؤا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ  
وَ الْأَرْضِ أَبْصُرَ بِهِ وَأَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)

اللغه

٢١[أغترنا]:عثر على الشيء اطلع عليه.

٢٢[رجما بالغيب]:ظنا من غير دليل.

[تمار]:من المراء و هو الجدل.





### هدى من الآيات:

كنا مع أصحاب الكهف و قد بعثوا بأحدهم الى المدينه لي جلب لهم الطعام بما يكفيهم رزقا، و ذهب الرجل بعد (٣٠٩) سنه و قد دارت الدنيا و تغيرت الأحوال و تبدلت الملوك، و جاء بسكه قديمه فعرّفها الناس و تيقنوا أن هذا واحد من الذين خرجوا من ديارهم، و أسسوا نواه الحركه التوحيديه، تلك الحركه التي كانت فى ذلك اليوم و بعد السنين الطويله حاكمه على البلاد، ثم ماذا حدث بعد ذلك؟.. و هل عاد هؤلاء الى كهفهم مره أخرى و ناموا فى رقدته طويله لا يستيقظون منها الا يوم القيامه أو يوم الحشر الأصغر؟ القرآن لا يجيب على ذلك و الله وحده العالم.

### بينات من الآيات:

#### إشاره

[٢١] يذكرنا القرآن بحقيقه يجب أن نعتبر بها من خلال قصه أصحاب الكهف، و هى حقيقه البعث و النشور التي يلخصها

الحديث القائل: «كما تنامون تموتون و كما تستيقظون تبعثون»، و إذا فكر الإنسان بأنه قادر على مقاومه الموت فليبدأ ذلك

بمقاومه النوم، و إذا أراد الإنسان ان يعرف كيف يبعث بعد ان يموت فليفكر كيف يستيقظ بعد ان ينام، و إذا أراد الإنسان آيه تدل على ذلك فلينظر الى الحياه كلها، فالحياه جميعا موت و بعث.

البعث فى الحياه ليس شيئا بدعا، فكل شىء فى الحياه له بعث، و فى الإنسان نفسه دليل على البعث، كيف كان نطفه فى صلب أبيه، ثم فى رحم أمه، ثم ولد طفلا رضيعا، ثم نما فأصبح رجلا ضخما قويا أو ليس ذلك بعث؟ و هذه الأرض تراها مره فينزل الله سبحانه عليها ماء من السماء، فإذا بها تهتز و تخضر، ثم لا تلبث هذه الخضره أن تموت و تصبح هشيمًا تذروها الرياح. هذه قصه الحياه كلها. أو يكون صعبا على خالق هذه الحياه أن يحيى الناس بعد موتهم؟! هذا مع العلم بأن عقولنا القاصره الصغيره تعتقد بأن الإحياء بعد الموت أسهل عند الله من الإحياء بعد العدم، و هذه المعادله خاطئه بالنسبه الى قدره الله عزّ و جل، لأن قدره الله لا متناهيه، و هو لا يبذل مجهودا و لا يتعب حتى يكون عنده شىء أسهل من شىء آخر، و لكن بحسب مفاهيمنا و خبراتنا الحياتيه أن إعادته صنع شىء أيسر من ابتداء صنعه و اختراعه، فكيف نؤمن بأن الحياه لم تكن ثم كانت و لا نؤمن انها بعد اندثارها ستعود ثانيه؟ لذلك علينا ان نستفيد، من قصه أصحاب الكهف، هذه العبره.

وَ كَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغْلَبُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا نَسْتَجِيبُ لَكُمْ فِيهَا مَثَلًا لِّمَنْ كَفَرَ بِهِ وَأَنَّهُ كَانَ لَكُم مِّنْهَا آيَاتٍ

أولا: صدق وعد الله لعباده المؤمنين الصالحين بالنصر، حيث نصر أصحاب

الكهف حين حماهم من بطش الطغاه، و نصر رساله أصحاب الكهف حين أباد أولئك الطغاه و حكم الصالحين فى البلاد، و جعلهم خلفاء و أئمه.

ثانيا: أراد الله سبحانه أن يعرف الإنسان أن الأمور بيده، و أنه قادر على أن يفعل ما يشاء من الأمور التى يتصور الإنسان انها مستحيله، و هى كذلك فعلا حسب قدره المخلوق المحدوده، أما حسب قدره الله المطلقه فهى سهله و ميسوره، و ذلك مثل قضيه البعث و الأحياء.

ثالثا: ان العلم و الجهل، و الهدى و الضلال، انما هو من قبل الله سبحانه و تعالى، فخلال هذه الفتره الطويله فتش الناس عن أصحاب الكهف الذين كانوا موجودين فى منطقه قريه جدا منهم، بدليل أن ذلك الرجل الذى بعثوا به ليشتري الطعام نزل من الكهف و توجه إلى المدينه من فوره، الا- أنهم لم يجدوا لهم أثرا، و لكن الله اعثر عليهم عند ما أراد أن يعلموا بالأمر، فالعلم و أسباب العلم من الله سبحانه.

و السؤال ما هى العلاقه بين أن يكون وعد الله حقا، و ان تكون الساعه لا- ريب فيها؟ الجواب: ان الساعه تدخل ضمن و عود الله، فقد وعد بها الصالحين و توعد بها المجرمين، و نحن نستطيع أن نبصر ذلك من خلال مجريات الأمور فى الحياه، و من خلال تدبرنا فى احداث التاريخ، و ان الله حينما يعد فإنه يفي بوعدده فى الدنيا، و حينما وعد ان ينصر الصالحين فعل، و حينما وعد ان يستخلف المستضعفين فعل، و حينما وعد ان يعين المتوكلين عليه فعل، و الله سبحانه صادق الوعد، و ما دام كذلك فإنه يوم القيامه أيضا يفي بوعدده.

## زياره القبور:

وقف هؤلاء على باب الكهف، و وجد ان أولئك الذين كانوا الى ساعه قريه

احياء،قد ماتوا حينما شاء الله ان يموتوا،فالحياه و الموت بيد الله،فوقفوا مدهوشين:

كيف بقى هؤلاء احياء هذه الفتره الطويله؟ وكيف ماتوا فجأه؟ إِذِ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ  
ماذا نفعل بهم؟ كيف نمجدهم؟ كيف نبقي ذكرهم حيا في النفوس؟ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا اتخذ  
الملك و حاشيته و الذين كانوا غالبين على امر الناس،قرارا ببناء مسجد على مقابر تلك الطلائع الثائره.

و نتوقف هنا قليلا لندخل في حوار مع بعض المفسرين،فالمؤمن يجب ان يظل ذكره حيا في النفوس لأنه قدوه حسنه،و القرآن  
الحكيم يبين دائما قصص الأنبياء و يمدحهم من أجل ان يجعل منهم قدوات حسنه للأجيال،و من آثار المؤمن قبره، لذلك  
يستحب شرعا أن يزور المؤمن المقابر.

ان أفضل عمل نقوم به عند مقابر المؤمنين هو ان نتعبد لله سبحانه و تعالى هناك، و ان نقرأ القرآن و نتذكر الموت،و يعظ  
أحدنا الآخر،و نجدد ذكرى هؤلاء و نبين رسالتهم التي عملوا لها و ماتوا من أجلها و نصلى لله،أو ليس من الأفضل أن نصلى لله  
ركعات و نبعث بثوابها الى أرواحهم؟ و حينما نريد ان نجعل بيننا و بين الأموات من المؤمنين و الشهداء رابطه،أو ليست أعمال  
الخير و البر،و الصلاه،و الدعاء،و تلاوه القرآن و ما أشبه خير رابطه؟! بلى من هنا يذكرنا القرآن في هذه الآيه: «الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ  
أَمْرِهِمْ» (و يبدو أنهم كانوا من المؤمنين)قالوا:لنتخذن عليهم مسجدا نتعبد فيه لله،و نتذكر القيامة، و نتذاكر سيرتهم،و القرآن  
يوحي لنا بأن هذا العمل عمل مشروع،بدليل انه ذكره

و لم يستنكره أو ينهى عنه.. كيف ذلك؟ اقرأوا القرآن و تدبروا فيه، لتعلموا ان هذا الكتاب الذى أرسله ربّ حكيم لا يتكلم الا بميزان دقيق، و هو لا يذكر لنا قصه تاريخيه و لا عملا قام به الأولون الا لأحد أمرين: أما لكى ينهى عنه أو لكى يأمر به، فإذا لم ينه عنه فهو يأمر به.

و هذا ردّ حاسم على البعض الذين يفتون بأن زياره قبور الأنبياء و الأئمه المعصومين عليهم السلام و الصالحين، و الصلاه و التعبد فى مقاماتهم الشريفه، بدعه و ضلاله و حرام، و نحن نتساءل: من الذى قال أنه كذلك؟ ان القرآن فى هذه الآيه بالذات يبين لنا ان هذا العمل كان جيدا و مشروعاً، و القرآن جاء ليطبق لا- لكى يناقش فى آياته حسب الأهواء، أو حتى حسب الأحاديث غير المعروف صحتها و وثاقه سندها، ثم ان الحديث مهما كان موثق السند، فإنه لا ينسخ القرآن، و الحديث الذى يتضارب مع القرآن لا بد ان يضرب به عرض الحائط!

### المنهج العلمى لا الرجم بالغيب:

[٢٢] سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ أَيْ ان الذى يتكلم دون ان يستند الى معلومات و حقائق ثابتة، فمثله كمن يقذف حجرا فى الظلام الدامس، لا يعرف أحد اين يقع؟ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ لَقَدْ جَاءت الآيه بكلمه رجما بالغيب قبل ان تقول سبعة و ثامنهم كلبهم، مما

يوحى بأن هذه الفكرة ليست رجما بالغيب.

قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ ۖ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ۚ هُنَا تَنْتَقِلُ الْآيَاتُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ الْبَعْثِ وَعَنِ وَعْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ قَضِيهِ أُخْرَى وَتِلْكَ هِيَ قَضِيهِ الْعِلْمِ، وَمَاذَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ وَيَعْتَقِدَ؟ إِنَّ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَرْجَمَ بِالْغَيْبِ وَالْإِ- يَغْتَرُ بِمَعْلُومَاتِهِ لِأَنَّ عِلْمَهُ مَهْمَا بَلَغَ فَهُوَ قَلِيلٌ، وَالَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ، عَلَيْهِ الْإِ يَضَعُ عِلْمَهُ لِلْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، بَلْ يَمُرُّ عَلَى الْمَسَائِلِ الْجَدَلِيَةِ الْعَقِيمَةِ مَسْرَعًا مَا أَمْكَنَ، أَيْ يُؤْمِنُ بِالْحَقِيقَةِ وَبَيِّنُ حُجَّتَهَا ثُمَّ يَذْهَبُ، لِأَنَّ الْمِرَاءَ يَفْسِدُ الْعِلْمَ، وَيَجْعَلُ فِكْرَ الْإِنْسَانِ مَتَجًا إِلَى وَسَائِلِ الْإِسْتِعْلَاءِ عَلَى الْآخَرِينَ، وَلَيْسَ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَبِالتَّالِيِ يَصْبِحُ فِكْرًا مُسْتَعْلِيًا مُسْتَكْبِرًا لَا يَسْتَوْعِبُ الْحَقَائِقَ، وَالْعِلْمُ هُوَ ابْنُ التَّوَاضِعِ، وَالْمَعْرِفَةُ بِنْتُ الْخَلْقِ السَّمْحِ، كَمَا أَنَّ الْإِسْتِكْبَارَ حِجَابُ الْعِلْمِ، وَالْإِسْتِعْلَاءُ يَهْدِمُ الْمَعْرِفَةَ.

وَلَا تَشْتَفِي فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۚ لَوْ فَارَضْنَا أَنْ جَاهِلًا يَرِيدُ أَنْ يَسْتَفْتِيَ، فَهَلْ يَبْحَثُ عَنْ كُلِّ جَاهِلٍ مَغْرُورٍ يَجْمَعُ رِكَامَ الْخِرَافَاتِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَسْتَفْتِيهِ فِي أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ؟ كَلَّا..

وَرَبَّمَا تَدُلُّ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى مَا قَلْنَا مِنْ أَنْفَاءٍ، وَهُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا- يَنْسَخُ بِالْحَدِيثِ، وَعَلَيْنَا الْإِ- نَحْبِجُ أَنْظَارَنَا عَنِ الْقُرْآنِ بِحُجْبِ التَّارِيخِ، حَيْثُ نَجْعَلُهُ مِنْظَارًا نَنْظُرُ مِنْ خِلَالِهِ إِلَى الْقُرْآنِ أَنْ عَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى الْقُرْآنِ وَكَأَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْنَا هَذِهِ اللَّحْظَةَ، وَالْإِ- نَجْعَلُ آيَاتِ الْقُرْآنِ مَدْفُونَةً فِي أَضْلَعِ التَّارِيخِ قَبْلَ ١٤٠٠ عَامٍ، وَكَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ لِفُلَانٍ، وَالْآيَةَ تِلْكَ نَزَلَتْ لِفُلَانٍ، وَانْ حَدَاثَةُ الْفُلَانِيَةِ هِيَ

التي استنزلت القرآن في بدر أو أحد أو غيرهما، لقد انزل الله القرآن، لكل زمان و مكان و إنسان، فعلينا ان نقرأه بهذه الطريقه، و لعل هذه الآيه تشير الى هذه الحقيقه، و انه ما دام القرآن قائم بيننا، فلم نذهب الى التوراه و الإنجيل، و الأفكار الموجوده في الكتب المنحرفه و الأساطير الميثوئه عند الناس، و نستفتي من يعرفها و يحملها؟

### الحياه بين تدبير الرب و تقدير العبد:

[٢٣] وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا [٢٤] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا لأول وهله تبدو هاتان الآيتان غير مترابطتين مع بعضهما، و لكن لتدبر فيهما قليلا..

لما كانت الحياه تتطور باستمرار، كانت رسالات الله قد وضعت حسابات دقيقه لمتغيرات الزمان، و تطورات الأحداث، فيجب على الإنسان ان يضع الرساله التي أنزلت عليه نصب عينيه في كل تصرفاته و اعماله، و لا- يتركها لأن فلانا قال كذا، أو أن السابقين عملوا هكذا.

و القرآن الحكيم يأمرنا بهذا في الآيه الأولى، أما في الآيه الثانيه فإنه يوجهنا الى موضوع دقيق، فيقول: ان على الإنسان الا يضع لنفسه برنامجا طويل المدى دون ان يحسب حساب متطورات الزمان في برنامجه، فالله سبحانه لا يأمر بشيء جامد، و انما يأمر باتباع القيم التي تطبق في كل وقت بصوره معينه.

ليس لك ان تقول غدا سأعمل العمل الفلاني، لأنه قد يأتي الغد و تتطور



الأحداث فيه، و يكون الواجب عليك عملا- آخر يختلف عما عزمت عليه، فعليك ان ترتبط بالله و رسالته التي أنزلت عليك، و التي يفهمها عقلك ارتباطا وثيقا مباشرا، و لا- ترتبط بخطه معينه أو بتاريخ معين، أو بأفكار سابقه، أو بكتب مكتوبه، أو ببرامج جامده، و هذا هو منتهى (التقدميه) في القرآن ان صح التعبير.

أما ربط العمل بالمشيئه فله معنيان:

الأول: المعنى الظاهر و المعروف، و هو ان مواهبي و امكانياتي كإنسان، و امكانيات الطبيعه و فرص العمل، كلها متصله بإرادته الله سبحانه، فان له ان يوفقني غدا لعمل أو لا يوفقني، و هذا الاستثناء بالمشيئه هو المعنى المألوف.

و من هنا

يقول الإمام علي عليه السلام: «عرفت الله بفسخ العزائم و نقض الهمم» اي اني عزمت على شيء فجاء القضاء و فسخ عزمي، و هممت بشيء فجاء القدر و نقض همتي.

الثاني: ان الله إذا أمرني غدا بهذا العمل فسوف أعمله، و إذا نهاني فسوف اتركه، فعلمي و عدم عملي غدا مرتبط بما يأمر به الله غدا و ليس اليوم، فقد يكون أفضل عمل اليوم هو الصلاه و التعبد في المسجد، و لكن غدا قد يكون أفضل عمل هو الاشتراك في التظاهرات، و بعد غد أفضل عمل هو العمل المسلح، و بعده أفضل عمل ان اجلس على أريكه الحكم و ادير شؤون الناس، فعلي دائما ان أضع خططي حسب ما يأمر به الله و ليس حسب مشيئتي و رغبتى، و اجعل هواي باستمرار موافقا لما يريد الله سبحانه.

جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام فقال له الامام: «كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحت و الله و المرض خير لي من الصحه، و الفقر خير لي من الغنى، و الذل خير لي من العزه.. إلخ. فقال الامام: اما نحن فلسنا كذلك. قال: فكيف أنتم؟ قال:

ص: ٣٩٤

نحن إذا أحب الله ان يمرضنا، فالمرض أحب إلينا من الصحة، و إذا أحب ان يرزقنا الصحة فالصحة أحب، فالفقر أحب مع رضا الله و الغنى أحب مع رضا الله، و ان كان الذل فى سبيل الله فهو محبوب، و إذا كان العز فى سبيل الله فهو المحبوب. « هذه هى أهم صفه للمؤمن و هى: أن يكون راضيا برضا الله، و ان يعمل بما يأمر به الله و إذا وصلت الى هذه الدرجة فأحمد الله أنك قد بلغت مستوى رفيعا من الايمان، و الافاسع للوصول الى هذا المستوى.

و لا بأس أن أضع برنامج للمستقبل، و لكن على شرط أن أستثنى فيه و أقول:

إنشاء الله، بحيث إذا تغيرت الظروف و تغير امر الله بالنسبه لهذا البرنامج، فانى سوف أغيره تبعا لذلك التغيير.

فى بعض الأوقات يدخل الإنسان الى حزب باعتباره وسيلته الى الله سبحانه، و لكن شيئا فشيئا يتحول الحزب الى اله يعبد من دون الله، و فى اخرى يتبع الإنسان أحدا على أساس انه رجل مؤمن عالم، و يجعله سببا بينه و بين الله يتغنى بذلك مرضاه ربه، و لكن شيئا فشيئا يتحول هذا الرجل الى صنم يعبد من دون الله، و كذلك فى بعض الأوقات يضع الإنسان لنفسه برنامجا ليطبقه امثالاً لأمر الله، و لكن شيئا فشيئا يتحول البرنامج فى حياته الى برنامج ضلاله و جبت.

حينما تتبع أحدا و ظن نفسك على أن تتبعه من أجل الله، و كذلك حينما تنمى الى جماعه فاجعل انتماءك الى الله أقوى من انتمائك إليهم، و اطلب دائما من الله ان يرشدك الى أتباع العالم الأفضل، و البرنامج الأكمل، و الجماعه الأكثر ايمانا و تقوى، و كن دائما أمام زمانك، و لا تسمح لنفسك أن تصبح قطعه متحفية مرتبطه بالتاريخ، أو حتى بما قبل التاريخ.

[٢٥] وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ اذْدَادُوا تَسْعًا كيف لبثوا هذه المده؟ و بايه حاله و بتدبير ايه قوه؟ [٢٦] قُلِ اللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لا تبحت حول هذا الموضوع، فالله اعلم كيف و متى و اتى لبثوا! لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ اَبْصَرُ بِهِ وَ اَسْمِعُ ابْصُرْ و اسمع و ما أشبهه صيغ لغويه تفيد المبالغه و التعجب، اى أعظم الله بما يراه بصرك أو تسمعه أذنك إذ كل شىء تراه أو تسمعه فهو ايه لله سبحانه.

مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ليس لله شركاء من آلهه الثقافه و الحكم أو كهنه المعابد، انه الواحد الأحد و لا يشرك في حكمه أحدا، لذلك على الإنسان ان يتصل مباشرة بالله سبحانه، و لا يجعل بينه و بين الله واسطه الا إذا امر الله بها و فى حدود ذلك لا أكثر.

ص: ٣٩٦

إشارة

وَ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (٢٨) وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَ إِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهَيْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِذَا لَا نُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الْكُؤُوبُ وَ حَسَنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)

اللغة

٢٧[ملتحدًا]: ملجأ تعدل إليه.

٢٨[لا تعد]: من عدى يعدو بمعنى تجاوز.

[فرطًا]: سرفا و افراط.

٢٩[سرادقها]: السرادق هو الفسطاق المحيط بما فيه- و يقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاق- و شبه به لهب النار لأنه مخروطي الشكل يحيط بما حوله.

ص: ٣٩٧

[كالمهل]: كل شيء أذيب كالنحاس و الرصاص...

[مرتفقا]: متكأ، أو مقرا.

٣١ [الأرائك]: جمع أريكه و هي السرير.

ص: ٣٩٨

### من الإطار العام:

إن من مظاهر اعجاز القرآن الحكيم، ان آياته الكريمة تتبع عدده خطوط متوازيه و متناسبه، تتطافر على توجيه فكر الإنسان الى قضيه جوهرية معينه. فالسوره الواحده من القرآن تتحدث عن عدده أمور تبدو متباعده، و لكنها آخر الأمر تصل الى هدف واحد، أو عدده أهداف محدده و مترابطه.

و فى سوره الكهف، و كما اكدنا على ذلك فى بدايتها، نجد ان الموضوع الرئيسى فيها هو علاقه الإنسان بالحياه الدنيا، و موقفه من زينه الأرض و متاع الغرور و هى أشياء زائله، إذ أن يد القدره المطلقه و هى يد الله سوف تمسح زينه الحياه، و تدع الأرض صعيدا جززا فى لحظه واحد.

و لذلك فأن على الإنسان الا- يربط علاقه بهذه الزينه ربطا متينا، بل تكون العلاقه المتينه مع الله رب هذه الحياه و رب هذه الأرض، و تكون علاقه بزينه الحياه علاقه فوقيه يملكها دون ان تملكه.

فى قصه أصحاب الكهف كانت العبره الرئيسيه هى: إقلاع هؤلاء من ارض الزينه، و تحليقهم فى سماء القيم، و قدرتهم على تجاوز ضغط السلطه الطاغيه، و القرآن يحدثنا عن صورته اخرى متقابله و معاكسه لصوره أصحاب الكهف، و هى صورته ذلك الرجل الذى اخلد الى الأرض و اتبع هواه، و تملكته زينه السلطه، و لم تنفعه نصيحه صاحبه.

### هدى من الآيات:

لقد كان أصحاب الكهف مثلا لفرار البشر من جاذبيه الماده و زينه الحياه الدنيا. و السؤال كيف نصبح أمثالهم، الجواب بما يلي:  
أولا: العمل بالضمانات الوقائيه التى تخلص الإنسان من ضغوط زينه الحياه، و كيف يمكن للإنسان ان يسور نفسه بقلاع تحفظه و تمنعه من تلك الضغوط.

و أولها: تلاوه القرآن و الارتباط المباشر بآياته الكريمه، تلك الآيات التى لا تتبدل بالرغم من تبدل الحياه و تطورها، و هذا هو المهم، إذ حينما تتعلق بزينه الحياه فأنتك سوف تتعلق بشيء يزول و لا- يبقى، انه جبل ينقطع و جدار ينقض إذا، لا بد أن تتعلق بجبل متين و تعتمد على جدار راسخ، و هو كتاب الله.

ثانيا: ان يكون انتماءك الى التجمع الايماني، و حينما تنتمى الى مثل هذا التجمع و تختار الأفراد على أساس القيم الرساليه، فسوف تحصن نفسك بسور آخر من أسوار حمايه ضد ضغط الزينه.

ثالثا: التحدى و الاستعداد للصراع، و هذا يعنى استعداد الإنسان للصراع مع العدو و مواجهته، و هو سور آخر يحتمى به الإنسان من مغريات زينه الحياه و متاعها الزائل.

بعد أن يبين السياق هذه الأسوار الثلاثة، يؤكد على بعض القيم المساعدة على توجيه الإنسان في هذا الاتجاه، و يبين: ان كل عمل يعمله الإنسان يحفظ له سواء كان صغيرا أو كبيرا، و سواء كان الإنسان منتما الى الأيمان انتماء راسخا أو لم يكن كذلك.

ان العمل لا- يضع عند الله في أى شكل كان، و بأى صورته ظهر، و الله يعوض الإنسان عن زينه الحياه الدنيا بالزينه الباقيه فى الحياه الآخره، تلك الحياه التى هى الحيوان عند الله المقتدر العزيز.

## بينات من الآيات:

### بين الثواب و المتغيرات:

[٢٧] وَ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ الْقُرْآنَ مَصْبُوحًا وَ نُورًا، و على الإنسان ان يتلوه و ان يتبصر و يتعقل، و بالتالى فلا يمكن الاكتفاء بالنور عن الرؤيه، لأن الإنسان الذى يغمض عينيه سوف لن يرى شيئا، حتى و لو كانت الشمس فى كبد السماء.

و ربما يكون المقصود بالتلاوه هو التدرج، و أن يبحث الإنسان عن الشىء دفعه دفعه، و فكره فكره، و هذه قاعده منطقيه معروفه اليوم و هى: إذا أردت أن تعرف شيئا فقسمه الى أجزاء صغيره، حتى تستطيع ان تسيطر عليه و تفهمه.

لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هَذَا يبين لنا أن هناك خطا ثابتا فى الحياه و خطا آخر متطورا، و الخط الثابت هو كلمات الله، و هو الذى يجب ان يتعلق به الإنسان، اما الخط المتغير فهو زينه الحياه



الدنيا،الذى يجب ان يسيطر عليه الإنسان.

وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى شَيْءٍ فَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ تَعْتَمِدَ عَلَيْهِ وَتَلْتَجِئَ إِلَيْهِ،فكل شىء ينهار،و لكن توكلك على الله سبحانه و تعالى سوف يبقى،و هذا هو السور الذى يحمى كيانك.

### الانتماء،شروطه و مقوماته:

و بعد أن تهيأ نفسك فى البدايه،و تنتهى من تكوين شخصيتك،فأن عليك ان تبحث عن رفاق المسيره.

[٢٨] وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ حِينَما تريد ان تنتمى الى جماعه فأن هناك عقبات فى طريق انتمائك و يجب ان تتجاوز هذه العقبات و ان تصبر نفسك عليها،فلكل انتماء ضريبه و عليك ان تدفعها و السؤال:من الذين تنتمى إليهم؟ أنتم العابدون لله ليلا و نهارا،و لكن الانتماء الى خطهم صعب و بحاجه الى صبر:

«وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» ابحث عن هؤلاء و أنتم إليهم،و تتجاوز العقبات،و وضح من أجل انتمائك إليهم، و لا تبحث حينها عن فوائد و مصالح خاصه،بل وطن نفسك على العطاء،و ان حسن

الانتماء ليس فى أن تحمّل افراد التجمع مؤنتك بل فى ان تحمل معهم اعباءهم، لذلك أكد القرآن هنا على كلمه الصبر.

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَدْ يَتَأَثَرُ الْإِنْسَانُ بِاهْتِرَازِ فِى رُؤْيَتِهِ إِلَى الْآخِرِينَ، و الى التجمع الذى يجب ان يتعلق به و يتفاعل معه، و ذلك الاهتزاز يأتى نتيجة ضغوط زينه الحياه الدنيا، قد يرى الإنسان مؤمنا عجوزا أعمى ان دفعه دفعه يسيره سقط و مات، يرى الى جانبه ذلك الكافر و لكن البطل القرشى ذا المال و النسب، فيعدّ هذا أحسن من ذلك، و يكون شأنه كشأن ذلك الرجل المسلم من أصحاب رسول الله مع ابن (أم كلثوم)، حيث اعرض عنه برغم ايمانه لأنه أعمى و فقير، و اقبل على من يمتلكون زينه الحياه و يفتقرون الى زينه القلوب (التقوى). فجاءت الآيات من سوره عبس تنذره و توعده.

اجعل نظرك معلقا على هؤلاء المؤمنين و اهتمامك موجها إليهم، و لا تسمح بتسرب الإزدواجيه فى الولاء الى نفسك، فتريد ان تنتمى الى جماعه رساليه، و فى نفس الوقت تنتمى الى أصحاب الحياه و الثروه، حتى إذا ما أحرز هؤلاء تقدما كنت معهم، و إذا حصل أولئك على مكاسب انثيت إليهم، ليكن ولاؤك خالصا و لا تكن انتهازيا!!

### من صفات القائد:

وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا هَذَا التجمع بحاجه الى قياده، فمن هو القائد؟ و ما هى صفاته؟ القرآن يقول: ان أهم صفه للقائد هى الروح الإيمانيه المتصله بذكر الله، فلا

تطع ذلك القائد الذى لا يتبع مناهج الله، وقلبه فارغ من التقوى، بالرغم من ان اعماله قد تكون فى طريق التقوى، كأن يصلى و يصوم أو يبنى مسجدا و ما شابه، إلا ان قلبه فارغ من ذكر الله. كلا إذ كل يعمل على شاكلته، (أى على نيته) و نيه الإنسان هى التى تصيغ حياته، و هدف الإنسان هو الذى يحدد مسيرته، فكثيرون بينون المساجد و المدارس و ينفذون المشاريع الخيرية.. إلخ، و لكن بعد أن يصلوا الى دفة الحكم يتخذون مال الله دولا- و عباده خولا-!! فهل يجوز أن نتبع مثل هؤلاء؟ القرآن يقول: كلا.. و يعطينا مقياسا نميّز به من يصح اتباعهم، و ذلك المقياس هو القلب، فأن وجدت قلب إنسان مضاء بذكر الله فلك ان تتبعه، و الا فلا يعزك مظهره.

وَ اتَّبِعْ هَوَاهُ وَ كَانَتْ أَمْرُهُ فُرُطًا إِذَا أُرِدَتْ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْإِنْسَانَ يَتَّبِعْ هَوَاهُ، أو يتبع الرساله، فأنظر الى تصرفاته، فالذى يتبع الرساله تكون تصرفاته و سلوكياته ثابتة مستقيمه، و تستوحى هداها من برامج الله القويمه. اما تصرفات ذلك الذى يتبع هواه فهى تتغير حسب الهوى، و يكون امره فرطا اى غير منظم، و هذا هو السور الثانى. و الخط الثانى للدفاع ضد غرور الشهوات.

و أما السور الثالث فهو:

[٢٩] وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ حِينَمَا تَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَ تَسْتَلْهِمُ مِنْهُ، و تنتمى الى التجمع الرسالى، آنذ تحدّ المستكبرين و ادخل معهم فى المواجهه و الصراع، و لكن كيف يمكن تطبيق هذه الآيه

ص: ٤٠٤

و الدنيا تمتلئ بالقوى الجاهليه؟ الله يقول:

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا سَرَادِقُ النَّارِ فِي جَهَنَّمَ أَشْبَهَ بِالْمَعْتَقَلَاتِ الَّتِي تَحِيطُ بِهَا أُسُورًا عَدِيدَةً، بِحَيْثُ يَسْتَحِيلُ عَلَى الْمَعْتَقَلِينَ أَنْ يَتَخَطَوْهَا وَيَفْلُتُوا مِنْهَا، وَدَرَكَاتِ جَهَنَّمَ مُحِيطَةٌ بِأَهْلِهَا وَ مَغْلَقَةٌ عَلَيْهِمْ، فَأَيْنَ الْمَفْرَقُ؟ وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهَيْلِ يَشْوَى الْوُجُوهَ أَنْ أَهَمَّ شَيْءٌ يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ الْمَلْتَهَبُ بِالنَّارِ هُوَ الْمَاءُ، وَ لَكِنَّهُ عِنْدَ مَا يَطْلُبُ الْمَاءَ فَأَنَّهُ يُؤْتَى بِهِ شَدِيدَ السَّخُونَةِ كَالرِّصَاصِ الْمَذَابِ يَشْوَى الْوُجُوهَ.

و الإنسان حينما يشرب شيئاً ساخناً يحترق فمه و جوفه، و لكن المهمل لشده حرارته فإنه يشوى جلد وجه الإنسان قبل ان يشرع في شربه، فماذا يمكن ان يحصل للبطن و الأمعاء عند ما يستقر بها ذلك السائل الحارق؟ بئس الشراب و ساءت مرفقا ليست جيده تلك الضيافه التي يضيّف الله بها عباده الظالمين، في نار جهنم التي «ساءت مرتفقا»، و لكن الله ذكرهم فأرسل إليهم الرسل مبشرين و منذرين، و انزل القرآن فلم يستمعوا له و لم ينصاعوا للحق، و اختاروا لأنفسهم هذا المصير الأسود.

[٣٠] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا

ص: ٤٠٥

و فى المقابل لا يضيع الله أجر المحسنين، و انظروا الى التعبير القرآنى حيث يقول:

﴿إِذَا لَمْ يَنْضَبِجْ أَجْرٌ مِّنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ و لم يقل انا لا- نضيع أجرهم و لعل معناه ان الأجر لا- يضيع أنى كان و من أى إنسان كان، فالعمل الصالح إذا كان منك ايها المؤمن فأن الله لا يضيعه، فأما ان يعطيك جزاءه فى الدنيا و اما فى الآخرة، و كذلك إذا كان من الكافر. فسوف لا يضيعه الله أيضا، فأما يعطيه جزاءه فى الدنيا أو يخفف عذابه فى الآخرة.

و لقد قلنا سابقا: ان العمل الصالح تسبقه النية الصالحة، حيث ان النية الصالحة هى التى تعطى للعمل صبغه الصالح، و بدونها يفقد العمل هذه الصبغة مهما كان ظاهره سليما و صالحا.

[٣١] أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ اى جنات باقيه دائمه بعكس الدنيا التى تزول.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ بعكس ذلك الشراب الذى يشوى الوجوه.

يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ تماما بعكس تلك الضيافة السيئه.

وَ يَلْبَسُونَ لِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ السندس و الإستبرق أنواع من الأقمشه الحريره الفاخره.

مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ

اي هم فى راحه و هدوء لا يجدون ما يجده الإنسان فى الحياه من تعب و نصب، و لا يحملون هموم العمل و الاستزاق.

نَعْمَ الثَّوَابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقًا

جاء فى حديث عن الأمام على عليه السلام يذكر فيه بدعائم الأيمان يقول: «من تذكر الجنة سلا عن الشهوات.» فإذا رأيت قصرا لظالم بناه بهدم بيوت الآخرين، فلا تسمح للشيطان ان يدفعك الى أنت تظلم الناس و تبني قصرا مثله، و لكن قل إنشاء الله جعل لى قصرا فى الجنة أفضل منه.

و إذا حدثتك النفس الأماره باللجوء الى الكسل، و الراحة، و ترك الأعمال و الواجبات المطلوبه منك، فتحامل على نفسك و قل: إنشاء الله ارتاح على آرائك و ثيره فى الجنة.

و إذا لمست رغبه عندك فى أن تتمحور حول أصحاب الجاه و الشروه، فأسبق الزمن بمخيلتك، و انظر الى نفسك و أنت فى الجنة بجوار الأنبياء و الأئمه و المؤمنين الصالحين، الذين هم أمراء الآخره و ملوكها و جهائؤها، و بين الإنسان و الجنة خطوه واحده لا- أكثر و هى الموت، و بين غمضه عين و انتباهتها تجد نفسك انتقلت من الدنيا الى الآخره. اذن ليفكر الإنسان بالحياه الآخرويه القادمه، و يتسلى عن الشهوات، و بمجرد ان يفكر الإنسان بالموت و القبر و الحساب، فأن نفسه تنصرف تلقائيا عن الشهوات،

قال رسول الله صلى الله عليه و آله : «اذكروا هادم اللذات» أى الموت، فلنكن معا من الذاكرين.

ص: ٤٠٧

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَ لَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفْرًا (٣٤) وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هِيَ أَلَلَّهُ رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَ لَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَ وَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)

٤٠]حسباناً]:عذاباً كالصواعق والآفات.

[زلزلاً]:الأرض الملساء والمستويه التي لا نبات فيها.

٤١]غوراً]:غائراً ذاهباً فى باطن الأرض.

ص:٤٠٩



هدى من الآيات:

سبق و ان تحدثنا عن الإطار العام لسوره الكهف، و الذى يبين لنا نوعين من العلاقة بين الإنسان و الطبيعه هما:

أولاً:علاقه السيطره و التسخير للطبيعه.

ثانياً:علاقه الانبهار بما فيها من زينه.

و فى هذه المجموعه من الآيات يضرب القرآن مثلاً من تلك العلاقة التى تربط الكفار بالدنيا، فيعتمدون عليها و يحسبون انها خالده لهم، و لكنها لا تلبث أن تنتهى، و إذ ذاك يكتشفون ان العلاقة الصحيحه ينبغى ان تكون بينهم و بين ربهم، و ان الولايه الحق هي لله لا للمال و الثروه، و لا للجاه و السلطه.

ص: ٤١٠

بَيْنَ الشُّكْرِ وَالْكَفْرِ:

[٣٢] رجل أعطاه الله جنتين، و توفرت له كل أسباب الزينه فبطر بها، و بدل أن يشكر ربه اغتر بما أعطاه من ثروه و نعمه، و بدل أن يعتز بمن أعطاه هذه النعمه، اعتز بالنعمه ذاتها، في حين ان من اعطى النعمه خالد دائم و النعمه منقطعه زائله، و هو أولى بالشكر و العباده منها.

و حينما جادله صاحبه في هذا الأمر جدالاً حسناً، و حاول ان يذكره و ان ينذره و يحذره من عاقبه بطره و غروره، أخذته العزه بالإثم، فكان مصيره ان خسرت جنتيه و لم تبق له الا- أرضا جرداء خاويه على عروشها، قد غار ماؤها و احترق زرعها و أصبحت صعيداً جرزاً.

و هكذا فقد استولت على الرجل كآبه فجرت قلبه، و ندم ندماً شديداً على اغتراره بالنعمه، و اعتزازه بالولد و العشيره الذين لم ينفعوه شيئاً في محنته.

اما ذلك الرجل الفقير بماله و عشيرته، و الغنى بإيمانه بربه و توكله عليه، فقد أخذ يردد هناك: هنا لك الولايه لله الحق.

و في حديثه عن الجنتين، و عن علاقته ذلك المشرك بهما، يبين لنا القرآن بعض ضروب و عوامل الغنى التي وفرها لنفسه و لكنها لم تغنه عن الله شيئاً، فأصبح يقلب كفيه و ليس فيهما الا الحسره.

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ۖ اُولَآئِكَ يَجْسِدُ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ الْإِيمَانَ الْمَتَسَامِي عَنِ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَيْنَمَا يَسْتَبِدُّ

بالآخر حب الدنيا، و يشغله متاعها الزائل.

ثانياً: امتلاك الرجل لأكثر من جنة، يشير الى بعض الأساليب الاقتصادية التي يلجأ إليها الرأسماليون لضمان تدفق الأرباح عليهم، فإذا خسرت جنة هنا فإن الجنة الأخرى و التي تكون في مكان آخر ستعوّض النقص و تعادل الميزانية.

مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمْ بِبُنْحَلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً وَ هَذِهِ طَرِيقُهُ يَلْجَأُ إِلَيْهَا الْمَزَارِعُونَ، فيحيطون بساتينهم بأشجار مقاومه للرياح و الأعاصير كالنخيل، و يزرعون الأعناب في الوسط، و الأرض المتبقية بين هذه و تلك يزرعونها بالخضراوات المختلفة.

[٣٣] كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا أَكْلُهُمَا شَاءَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ ان يملئ لذاك الرجل فأفاض عليه الخير فيضا، و أذن للجنيتين ان تدرأ المحاصيل الوفيره، و هكذا إذا أراد الله بعبد سوء لسوء نيته فإنه يوسع عليه النعم في بعض الأحيان، ليستدرجه و يبتلى ما في داخل نفسه من سوء و فساد.

وَ لَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئاً وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا لَقَدْ اعطى الله لذلك الإنسان تلك الجنان، فأعطت صاحبها كل ما يتأمله منها من ثمار طيبه، و لم تظلمه و لكنه ظلم نفسه، فواجه إحسان الخالق اليه بالإساءة الى نفسه، عبر غروره و استكباره، و اعراضه عن شكر ربه المنعم المتفضل.

### درکات الهبوط:

[٣٤] وَ كَانَ لَهُ تَمَرٌ الْمَلَائِكَةُ وَ الْفَلَاحُونَ وَ مِنْ لَهُمْ ارْتِبَاطٌ بِالْأَرْضِ وَ الزَّرْعَاءُ، يعلمون ان لحظه الحصاد

لحظه سعيده فى حياتهم، تبعث فى أنفسهم الغرور، لأنهم بعد صبر و انتظار طويل يرون الثمار و هى و فيره و زاهيه، فيختالون و كأنها ثمره جهدهم، و ينسون ان الله هو الذى زرعها و أينعها فى هذه اللحظه.

فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مَالًا - وَ أَعَزُّ نَفَرًا أَخَذَ يَتَعَالَى عَلَى الْآخِرِينَ، اعتمادا على أشياء و قتيه زائله، و ليس فى الآيات دلالة على أن هذا الرجل كان له أنصار، و لعل غروره دفعه الى الاعتقاد بأنه ما دام يملك شيئا من المال فكأنه يملك الناس أيضا، لذلك قال:- «وَ أَعَزُّ نَفَرًا» .

[٣٥] وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ان ظلمه لنفسه هو فى اغتراره بزينه الدنيا الذى جره للتعالى على الآخرين، و اعتقاده انه ما دام يملك المال فهو يملك الرجال.

فَقَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَيَّدًا هَذِهِ هِيَ الْعَلاَقه الخاطئه بين الإنسان و الطبيعه، و هى علاقه الاعتماد عليها و الركون إليها و كأن الطبيعه خالده له.

[٣٦] وَ مَا أَظُنُّ الشَّاعَةَ قَائِمَةً فى البدايه اغتر بنفسه و قال: أَنَا أَكْثَرُ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفَرًا، ثم ظلم نفسه باعتقاده أن الجنه خالده له، ثم أنكر المعاد، و وصل الى نهايه دركات الهبوط حينما اعتقد بأن الله، و الدين، و الرساله، و كل القيم انما هى فى جيبه.

ان الإنسان يظل صالحا للهدايه ما بقيت فى نفسه جذوه الأيمان، و ما دام يعتقد ان عمله قد يكون خاطئا و لا يرضى الله عنه، أما حينما يعتقد بأن الله و الدين تابعان

له، و يأخذ يبرر اعماله ببعض الأفكار الخاطئه، فأنشد لا- تترجى له الهدايه، فإنه يتحول من إنسان الى ما هو أخط من الحيوان. و ذلك حين يقول:

وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا اعتقد صاحب الجنتين انه ما دام الله قد أعطاه تلك الجنة و فيهما نخل و أعناب و زرع، و أفاض عليه الخير في الدنيا، اذن ففي الآخره سوف يعطيه أكثر، و ذلك استنادا الى معادله خاطئه و هي: ان العطاء في الدنيا دليل رشاد و هدايه و في هذه بالضبط هلاك الإنسان و خسارته الأكيده، إذ ان بسط الله للرزق و تقديره له، انما هو لامتحان العباد و ليس للتكريم أو الإهانه.

### كيف نجبر ضعف الذات؟

[٣٧] قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا هل وصل بك الحال أن تكفر بالله؟ و أنت تعلم علم اليقين كيف انه خلقك أطوارا فقدرك، و انك لا تستطيع ان تعتمد على نفسك و قدراتك، فكيف تعتمد على الجنه الخارجيه التي هي نتيجة قدراتك و مكسب طاقاتك؟ لقد كنت ترابا، ثم أصبحت نطفه، ثم استويت رجلا، اى انك كائن تطرأ عليه التغيرات و لست على حال ثابتة، و أنت معرض لكل الاحتمالات و الأخطار، فممتلك ينبغي ان يعتمد على ركن ثابت شديد لا يطرأ عليه التغير، و لا تجوز عليه الاحتمالات و هو الله، لا أن تعتمد على أشياء متحوله و متغيره كذاتك، لا تغنى عنك شيئا إذا هجمت عليك نوائب الزمان.

ان القرآن يعالج طبيعه الإنسان بعمق، لأن منزل القرآن هو الله الذى خلق هذا

الإنسان، و الخوف متوغل في اعماق الإنسان الذي يرى ان كل شىء في الكون و الحياه، و حتى ذاته في تغيّر مستمر و حركه دائبه، و لا شىء يثبت على حاله، فهو في قلق مما سيحدث له في المستقبل، لذلك يحاول ان يعتمد على شىء يطمئن اليه، و لكن بدل ان يدفعه هذا الخوف الى الاعتماد على الله و التوكل عليه، و المزيد من الالتصاق بمناهجه، فإنه كثيرا ما يلجأ الى الاستناد الى متاع الحياه الزائل، و التكاثر في الأموال، و لذلك ينبه القرآن الإنسان انه عند ما يخاف من تغيرات الحياه و تقلبات الزمان فان هذا شعور سليم، و لكن عليه الا يوجه هذا الشعور نحو المال لأنه يزول، بل يوجهه نحو الاعتماد على شىء يبقى.

[٣٨] لِكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي أَي اننى لا أزال على دينى.

ان كثيرا من الفقراء و المحرومين حينما يجدون امامهم أغنياء يركعون لهم، و يخضعون لسلطان ثرواتهم، و بذلك يدفعونهم الى مزيد من الاستغلال و الاستكبار، و القرآن يرفض ذلك عبر هذه القصة و كأنه يقول: ايها الفقراء عليكم ان تعتزوا بأيمانكم بالله، لأنه هو القادر على أن يغنيكم كما اغنى هؤلاء.

وَ لَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا و يبدو ان السياق هنا يسمى الخضوع للغنى شركا و اتخاذا لإله غير الله.

[٣٩] وَ لَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ فِي البدايه اتخذ الفقير موقف الدفاع، و حصّن نفسه من الخضوع للغنى، و لكنه الآن أخذ زمان المبادره محاولا إصلاح الغنى، و هذا هو الدور المطلوب من الفقراء، فقال له: لا بد ان تدرك ان ما حدث انما كان بمشيئه الله و اذنه، و حسب قضائه

و قدره، لا حسب أرادتك و علمك. فلما ذا لا تقول:

لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ ثُمَّ إِنَّكَ الْآنَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ، وَ هَكَذَا فَانِ الْخَيْرِ الَّذِي حَصَلَتْ عَلَيْهِ سَابِقًا كَانَ مِنَ اللَّهِ، وَ الْخَيْرِ الَّذِي تَأْمَلُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ هُوَ أَيْضًا مِنَ اللَّهِ، وَ هَذَا هُوَ الْإِطَارُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَتَعَامَلَ بِهِ مَعَ الطَّبِيعَةِ وَ الثَّرْوَةِ وَ الْغِنَى.

إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَ وَلَدًا أَنْ غُرُورِكَ وَ اسْتِعْلَاءِكَ قَدْ يَدْفَعُكَ إِلَى خَسَارِهِ كُلِّ شَيْءٍ، وَ أَنْذَاكَ سَأَكُونُ أَنَا الَّذِي تَنْظُرُ إِلَيَّ بِاحْتِقَارٍ أَفْضَلَ حَالًا مِنْكَ، لِأَنَّ الْقِنَاعَةَ كَنْزٌ لَا يَفْنَى.

ثم انى آمل فضل الله بشكرى، و أنت تعرض نفسك لسخط الله بكفرك.

[٤٠] فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُشِبًا ۗ إِنَّا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَيْحِدًا زَلْفًا هَذَا هُوَ الْفَرْقُ، فَالْفَقِيرُ كَانَ يَتَمَسَّكَ بِأَهْدَابِ الْأَمَلِ وَ يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ، بَيْنَمَا الْغَنَى كَانَ يَعْتَرِ بِالْغُرُورِ، وَ هَذِهِ عِبْرَةٌ كَبِيرَةٌ لَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ: فَفِي أَيِّ لِحْظَةٍ مِنْ لِحْظَاتِ حَيَاتِكَ سِوَاكَ كُنْتَ غَنِيًّا أَمْ فَقِيرًا— أَنْظِرْ نَظْرَهُ بَعِيدَهُ— فَالْغَنَى قَدْ يَتَحَوَّلُ فَقْرًا فَلَا تَبْطُرْ، وَ كَذَلِكَ الْفَقْرُ قَدْ يَكُونُ طَرِيقًا لِلْغَنَى فَلَا تَيَاسُ، هَذِهِ هِيَ تَعَالِيمُ الرِّسَالَةِ.

### العقاب الإلهي:

يقول المفسرون: ان كلمة الحساب تدل على الرمايه المحسوبه التى يقوم بها الرماه فى وقت واحد و الكلمه مأخوذه من لفظه الحساب، ثم اختلفوا: هل الحساب عذاب من السماء، أم سيل فى الأرض، أم زلزال، أم ماذا؟

و أتصور ان الحسيان هو العذاب المحسوب و المخطط له، و في هذه الحالة بالذات كان سيلا، و قد يعنى ذلك ان الكلمه تدل على سيل من السماء حول الجنتين.

صعيدا زلقا: اى أرضا جرداء غير قابله للزراعه مره اخرى.

[٤١] أَوْ يُضَيِّحَ مَأْوَهُمَا غَوْرًا فَلَنْ تَشِيَتْطِيعَ لَهُ طَلْبًا أَى يتسرب ماء النهر الذى يروى المزروعات الى باطن الأرض، بحيث لا يمكن الوصول اليه و الاستفاده منه.

ماذا حدث بعد ذلك تفصيلا لا نعلمه، و ما نعرفه ان هذا الرجل جاء الى باب بستانه فإذا بثمره الذى اغتر به، و الذى كان حصيله جهود مكثفه طوال سنين قد احيط به.

[٤٢] وَ أَحِيطَ بِثَمْرِهِ أَى جاء عذاب و أصاب الثمار و أتلّفها، ثم دَمَّرَ كل النباتات و الأشياء الموجوده.

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَيَّ مَا أَنْفَقَ فِيهَا مِنْ عَمْرٍ و من مال..

وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَيَّ عُرُوشِهَا اى تهاوى بناؤها و وقع على بعضه.

وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا

ص: ٤١٧



اي لم أشرك بربي شيئاً، فأركن للغنى، و اغتر بالثروه، و اعتقد بأن المال يضمن البقاء و الخلود. و القرآن يقول: «أحدا» و لا يقول: «شيئاً» ربما للإشارة الى ان الإنسان الذى يعبد الغنى و الثروه اليوم سيعبد من يملكها غداً، و هو بالتالى يسير فى خط الشرك.

□  
[٤٣] وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَعَلَّهُ كَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ عَصَبَةٌ يَعْتَقِدُ بِأَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَىٰ دَفْعِ عَذَابِ اللَّهِ عَنْهُ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا، إِنَّمَا كَانَ ضَمَّنَ مَجْمُوعَهُ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ نَسَمِيَهُمْ بِطَبَقَةِ الرَّأْسَمَالِيِّينَ وَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَ عِبَادَتَهُ لَمْ تَكُنْ لِلْمَالِ فَقَطْ، وَ إِنَّمَا لِتِلْكَ الطَّبَقَةِ أَيْضًا.

و لكننا رأينا ان تلك الطبقة تخلت عنه و تركته حينما جاءه عذاب الله، لأنهم يريدون المرء ما دام ثريا مثلهم، أما إذا أصيب بنكبه و أصبح فقيرا فلا شأن لهم به.

□ □  
وَ مَا كَانَ مُنْتَصِرًا وَ حَتَّىٰ لَوْ أَرَادُوا أَنْ يَنْصُرُوهُ فَأَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ.

□ □ □  
[٤٤] هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْبُدَ أَحَدًا، وَ تَعْتَمِدَ عَلَىٰ رَكْنٍ، فَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ وَلِيُّكَ وَ قَائِدُكَ وَ إِلَهْكَ فَأَعْبُدْهُ وَ اعْتَمِدْ عَلَيْهِ.

هُوَ خَيْرٌ تَوَابًا وَ خَيْرٌ عُقْبًا فَهُوَ الَّذِي يُعْطِيكَ الثَّوَابَ الْآنَ، وَ يُؤْمَلِكُ بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

اشاره

وَإِضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ لَبَاتٌ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَالِغَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمَّ نَغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَبًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)

اللغة

٤٥[هشيمًا]:الهشيم ما يكسر و يحطم من يابس النبات.

٤٩[مشفقين]:خائفين من وقوع مكروه.

هدى من الآيات:

ان سوره الكهف تبين العلاقه بين الإنسان و بين الدنيا و زينتها الزائله.

و قد ضربت لنا فى آيات سابقه مثلا فى قصه الرجلين اللذين كان لأحدهما جنتان من نخيل و أعناب و زروع،فاغتر بهما و اعتمد عليهما،و كانت عاقبه ان خسر الدنيا و الآخره.

و يلخص القرآن فى هذه الآيات العبره من هذه القصه،فيبين ان مثل الحياه الدنيا و ما فيها من زينته،كمثل الربيع الذى لا يلبث ان ينقضى،و انما لا تنقضى الباقيات الصالحات.

و يصور القرآن لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامه،حيث لا يستطيع الإنسان أن يمسك بيده شيئا الا ما قدّم من عمل،فان كان ما عمل صالحا،فهو خير ثوابا و خير

أملا، و إلا فجزاؤه جهنم و لا يظلم ربك أحدا. و هكذا يحدد لنا نظره (مسئوله) الى زينه الحياه و ان المراد من تطوراتها هو فتنه البشر و ابتلاؤه ليعلم مدى مسؤوليته.

و المثل الذى يضربه القرآن عن الحياه الدنيا و زينتها، مستوحى من دوره الربيع، حيث ينزل الماء من السماء فاذا بالنباتات المختلفه تخرج من الأرض، و تجعل الإنسان يزعم بأنها باقيه و دائمه، و إذا بأيام الربيع تنفضى و يأتى الصيف فتحرق الشمس اللاهبه كل تلك النباتات، و تحولها الى هشيم متفتت تذرؤه الرياح.

فما الذى يبقى بعد كل هذه الدوره؟ الشىء الوحيد الباقى هو قدره الله التى تغير و لا تتغير، تلك القدره التى كانت و لا تزال و لن تزول، و كما تتغير الطبيعه. بفعل تقدير الرب الحكيم. فان الدنيا كلها تنقلب فى كف القدره الإلهيه، و تعود كما بدأت، و تقوم الساعه و يسير الله الجبال على عظمتها، و تبرز الأرض بلا زينه و لا نتوءات. و يحشر الله الناس جميعا دون استثناء، و يقف الناس مصطفين امام رب العزه، و يقرر النداء الإلهى واقعهم الضعيف انهم عادوا كما خلقهم الله لا يملكون اى شىء. و ان هذه هى الساعه التى كفروا بها. و إذا بكتاب أعمالهم موضوع أمامهم يشفق منه المجرمون و يزعمون لأنفسهم الويل لأن الكتاب لم يغادر صغيره من أفعالهم و لا كبيره الا أحصاها.

هكذا تتجلى مسؤوليه البشر و التى هى الغايه من زينه الحياه الدنيا.

### بينات من الآيات:

### مثل الدنيا:

[٤٥] وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِكْمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

ص: ٤٢١

الماء أنزله الله، فبدل ان نعتمد نحن على الماء، و بنى حضارتنا و قيمنا الفكرية عليه كما فعل الفراعنه، ينبغي أن نعتمد على رب الماء و المهيمن عليه و على كل شىء و بنى حضاره الهيه ساميه.

فَاخْتَلَطَ بِهِ لَبِائُ الْأَرْضِ اى اختلطت نبات الأرض بعضه مع بعض بواسطة الماء، و الماء هو الذى جعل هذه النباتات التى كانت بذورا تحت التراب تنمو و تختلط بقدره الله، و الإنسان يرى و كأن النباتات قائمه بذاتها، و لا يعلم بأن قسما كبيرا منها يشكله الماء، الذى جاء من السماء، و سوف يغور فى الأرض أو يعود الى السماء ثانيه عن طريق التبخر. و هنا لون آخر من ألوان الغرور و هو: اعتقاد الإنسان بان هذه الاعشاب نباتات، بينما هى فى الواقع مياه قد تشكلت بهذا الشكل، و إذا ذهبت تلك المياه فان تلك الاعشاب تتحول الى هشيم تذروه الرياح، لا تقف على سوقها، و لا تثبت فى مكانها.

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ بعد ان كانت النباتات تبدو ثابتة مستقره و مختلطه، بعضها يدعم بعضها، تحولت الى هشيم متفتت تنقله الرياح من مكان الى مكان.

وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا و قدره الله هى التى تحرك هذه الدوره التى تشبه سائر دورات الحياه، و عند ما تنظر بمقياس تاريخى الى بعض الدورات التاريخيه، فانك ترى حضاره جاءت و نشأت و جرت عليها الأجيال، ثم اضمحلت و بادت و انتهت، و الشىء الوحيد الذى بقى لنا منها هو سنه الله و دلائل قدرته، و كلمه «كان» تدل على الماضى أو على

الاستمرار، فإذا دلت على الماضى فذلك يعنى ان الشىء الذى سبق كل هذه الحياه انما هو قدره الله، اذن فهى التى ستبقى لأنها كانت و لم تكن الحياه، و سوف تكون بعد ان تنتهى الحياه.

## الباقيات الصالحات:

[٤٦] الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لأنها أشياء تشبه تلك النباتات التى تختلط و تلتف ببعضها، و هى زينه يجب ان يستفيد الإنسان منها على هذا الأساس لا أكثر، اما إذا أراد ان يعتمد عليها اعتمادا كلياً فسوف يسقط.

و الورده الجميله الجذابه ذات العبق الطيب انما هى زينه، و لا يمكن ان تستند عليها لأنها تقع و لو فعلت ذلك فستقع معها.

و المال و البنون هكذا، فبقدر ما تتعب و تحصل على المال و تبني بيتاً تستفيد منه، أو تحصل على بنين يسر قلبك لمرآهم، و ترتاح نفسياً بهم، بهذا المقدار سائق لك، أما أن تغترّ بالمال و البنين فهذا خطأ كبير، لأن هذا المال ليس باق و حتى إذا بقى فأنت لا تبقى له، و البنون لا يبقون لك أو لا تبقى معهم، و ينتهى دورهم بانتهاء دور الزينه. فما الذى يبقى لك؟ عملك هو الذى يبقى. و ما تدخره لنفسك من الصالحات هو الذى يدوم، و هو الذى يشكل زينه الحياه الآخره.

و الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمْلاً فبدل أن تدخر جهدك فى الأموال و تكدّسها على بعضها ثم تذهب فى لحظه

واحد، أو تتعب نفسك و ترهقها من أجل الأولاد ثم فجأه يقلبون عليك ظهر المحن و يتركونك وحدك، بدل كل ذلك اعتمد على الله بالأعمال الصالحه.

ما هي الأعمال الصالحه؟ أن تجلس فى البيت و تذكر ربك و تسبحه؟ و تصلى الفرائض الخمس بنوافلها؟ أم تركى و تخمس؟ أم تجاهد؟ أم تبنى مصنعا و تعبد شارعاً من أجل الله و فى خير المجتمع؟ كل ذلك عند ما يكون خالصاً لوجه الله، فهو من الباقيات الصالحات، و هي تنقسم الى نوعين:

النوع الاول: ما يرى الإنسان جزاءه عليه فى الآخره فقط، و ان كان يعود بالفوائد المعنويه فى الدنيا كالصلاه، و التسبيح، و الذكر و غيرها.

النوع الثانى: ما يرى الإنسان جزاءه فى الدنيا أيضاً كما لو بنى حضارته، ذلك لأن الحضارات هي المكاسب البشريه الباقيه، فما تأكله و تشربه ليس حضاره، أما الذى تبنى فيه فهو جزء من الحضاره، و الذى تعرفه قد لا يكون من الحضاره، و لكن الذى تقوله أو تكتبه من العلوم فهو من المكاسب الحضاريه، و بتعبير آخر من المدخرات الحضاريه للمستقبل.

و الحضاره انما تبدأ، و تنمو، و تبقى عن طريق أولئك الذين يفكرون فى المستقبل فيدخرون الأعمال الصالحه للمستقبل، يعبدون الطرق، و يعمرّون المدن، و يبنون المصانع..و..التي تبقى.

و الامه التي تستهلك أكثر مما تنتج، و تهدم أكثر مما تبنى، و تفسد أكثر مما

تصلح،فانها لا حضاره لها و مصيرها الى الاندثار.

أما المجتمع الذى يعمل فيعطى لما يبقى أكثر مما يعطى لما يفنى،و ينتج أكثر مما يستهلك،و بالتالى يصلح أكثر مما يفسد،فانه مجتمع بينى الحضاره و يحميها.

و نظره القرآن للمستقبل تنقسم الى شقين:

نظره الى المستقبل فى الحياه الدنيا،و نظره الى المستقبل فى الآخره،و

الحديث الشريف يقول: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا،و اعمل لأخراك كأنك تموت غدا».مشيرا الى هذا المفهوم،و هو: ضروره العمل للمستقبل بشقيه الدنيوى و الأخرى.

و يشدد الإسلام على هذا الموضوع أكثر حينما

يقول رسول الله صلى الله عليه و آله : «إذا قامت الساعة و بيد أحدكم فسيل فليغرسها»،اى إذا كان بيدك شتله،و رأيت أشراط الساعة قد ظهرت و قامت القيامة،فلا تتوقف عن عملك،بل اغرس تلك الشتله،و ذلك تأكيده على ضروره العمل للمستقبل.

### صور من القيامة:

لكى تتعادل نظره الإنسان فلا- يغتر بالحياه الدنيا،لا- لكى تتعادل نظره الإنسان فلا يغتر بالحياه الدنيا لا بد أن يذكر بالآخره.و بمدى حاجته هنا لك للباقيات الصالحات.و هكذا يذكرنا الرب هنا بذلك اليوم الرهيب.بلى ذلك اليوم الذى تعود الدنيا كما بدأت و تنتهى هذه الدور الحياتيه على الأرض التى تشبه دوره الربيع.

الم يقل ربنا «مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» بلى ذلك كان المثل و هذه هى الحقيقه،و ان قدره الله التى قلبت الطبيعه عبر فصول العام هى التى تقلبها عبر دوره الوجود.

و لو نظرنا الى الوجود من خلال هذه البصيره القرآنيه إذا لهانت زينه الدنيا فى



أعيننا، و لتحملنا مسئوليتنا، و أخذنا من هذا المعبر السريع لذلك المنزل الباقي، أليس كذلك؟ دعنا نعيش لحظات في عمق المستقبل الحق. في يوم النشور الرهيب.

و ينتقل بنا السياق ليصور لنا مشهدا من مشاهد القيامة، حيث تنتهي جاذبيه الأرض - كما يبدو لي - و تصبح كالعهن المنفوش و تثبت بنا و تسير تسيرا. يقول تعالى:

[٤٧] وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ عَلَى عِظْمَتِهَا وَ ضَخَامَتِهَا تَتَحَرَّكُ، وَ إِذَا تَحَرَّكَ الْجِبَالُ وَ لَمْ تَثْبُتْ فِي مَكَانِهَا فَهَلْ أَسْتَطِيعُ أَنَا أَنْ أَثْبِتَ فِي مَكَانِي؟ كَلَّا.. كذلك زينه الحياه الدنيا، فلا يمكنك أن تعتمد على شيء و تركز إليه، لان هذا الشيء غير ثابت للأبد.

وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً لَا شَيْءَ يَسْتَقِرُّ عَلَى الْأَرْضِ، لَا بِنَاءٍ وَ لَا شَجَرٍ وَ لَا تَلَالٍ، فَتَصْبِحُ بَارِزَةً.

وَ حَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا فَلَا يَنْسَى اللَّهُ أَحَدًا لَان قَبْرَهُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ، أَوْ لِأَنَّهُ مَاتَ مِنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْجَلْ اسْمَهُ فِي الْقَائِمَةِ، لَا شَيْءَ مِنْ ذَلِكَ أَبَدًا، فَكُلُّ النَّاسِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ يَقْفُونَ عَلَى أَرْضِ الْمُحْشَرِ الَّتِي تَكُونُ بَارِزَةً، مَكْشُوفِينَ لَا شَيْءَ يَسْتُرُهُمْ.

[٤٨] وَ عُرِضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا

ثم تأتي مرحلة الاصطفاف بين يدي الله عز و جل، في صفوف لا يعلم مداها، الا الله حيث يتواجد آنذاك كل الناس الذين خلقهم الله منذ ملايين السنين و الى يوم القيامة.

لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَيْنَ الْأَمْوَالُ؟ و أَيْنَ الْبَنُونَ و العشيره؟ و أَيْنَ الْأَلْقَابُ و المناصب؟ لا شيء بقي من ذلك اليوم.

بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا كُنْتُمْ تَتَصَوَّرُونَ ان يوم القيامة لن يأتي و قد أتى اليوم، فأين أنتم منه؟

قال رسول الله صلى الله عليه و آله عن الناس يوم المحشر: «يحشرون حفاة عراة غرلا- (و الغرل هم الغلف) فقالت عائشه حين سمعت ذلك: و اسوأ تاه! أ ينظر بعضهم الى سواه بعض من الرجال و النساء؟! فقال صلى الله عليه و آله: لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه و يشغل بعضهم عن بعض.» فابصارهم تكون شاخصه الى الأهوال و الاحداث الرهيبه التي تأخذ مجراها في ذلك الوقت، و يكون تفكيرهم منصبا على مصيرهم.

[٤٩] وَ وُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ و يتعجبون: كيف رصدت كل التفاصيل الدقيقه، الماديه و المعنويه فيها فيرتجفون خوفا، لان كل جرائمهم مكتوبه، و هم مسئولون عنها.

وَ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا

ص: ٤٢٧

أى الويل و الثبور علينا.

مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَيْغِرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا كُلَّ سَيِّئَةٍ أَوْ خَصَلَهُ أَوْ حَالَهُ نَفْسِيهِ مَسْجَلُهُ فِي الْكِتَابِ، وَحَتَّى النُّوَايَا الْقَلْبِيَّةِ  
و الأفكار الذهنية تظهر واضحة امامهم.

وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا أَمَامَهُمْ، وَ لَيْسَ اسْمُ الْعَمَلِ وَحْدَهُ الَّذِي يُسَجَّلُ، بَلْ وَ يُصْبِحُ الْعَمَلُ مَجْسَمًا يَرُونَهُ وَ يُحْسِنُونَهُ، فَالطَّيِّبُ مِنْهُ  
يَتَحَوَّلُ إِلَى صُورٍ طَيِّبَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْنَمَا يَتَحَوَّلُ السَّيِّئُ إِلَى صُورٍ مَرْعَبَةٍ كَالْعُقَارِبِ، وَ الْحَيَاتِ، وَ النِّيرَانِ، وَ الْأَغْلَالِ، وَ  
الظلمات..و..و..لا- بظلم من الله-حاشاه-فهو لم يخلق الناس ليعذبهم بل ليرحمهم، و انما يحصد الإنسان ما يزرعه في الدنيا، إن  
خيرا فخير و إن شرا فشر.

وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا

ص: ٤٢٨

اشاره

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبٰلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ اَمْرِ رَبِّهِ اَفَتَتَّخِذُوْنَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِيْ وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِيْنَ بَدَلًا (٥٠) مَا اَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ وَ لَا خَلَقَ اَنْفُسَهُمْ وَ مَا كُنْتَ مَتَّخِذًا الْمُضِلِّيْنَ عَضُدًا (٥١) وَ يَوْمَ يَقُوْلُ نَادُوْا شُرَكَائِيَ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ فَدَعُوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوْا لَهُمْ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢) وَ رَاى الْمُجْرِمُوْنَ النَّارَ فَظَنُّوْا اَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَ لَمْ يَجِدُوْا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣) وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِيْ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كَانَ الْاِنْسَانُ اَكْثَرَ شَيْءٍ حِيْدًا (٥٤) وَ مَنَعَ النَّاسَ اَنْ يُؤْمِنُوْا اِذْ جَاءَهُمُ الْهُدٰى وَ يَسْتَغْفِرُوْا رَبَّهُمْ اِلَّا اَنْ تَاْتِيَهُمْ سُنَّةٌ اَلْوَلٰٓئِنَ اَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعِزَابُ قُبُلًا (٥٥) وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِيْنَ اِلَّا مُبَشِّرِيْنَ وَ مُنذِرِيْنَ وَ يُجَادِلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوْا آيٰتِيْ وَ مَا اُنذِرُوْا هُزُوًا (٥٦)

اللغه

٥١[عضدا]:معينا.

٥٢[موبقا]:كل شىء حال بين شيئين.

٥٣[مواقعوها]:المواقعه ملابسه الشىء بشده.

[مصرفا]:مكانا ينصرفون اليه.

ص:٤٢٩

٥٦]يدحضوا[:الإدحاض هو الذهاب بالشئ الى الهلاك.

ص: ٤٣٠

هدى من الآيات:

فى سياق بيان القرآن الحكيم لزيئه الحياه الدنيا و موقف الإنسان منها، ذلك الموقف المتسامى الذى يجعله يمتلك هذه الزينه بدل ان تمتلكه، يعالج القرآن أحيث صفه تجعل الإنسان يتكاثر فى الأموال و الأولاد و هى التعالى و التكبر، و يذكرنا الرب بعاقبه إبليس أو من تمرد على ربّه و استعلى، و يأمرنا بمقاومته، كما يبين، فى هذا الإطار-موقف المؤمن من طائفه المستكبرين.

يبين طبيعه هؤلاء ليوحد حاجزا نفسيًا بين المؤمن و بينهم، فيضرب فى الأعماق التاريخيه حينًا، و يصور المستقبل البعيد حينًا آخر.

اما من التاريخ فيضرب الله لنا مثلا من واقع، إبليس الذى استكبر و رفض أن يسجد لآدم بعد أن سجدت له الملائكه جميعًا، و كان إبليس من الجن. الذين هم أقل رتبه و أدنى درجه من الملائكه.

و يوحى القرآن من هذا المثل بهذه الفكرة، و يتساءل السياق مستنكرا: كيف تعبدون إبليس المستكبر المتمرد على سلطان الله أو تعبدوا ذريته و هو لكم عدو مبین؟ من المستقبل يبين الله لنا كيف أن المجرمين حينما يرون النار، و يتصورون أنفسهم و هم ملامسون لها، فأن فرائضهم ترتعد خوفا و شفقه على أنفسهم، و لكن أنى لهم الهروب من النار؟! و بين هذا المستقبل و ذلك التاريخ، على الإنسان ان يحدد موقفه من الثروه و السلطه و أصحابهما المستكبرين و هم ذريه إبليس، و سبب الفساد فى الأرض.

## بينات من الآيات:

### لمن الولايه؟!:

[٥٠] وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ لَقَدْ كَانَ إِبْلِيسَ مِنَ الْجِنِّ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ أَرْفَعَ مِنْهُمْ دَرَجَةً، وَ قَدْ أَمَرَ إِبْلِيسَ كَمَا الْمَلَائِكَةُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَ لَكِنَّهُ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ، وَ الْفَسُوقُ هُوَ: الْخُرُوجُ عَنِ الْحُدُودِ، وَ رُبَّمَا يَكُونُ الْخُرُوجُ أَحْيَانًا مِنْ مَكَانٍ ضَيِّقٍ إِلَى آخَرٍ رَحِيبٍ، أَوْ مِنْ مَكَانٍ غَيْرٍ مَنَاسِبٍ إِلَى آخَرٍ مَنَاسِبٍ وَ لَكِنْ عِنْدَ مَا يَكُونُ الْخُرُوجُ مِنَ الْحُدُودِ الْمَرْسُومَةِ لِلشَّيْءِ، مِثْلَ أَنْ يَخْرُجَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحَمَى، أَوْ إِذَا خَرَجَتِ الْفَاكِهِةُ مِنْ قَشْرِهَا فَأَنَّ ذَلِكَ يُسَمَّى فَسْقًا، لِأَنَّ هَذَا الْخُرُوجَ خُرُوجٌ غَيْرٌ مَنَاسِبٍ، وَ هُوَ يُؤَدِي إِلَى نَتَائِجٍ سَلْبِيَةٍ.

يقول القرآن الحكيم ان خروج إبليس عن الطاعة كان فسقا أى كان سببا لفساده و هلاكه.

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ أَى هل من الصحيح أن تتخذوا إبليس وليا من دون الله، بينما ولى الإنسان هو صديقه الذى يحبه، بينما إبليس قد تمرد على الله و استنكف عن طاعته، فكيف لا يستكبر على الناس و هو عدو لهم؟! بئس لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا أنه بديل سىء لمن يتخذه وليا من دون الله، و لكن من الذى يتخذ إبليس وليا؟ انهم الظالمون، فعمل الإنسان يؤثر على عقله و عقيدته، فظلمه للآخرين و من ثم ظلمه لنفسه ينعكس على عقيدته، و لا- يتعد الإنسان عن الشيطان الا- إذا كان مؤمنا، لذلك فإن القرآن غير توجيه الكلام فلم يقل: بئس لكم بدلا، و انما قال:

﴿بئس لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ .

[٥١] ﴿أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ إِنْ هُوَ إِلَّا يَكْفُرُ﴾<sup>١</sup> يعلمون ما فى السماوات و الأرض، و بالتالى لا يصلحون للقيادة، و الولى القائد هو: الذى يعرف ماذا فى السماوات حتى يمكنه أن يقود الناس بالطرق الصحيحه، و ربما تعنى الآيه الكريمه من تعبير السماوات و الأرض التشريعات المعنويه و الطرق الماديه للحياه، و هؤلاء لا علم لهم بها لأنهم لم يشهدوا الخلق ليعرفوا ما يناسبهم من تشريعات، و ليس هناك مصدر آخر للمعرفه غير الله.

بينما الله سبحانه و تعالى لم يكن فقط شاهدا على الخلق، و انما كان خالقا بالتالى فهو أعلم بما فى السماوات و الأرض و أولى بأن يتبع هداه، أن هؤلاء لا يعلمون و لا يعرفون حتى أنفسهم، و الذى لا يستطيع أن يقود نفسه الى الخير و الهدى، فهل يمكنه ان يقود الآخرين؟!



و من جهه أخرى: لا يتصور الناس بأن الإنسان الضال يمكن ان تنفعهم قدرته و قوته شيئاً. كلا.. لأن الضلاله تسبب فساد القوه و قدره مهما كانت كبيره و هائله، و يذكرنا القرآن بهذه الحقيقه فيقول:

وَ مَا كُنْتُمْ تُخَدِّعُونَ اللَّهَ بِظُلْمٍ أَعْيُنُكُمْ وَأَنْتُمْ كُمْرٌ كَمَّالٌ ﴿٥٢﴾  
و ما جمع بكلمه «عضدا» و هى مفرد، و لم يقل: اعضاء، لأنه يريد ان ينفى الموضوع تماما.

و ذلك أبلغ لأن الإنسان قد لا يتخذ مجموعه أعضاده، و انما يأخذ عضدا واحدا، و نفي المجموع ليس ينفي الفرد الواحد. بينما نفيها حيث تنفى حتى الواحد فانه يعنى المجموع أيضا ليس موجود.

حرام أن يتخذ الإنسان فى حياته الدنيا رجلا ضالا عضدا يستعين به، و بهذه الدرجه من العنف ينفى القرآن مسأله الاستعانه بالظالمين و التعاون معهم فى أى حقل من الحقول.

### و جعلنا بينهم موبقا:

[٥٢] وَ يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ وَ ذُرِّيَّتَهُ قَادَهُ يَقُولُ:

سأدعكم الآن لفتهر تنادون أولئك القاده الذين كنتم تستعينون بهم فى الدنيا، فيقفون و يصيحون حتى تبخ أصواتهم و لكن دون جدوى.

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا

بين الشركاء و المشركين هو سحيقه و مهلكه، يسميها القرآن بالموبق و هى:

الفجوه العميقه الفاصله بين شيئين، و لكن لماذا هذه الفجوه؟ بالرغم من أن هؤلاء و أولئك فى كثير من الأحيان يسلكون سيلا واحدا، و مصيرهم جميعا الى النار؟ لعل هذه الهوه العميقه ترمز الى الهوه التى يجب أن تكون بين الإنسان و الشركاء.

[٥٣] وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوقَعُونَ ﴿٥٣﴾ تأملوا هذ المشهد: الكفار لم يظنوا أو تصوروا أنهم سيقعون فى النار، و انما تصوروا لمسهم للنار و احتكاكهم بها فقط.

وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا وَ جرى بنا ان نتصور نحن هذه الحاله أيضا، فنحن لم نر تلك النار اللاهبه الشديده، و لكننا نستطيع أن نتصور أنفسنا واقفين على نار قعرها عميق، و حرّها شديد، و عذابها غليظ، و نتخيل تلك النيران المحرقه و هى تلامس أجسادنا دون أن نجد مهربا منها، لنتصور هذه الحاله، فأن التصور يقرب الحقيقه الى ذهن الإنسان و يقوم بدور الوسيط بينه و بين الحقائق البعيده، و بالتالى فهو يربى الإنسان و ينمى تقواه.

ان الطالب الذى يتصور قاعه الامتحانات فى آخر السنه الدراسيه، يتحصن ضد السقوط عند ما يدخلها لىؤدى الامتحان عمليا، و هكذا الفرد الذى تتاح له فرصه الجريمه، و لكنه حين يتصور قاعه المحكمه انه يتعد عن الجريمه، كذلك نحن إذا تصورنا تلك النيران فى جهنم ستمتنع عن المعاصى و الفساد.

ذلك هو التاريخ البعيد، و هذا هو المستقبل القادم، و بينهما ينشئ السياق

القرآني ليدكرنا و يقول:ايها الناس تلك كانت قصص ماضيكم،و تلك حوادث مستقبلكم،فانتبهوا لحاضركم.

### كيف نتخلص من طبيعه الجدل؟

[٥٤] وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ كُلِّ تَجْسِيدٍ لِلْحَقِيقَةِ يَسْمَى مَثَلًا،و القرآن يجسد الحقائق المجرده في امثله تاريخيه مضت أو حوادث مستقبلية تقع،لكن لماذا،لكي يقرب هذه الحقائق المجرده الى أذهان الناس و قلوبهم،و لكن الإنسان مهما أوتى من أمثال،و صرفت له من قصص و حوادث،تراه يجادل فيها.

وَ كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا الْإِنْسَانُ يَبْحَثُ عَنْ أَى وَسِيلَةٍ يَتَهَرَّبُ بِهَا عَنْ حِفْظِ أَمَانَةِ الْعَقْلِ،و ثقل مسؤولياته انه يبحث عن مخرج من الهدايه للصعوبه القصوى التى يعانيتها فى رحلته الشاقه من ارض الطبيعه الى قمة الكمال،و ما دامت طبيعته الجدل،فأن عليه أن يعمل جاهدا لكي يقاوم هذه الطبيعه،و يعرف بأنه لو ترك نفسه و شأنها فإنها نزاعه للهوى و أماره بالسوء،تدعوه الى الجدل و الابتعاد عن الحقيقه و الهبوط الى حضيض الشهوات.

ان عليك ايها الإنسان ان تقاوم،العلم بحاجه الى جهاد،و الهدى بحاجه الى سعى،و الكمال بحاجه الى مقاومه مستمره لنوازع الهوى حتى تكتمل.

و لعلنا لو تعمقنا قليلا- فى كلمه الجدل نصل الى معرفه طبيعه الإنسان التى هى مخلوقه من مجموعه متناقضه من الأهواء،و النزعات،و التطلعات و ما أشبهه،فالإنسان

دائما فى حاله صراع و تجاذب داخلى، ففى نفسك توجد مجموعه جواذب مختلفه كل يجذبك الى جهه، عنصر يجذبك الى طاعه الآباء، و آخر يدعوك الى الغلو فى حب الأبناء، و ثالث يدعوك الى الذوبان فى تيارات و هكذا، و كل هذه العناصر لها تأثير على عقلك و تفكيرك و لا يمكنك الكمال الا اذا قطعت كل حبال الطبيعه.

لذلك جاء فى الأحاديث أنه يوجد فى قلب كل إنسان ٣٣ ملكا و ٣٣ شيطانا، و هؤلاء الملائكه أحدهم يمثل الصبر، و الثانى يمثل اليقين، و الثالث يمثل التقوى..

إلخ و أولئك الشياطين أحدهم يمثل الغيبه، و الثانى يمثل التهمه، و الثالث يمثل الفجور.. إلخ.. و الملائكه و الشياطين جميعا و ما يمثلونه فى حاله جدال مستمر فى داخل الإنسان.

بعض المفسرين قالوا: أن كلمه «أكثر شىء» إنما هى على سبيل المبالغه، و الواقع انه لا مبالغه هناك، فلا يوجد شىء فى الطبيعه أكثر جدلا من مخ الإنسان، و لنفترض ان شلالات الماء فى (نياجارا) تحدث جدلا لأنها تنزل و تصطرع مع المياه التى تصطدم بها، و لكن هذا الجدل أكثر أم جدل الفكره؟ و التيارات المتعارضه فى بعض البحار، و الرياح المختلفه، و الزوابع العاصفه أكثر جدلا أم القلب، الذى تنعكس عليه كل تناقضات الوجود؟! و إذا بحثت فلن تجد تناقضا قائما فى الدنيا أكثر من ذلك الموجود فى فكرك، لأن عقلك يحتوى على كل تناقضات الدنيا، ماديات و معنويات، حق و باطل، خير و شر، ففكر الإنسان انعكاس لكل تناقضات الكون، لذلك فهو أكثر شىء تناقضا و جدلا.

[٥٥] و من أنواع التناقض و الجدل عند الإنسان هو ذلك الموجود بين الواقع و الحقيقه، فللواقع ضغطه و جاذبيته، و للحقيقه صحتها و عاقبتها.

ان الله يبعث بالهدى للناس، و يأمرهم ان يصححوا حياتهم وفق هذا الهدى و يصلحوا ماضيهم، و لكن هؤلاء ينتظرون حتى يأتيهم العذاب، فأما أن يأخذهم بغته، و اما يأتيهم فيروه أمامهم مباشرة، فهم ينتظرون الواقع، و لا ينظرون الى الحقيقه، و يقول القرآن:

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَ يُسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَصْلِحُوا حَيَاتِهِمُ الْمَاضِيَةَ وَفَقَ ذَلِكَ الْهُدَىٰ.

إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَى الْعَذَابِ الْمَحِيطِ بِهِمْ.

أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا أَى يَرُونَ الْعَذَابَ أَمَامَهُمْ مَبَاشَرَةً.

[٥٦] اذن لماذا ينزل ربنا العذاب على الناس حتى يهتدوا؟ لأن المطلوب هو ان يهتدى الناس بعقولهم و إراداتهم، و دور رسالات الله هو دور التبشير و الإنذار، و ليس دور الجبر و الحسم.

وَمَا نُزِّلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ يَرِيدُ الْكُفَّارُ أَنْ يَهْدِمُوا كِيَانَ الْحَقِّ بِسَلْحِ الْبَاطِلِ، و لما كانوا لا يقدرين على ذلك، فأنهم يتخذون سلاحا آخر هو سلاح الاستهزاء، و هو اخطر سلاح يستخدمه الإنسان فى مقاومه الحقيقه.

وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا تَكْمَنُ خَطُورُهُ هَذَا السَّلَاحُ فِي نَاحِيَتَيْنِ: فَمَنْ جَهِهَ حِينَمَا يَسْتَهْزِئُ الْإِنْسَانُ بِالْحَقِيقَةِ، فَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَهْتَدِيَ بِهَا أَبَدًا.

و من جِهه ثانيه حِينَمَا يَسْتَهْزِئُ بِهَا، فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَضْرِبَ لَهُ مِثْلًا، أَوْ يَأْتِيَ لَهُ بِدَلِيلٍ عَلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ لِكَيْ يَقْنَعَهُ بِهَا.

ص: ٤٣٩

اشاره

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَاهُ أَتَيْتَا عِدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)

اللغه

٦٠[لا أبرح]: لا أزال.

[حقبا]: الحقب الدهر و الزمان و جمعه أحقاب.

ص: ٤٤٠

٤٤]قصصا]: يتبعانه، و منه اقتصاص الأثر.

ص: ٤٤١



هدى من الآيات:

فى هذا الدرء ىذكرنا القرآن الكرىم بثلاث حقائق تتصل بقضىه الهدى و المعرفة:

الحقىقه الاولى: ان اكتساب العلم و المعرفة و بالتالى الاهتداء مسؤلىه الإنسان التى تتعلق بمصالحه العاجله و الآجله، فمن ىرفض الاهتداء، و لا- ىتحمل مسؤلىته فى الوصول الى المعرفة فانه ىظلم نفسه، و ىكون مثله كمن ىفقأ عىنه، أو ىسدّ أذنه، أو ىبلد أحاسىسه، فىقطع على نفسه ذلك الجسر الذى ىربط ذاته بالطبىعه فما ذا عساه أن ىفعل بعد ذلك؟ و ما هو مبرر وجوده فى الحىاه؟ الحقىقه الثانىه: ان الإنسان إذا رأى ان بامكانه البقاء فتره من الوقت فى حاله الضلاله دون أن ىصاب بأذى، فىلعلم ان هذه مهله منحها الله له رحمه به لعله ىرجع عن ضلالته و ىهتدى.

و الا فى اللحظه التى تعمى فىها عىن الإنسان، و تصمّ اذنه، و ىتوقف عقله

فانه يجب أن يموت و ينتهى،لأنه سوف يصطدم بالطبيعه و حقائقها الراسخه الصلبيه فيتحطم شرّ تحطيم،و بالتالى فان الضلاله جريمه عقوبتها معجله فى الواقع،و لكن الله يؤجل هذه العقوبه، و هذا من فضله الواسع و حلمه الكبير.و لعله سيتدرجه الى مصيره الأسود استدراجا.

الحقيقه الثالثه:ان هذا التأجيل ليس الى فتره غير محدوده،و انما لموعد يوم معلوم عند الله سبحانه و تعالى،و إذا جاء فانه لن يتأخر،و هذا بدوره قضيه هامه لو تحسس البشر بها لاستطاع أن يقاوم جهالته،و تعالیه على الحقائق.

و لكى يوضح القرآن الكريم هذه الحقائق أكثر،فانه يضرب لنا مثلا من واقع موسى عليه السلام و اجتهاده فى البحث عن العلم و المعرفه.

و فى هذه المجموعه من الآيات،يذكرنا القرآن بان الإنسان فى حالات التعب، و الارهاق،و انشغال ذهنه بقضايا ثانويه قد ينسى أمورا مهمه.

لقد قام موسى مع مرافقه بسفره طويله مضنيه مليئه بالصعوبات،فأصابهم تعب شديد من وعشاء السفر،مما جعلهم ينسون غذاءهم الذى أحضروه معهم،فالنسيان اذن من الشيطان،و تجاوز هذا النسيان لا يكون الا عن طريق التذكر المستمر لله سبحانه و تعالى،و هناك سبب آخر من أسباب الجهل و هو:اعراض الإنسان عن آيات الله و انصرافه عنها.

### بينات من الآيات:

### آثار الظلم:

[٥٧] وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا فَايَاتِ اللَّهِ واضحه و منتشره فى كل مكان،الا ان الإنسان بحاجه الى من يذكره

ص:٤٤٣

بها،و لكن عند ما يذكر و تتلى عليه الآيات فيتركها،و لا يهتدى بها،فانه يكون أظلم الظالمين.

وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ لَقَدْ نَسِيَ حَقِيقَةَ رَّبِّيسِهِ وَ هِيَ: أَنَّهُ إِنْسَانٌ غَيْرُ عَالِمٍ وَ لَا فَاضِلٍ، بَلْ هُوَ جَاهِلٌ وَ مَتَوَرِّطٌ فِي الْجَرَائِمِ، إِنْسَانٌ ظَلَمَ نَفْسَهُ بَارْتِكَابِ الْخَطَايَا وَ الذُّنُوبِ، فَوَقَفَتْ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْهُدَايَةِ، لِذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَسَلَّحَ بِالْإِرَادَةِ وَ الْعِزْمِ، وَ أَنْ يَتَجَاوَزَ هَذَا الْحَاجِزَ بِدَلِّ أَنْ يَغْفَلَ وَ يَنْسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ.

من هنا نعلم بأن الوصول الى الهدايه بحاجه الى تجاوز الصعوبات،و حسب التعبير القرآنى أننا بحاجه إلى (اقتحام العقبه)و من لا يقتحم العقبه،و يتسلح بالعزيمه الكافيه لتجاوز الحواجز،فلن يهتدى أبدا.

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ هُنَاكَ حِجَابٌ مَوْجُودٌ عَلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ، فَمَا هِيَ تِلْكَ الْحِجَابُ؟ إِنَّهَا الذُّنُوبُ وَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَرْتَكِبُونَهَا، وَ يَصْرُونَ عَلَيْهَا، فَتَتْرَاكُمُ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِصُورِهِ حِجَابٌ سَمِيكٌ، تَحُولُ دُونَ نَفُوضِ الْحَقَائِقِ إِلَيْهَا. فَيَجْعَلُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً.

وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا أَى انا جعلنا آذانهم تشكو من صعوبه السمع،و الوقر هو: الشىء الثقيل، و الإنسان عند ما لا تسمع أذنه يحس و كأن ثقلا قد وضع فيها.

وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا مَا دَامَتِ الْأَكِنَّةُ مَوْجُودَةً عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَ الْوَقْرُ فِي آذَانِهِمْ، وَ مَا دَامُوا قَدْ نَسُوا

ماضيهم الحافل بالجرائم و الذنوب، فلم يحاولوا أن يستعرضوا و يتأملوا خطورتها، و لم يتسلحوا بالإرادة الكافية لمقاومتها، فمن المستحيل عليهم أن يجدوا طريقهم الى الهدايه.

و إذا كانت الضلاله ظلما، فلما ذا لا يعجل الله عليها العقاب؟ يقول القرآن: تلك رحمه من الله، و فرصه ثمينه لمحاوله الرجوع الى الهدايه، فلا يغتر الإنسان بهذه الفرصه فانها قصيره و محدوده.

[٥٨] وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا. ليس باستطاعتهم أن يجدوا مهربا يؤولون اليه، كما يحدث عاده على مستوى البشر حينما تريد السلطات أن تلقى القبض على شخص فان هذا الشخص يأخذ بالتفتيش عن مكان يختفى فيه، أو عن شخص له نفوذ لكي يتوسط له عند السلطه، اما عند الله فلا يوجد شيء من ذلك أبدا، فسلطته واسعه قويه قادره، و لا مهرب منها أبدا.

و الموثل هو: المكان أو الزمان الذي يحجب العقاب عن الإنسان.

[٥٩] وَ تِلْكَ الْقُرَىٰ أَمْهَلْنَاهُمْ لِمَا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا وَ هَلَاكِهِمْ كَانَ لَهُمْ مَوْعِدٌ مَّحْدَدٌ، و لما جاء ذلك الموعد انتهت الفرصه الممنوحه لهم، و لم يكن باستطاعتهم أن يكتسبوا لحظه اضافيه.

[٦٠] ان نسيان الإنسان لماضييه و ما قدمت يداه، أحد الأسباب الرئيسييه لجهله و عدم هدايته، و القرآن يضرب مثلاً على ذلك من قصه موسى عليه السلام حيث انه كلف- فيما يبدو- بالبحث عن شخص عالم يرشده و عزم موسى عليه السلام على السفر الى حيث يوجد العالم عند التقاء البحرين- و لعلهما خليج العقبه و خليج السويس المتفرعان من البحر الأحمر- و عند ما بلغه و آوى هو و فتاه الى صخره تسرب حوتهما فى البحر و لعل الآية:

وَ إِذِ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا أَي أَنَّنِي مَصْمُومٌ أَن أَصِلَ إِلَىٰ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ سِنِينَ عَدِيدَةً بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الصَّعُوبَاتِ الْمَحْتَمَلَةِ، وَ الْفَتَىٰ هُوَ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ أَقْرَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ وَصِيهِ، وَ لَعَلَّ التَّعْبِيرَ (الفتى) عنه كان لمعانى السموّ الروحى و الكمال الرسالى الذى كان يتمتع به، و بالذات فى اتباعه لقيادته الإلهيه، و تفانيه فى خدمه الرسول عليه السلام.

[٦١] فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا أَي الْمَكَانَ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْبَحْرَانِ.

نَسِيًّا حَوْتُهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا لَقَدْ تَحْرَكَ الْحَوْتُ بِحَالِهِ السَّرْبِ، وَ السَّارِبُ هُوَ الَّذِي يَسِيرُ إِلَىٰ الْأَسْفَلِ وَ لَعَلَّ بِالْحَوْتِ كَانَ رَمَقٌ مِنَ الْحَيَاءِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَاءَ اسْتَعَادَ حَيَاتَهُ وَ تَسْرَبَ فِيهِ أَوْ كَانَ هُنَاكَ مَاءَ الْحَيَاءِ.

[٦٢] فَلَمَّا جَاوَزَا أَيَّ انْتِقَالًا إِلَى الشَّاطِئِ الْآخِرِ.

قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا أَيَّ كَانَ سَفَرُهُمَا مَتَعِبًا لِلغَايَةِ وَشَعْرًا بِالْجُوعِ، وَالغَدَاءُ هُوَ طَعَامُ الْغَدْوِ وَهُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ.

### من عوامل النسيان:

[٦٣] قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ أَيَّ أَتَذَكَّرُ حِينَمَا جَلَسْنَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي طَرِيقِنَا لِنَسْتَرِيحَ قَلِيلًا.

فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَضَعْتَهُ هُنَاكَ وَ لَمْ أَجْلِبْهُ مَعِي، وَ لَكِي يَبْرُرُ هَذَا الْوَاقِعَ الَّذِي فَعَلَهُ النِّسْيَانُ قَالَ:

وَ مَا أَنَسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا لَقَدْ نَسِيَ الْفَتَى قِصَّةَ الحُوتِ أَنْ يَبِينَهَا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ كَيْفَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا.

[٦٤] وَ يَبْدُو أَنْ عَلَامَهُ مُوسَى لِمَعْرِفَةِ مَكَانِ الْعَالَمِ. كَانَتْ هِيَ بِالذَّاتِ حَيَاةَ الحُوتِ. وَ انْتِطَاقَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَ هَكَذَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ ذَلِكُمْ مَا كُنَّا نَنْفَعُ

ص: ٤٤٧

أى ذلك المكان هو بغيتنا و هدف رحلتنا.

فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ أَيَّ عَادَا عَلَىٰ ذَاتِ الطَّرِيقِ وَ هُمَا يَبْحَثَانِ عَنِ الْآثَارِ.

و قبل ان نتابع قصه موسى مع العالم فى الدرس القادم دعنا نتدبر فى موضوع النسيان الذى يتكرر فى هذه الآيات.

فى آيه سبقت بين القرآن فضيه مهمه فقال: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا» و فى هذه الآيات نجد قوله تعالى و ما انسانيه الا الشيطان و هاتان الآيتان صريحتان فى ان الشيطان ينسى، و الله يذكر، فما معنى هذه الفكرة؟ ان فكر الإنسان يشبه مصباحا كامل الضياء، ليس بحاجة للوقود و لكن هناك حواجز هى التى تسد منافذ هذا الضياء، فما هى تلك الحواجز؟ أنها مجموعه عوامل ماديه تقوم على أساس اهتمام الإنسان بزينه الحياه الدنيا و متاعها، و قد يكون فتى موسى عليه السلام و هما يمشيان على البحر قد انشغل بزينه البحر، أو ببعض الأشياء العجيبه التى رآها فى الطريق، المهم أن انجذاب الإنسان الى الطبيعه و خضوعه لها هو من أسباب النسيان، و الحياه مليئه بالجواذب و الشهوات التى يدعمها الشيطان، و لكن ذكر الله يطرد هذه الشهوات، و يعين على ضغط الجواذب و يزكى النفس من العقد التى يكرسها الشيطان، و ذكر الله بالتالى هو عدو النسيان، لأنه يحطم تلك الحواجز التى تغلف قلب الإنسان.

و حينما تتذكر الله و قدرته و هيمنته على الكون، يعود إليك توازنك و تعود الى نفسك تلك الاراده المفقوده، و تعود الى عقلك معرفتك بأنك أقوى من الطبيعه،

و أسمى من زينه الحياه الدنيا فلا يجب ان تستسلم لها.

و هكذا فان القرآن الحكيم يحدثنا فى سوره الكهف عن زينه الحياه الدنيا من جهه، و ضروره التسامى عليها من جهه ثانيه و من أبعاد التسامى و فوائده فى ذات الوقت هو:التذكر و عدم النسيان،لأن الإنسان المستسلم لحياه الدنيا و زيتها يفقد فكره،بل يفقد حتى الحياه نفسها،فحب الشئ عمى و يصم.

ص:٤٤٩



اشاره

فَوَحَّيْنَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ  
رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا  
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ  
خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَفْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا  
نَسِيتُ وَلَا تُرهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا  
(٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا  
(٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُمْ  
لَأَتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنَكَ وَسَاتِنُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)

اللغه

٧٧ [ينقض]: يسقط.

ص: ٤٥١

هدى من الآيات:

من مظاهر اعجاز القرآن الحكيم، ان آياته تتحدث عن أشياء عديده فى وقت واحد، فالآيه الواحده مثال لقدره الله فى الكون، و لعلم الله بالأمر، و هى تبين مختلف الابعاد للحقيقه الواحده، أو مختلف الحقائق للحياه.

و سوره الكهف إذ تحدثنا عن علاقه الإنسان بالحياه، فانها تحدثنا أيضا عن علم الإنسان، و قد يبدو هذان الأمران فى هذه السوره غير منسجمين أو حتى مختلفين، بينما الحقيقه هى ان علاقه الإنسان بزينه الحياه الدنيا و موقفه السليم منها، ينشأ عن علم الإنسان بحقيقه الدنيا، فلو عرف الإنسان ظاهرا من الحياه فقط استبد به الغرور، و زعم بأن هذا الظاهر الذى يراه هو الحقيقه، بينما لو تعمق قليلا و وصل الى جوهر الحياه الدنيا لعرف مدى تبدلها و تغيرها، و ان مخبرها غير ظاهرها، و لذلك

جاء فى الحديث: «الدنيا تغرّ و تضرّ و تمرّ.»

و جاء أيضا: «كل ما فى الدنيا ان تسمعه خير من أن تراه.»

و هكذا الحديث عن الدنيا يستتبع العلم و الهدى، لان هدى الإنسان و معرفته للحقائق معرفه عميقه و شامله يدعوه الى أن يتخذ موقفا سليما من زينه الحياه الدنيا، و ليس موقف الغرور و التسليم المطلق.

و فى قصه موسى عليه السلام مع ذلك العبد الصالح الذى جاء فى الأحاديث أنه الخضر عليه السلام يكتشف لنا جانب من هذه الحقيقه.

فموسى عليه السلام كان نبيا، و كان عارفا بالأحكام الشرعيه الظاهره، الا أنه بحث عنمن هو أعلم منه ليتعلم منه الخلفيات، أو حكم الأحكام العامه و الخاصه.

و خلال تلقيه الدروس كان ينتفض أمام بعض الحوادث التى يراها و لا يتحملها، فعند ما ركبا فى السفينه أخذ الخضر معولا و ثقب به جدارها، فاذا بالماء يتدفق الى داخلها، و عند ما صادفا شابا فى طريقهما حمل عليه الخضر فقتله، و فى نهايه المطاف وصلا الى بلده وجد فيها الخضر بناء متداعيا، فبذل مجهودا كبيرا فى ترميمه، و لم يطلب مقابل ذلك من القوم أجرا برغم ما بدر منهم من سوء استقبال و اعراض عن الضيافه، و كان وقع هذه الحوادث على موسى من الشده بحيث كان الزمام يفلت منه كل مره، و ينسى شرط الصبر الذى التزم به.

أن انتفاضة موسى امام الأعمال التى قام بها ذلك العبد الصالح، لدليل على ان الإنسان لا يحتمل مجرد احتمال ان وراء علمه هذا مساحات مجهوله أخرى لم يبلغها و لم يتوصل إليها، ان مجرد هذا الاحتمال يجعل الإنسان رزينا، حليما، هادئا، لا يتأثر بالمظاهر فقط، و انما ينظر الى العمق أيضا.

**بينات من الآيات:**

**بين العلم و الرحمه:**

[٦٥] فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ

ص: ٤٥٣

مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا هَذَا الْعَبْدُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ كَانَ قَدْ حَصَلَ عَلَى الرَّحْمَةِ، فَهَلْ هُنَاكَ عِلَاقَةٌ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالرَّحْمَةِ؟ أَمْ  
أَنْ رَبَّنَا سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَعْطَى الْعَبْدَ خَصْلَتَيْنِ مِنَ عِنْدِهِ الرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ؟ بِتَدْبِيرٍ بَسِيطٍ فِي مَفْهُومِ كَلِمَتِي الْعِلْمِ وَالرَّحْمَةِ نَتَوَصَّلُ  
إِلَى: أَنْ الْعِلْمَ عَادَهُ مَا يَكُونُ وَوَلِيدَ الرَّحْمَةِ، وَجَوْهَرَ الرَّحْمَةِ هُوَ لَيْنُ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ صِفَةٌ مُقَابِلَةٌ لِصِفَةِ أُخْرَى وَهِيَ قَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَ  
قَسْوَةُ الْقَلْبِ تَسْبَبُ عَدَمَ نَفُوضِ حَقَائِقِ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ فَيَنْشَأُ الْجَهْلُ، وَ لَيْنُ الْقَلْبِ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ يَسْبَبُ الْعِلْمَ، لِذَلِكَ نَسْتَطِيعُ أَنْ  
نَقُولَ أَنَّ لِلرَّحْمَةِ الْفَضْلَ الْأَوَّلَ، وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لِلخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ سَبِيحًا لِعِلْمِهِ وَقَدْ اسْتَنْدَ الْبَعْضُ إِلَى هَذِهِ  
الْكَلِمَةِ وَقَالُوا: إِنَّ خَضِرًا كَانَ نَبِيًّا وَالنَّبِيُّ رَحْمَةٌ إِلَهِيَّةٌ، بَيْنَمَا رَأَى آخَرُونَ: أَنَّ سَعَةَ صَدْرِ خَضِرٍ وَقُدْرَتَهُ عَلَى إِحْتِمَالِ اعْتِرَاضَاتِ  
تَلْمِيزِهِ مُوسَى هِيَ تِلْكَ الرَّحْمَةُ الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ إِيَّاهُ.

وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ مِنَ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ نُورٌ يَقْذِفُهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ، وَلَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الدِّرَاسَةِ وَ  
التَّعْلِيمِ كَمَا يَزْعُمُونَ.

### الصبر وزير العقل:

[٦٦] قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا لَقَدْ عَرَفَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْحَصُولَ عَلَى الْعِلْمِ لَا يُمْكِنُ أَنْ  
يَتِمَّ بِدُونِ مَجْهُودٍ، لِذَلِكَ عَرَضَ اتِّبَاعَهُ لِلْعَالِمِ وَهُوَ يَمَارِسُ أَعْمَالَهُ الْيَوْمِيَّةَ، وَ مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِ وَالْقَرَارَاتِ وَالْمَوَاقِفِ فِي الْأَحْدَاثِ  
الْمُخْتَلِفَةِ لِلْحَيَاةِ يَتَعَلَّمُ الْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهُ الْإِنْسَانُ لَيْسَ عِلْمًا مُطْلَقًا، بَلْ ذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي يُعْطِيهِ الرَّشْدُ

و البصيره فى سلوكه و عمله، و هذا هو العلم العملى، فكما أننا نحتاج الى العمل العلمى، كذلك نحن نحتاج الى العلم العملى، و ذلك بأن نتعلم ما ينفعنا.

أما خضر (عليه السلام) فقد أعطانا منها آخراً للتعلم و قال: أن أول و أهم صفة لاكتساب العلم هو الصبر، و لذلك كان الصبر وزيراً للعقل كما جاء فى الأحاديث المأثوره.

[٦٧] قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا و هذه هى مشكله الإنسان، فهو بحاجة الى الصبر لكى يتعلم العلم، و الصبر بدوره بحاجة الى العلم لكى يطمئن الإنسان، فان «الجاهل جزع».

و هنا نودّ ان نذكر بأن اجتياز حاجز الجهل من قبل الإنسان عمليه صعبه، و لا يمكن للإنسان أن يجتاز هذا الحاجز و هو خائر العزم، ذلك لأن الحصول على العلم بحاجة الى اجتياز الحاجز النفسى بالاضافه الى المساعى العمليه فنرى ان موسى عليه السلام برغم أنه يقوم بسفره طويله طلباً للعلم، و يلاقى أنواع المشقه، و ينسى غداه، و يصحب معه فتاه و ما أشبهه و هو نبي يقود أمه، و برغم كل هذه الأعمال الجسديه، فانه يحتاج أيضاً الى جهود نفسيه كبيره تعتبر من وظيفه القلب أو بتعبير آخر تعتبر رحله القلب، و يشير إليها القرآن الحكيم فى هذه الآيات.

[٦٨] وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا من المعلوم ان خضر العالم لم ينسى القدره الحقيقه لموسى على الصبر، فموسى عليه السلام من الناحيه الحقيقه و الفعليه كانت عنده القدره على الصبر، و لكن العالم بخبرته يدرك ان الناس الجاهلين بأمر لا يصبرون على صعوبات العلم به، فالعلم يسبب لهم صدمه، و لأنه يسبب لهم ذلك فهم قد يكفرون به.

[٦٩] قَالَ سَيَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا وَقَدْ أُعْطِيَ مُوسَى تَعَهْدًا بِالصَّبْرِ وَالْإِتِّبَاعِ، فَمَثَلُ الْعَالَمِ كَمَثَلِ الشَّجَرَةِ الْمَشْرُمَةِ الَّتِي تَهْتَرُ فَتَعْطِيكَ مِنْ ثَمَارِهَا، وَالْعَالَمُ يَجِبُ أَنْ يَرْمِيحَ مِنْهَا تَعْلِيمَكَ وَ لَسْتَ أَنْتَ.

لقد ربط موسى عليه السلام صبره بالمشيئة الإلهية و قال: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا» لأنه عرف ان من الصعب على الإنسان في هذه المواقف، أن يصبر على الصدمات التي يتلقاها بسبب معرفه الواقع المجهول.

[٧٠] قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَشْتَأْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْبِرَكَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (عليه السلام) عند ما اشترط على موسى هذا الشرط، فإنه كان يشير الى أن على العلماء أن يضبطوا أمرهم مع المتعلم منذ البدايه، على أساس أن العالم هو الذى يحدد المنهج:

### أولاً: بخرق سفينه:

[٧١] فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا هُنَا انْفَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَخْلَاقِهِ الرَّسَالِيَةِ الَّتِي كَانَ يَمَارِسُهَا مَعَ مَجْتَمَعِهِ الْإِسْرَائِيلِيِّ، ذَلِكَ الْمَجْتَمَعُ الْمَائِعُ الَّذِي كَانَ يُسْتَعْمَدُ مَعَهُمُ الشَّدَةُ، بِعَكْسِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِي مَجْتَمَعٍ خَشَنٍ غَلِيظٍ، فَتَسَلَّحَ بِالرَّأْفَةِ وَ اللَّيْنِ، لِذَلِكَ أُنْفَعَلَ مُوسَى وَ صَاحٍ غَاضِبًا:

قَالَ أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا

و هو هنا لم يسأل حتى لماذا خرقتها، بل أنكر الموضوع رأساً، و لم يسكت على ذلك و انما أعطى للعمل صبغه و هي أنه لم يخرقها إلا ليغرق أهلها. و كان هذا هو الهدف الوحيد المتوقع من وراء هذا العمل و قال:

لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً إِمْرًا أَى قمت بعمل عظيم، و هذا خطأ آخر يدل على الجهل بالموضوع، و هنا قال خضر عليه السلام :

[٧٢] قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسِيْطِعَ مَعِيَ صَبْرًا [٧٣] فذكره بكل هدوء أعصاب بالاتفاق الذى كان بينهما، فانطفأت ثوره موسى فورا و ذهب غضبه، و اعتذر عما بدر منه، فقال لا تؤاخذنى بما يعسر على تحمله، فمن الصعب على الإنسان أن يصبر على شيء لا يعرف عمقه و عاقبته، لذلك طلب موسى من ذلك العالم أن لا يؤاخذه بما نسى.

قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ هُنَاكَ أَمْرَانِ ضَرُورِيَانِ لِلتَّعْلِيمِ هُمَا:

أولاً: على العالم أن يكون واقعياً فيعرف ان الآخرين بشر، و يتعرضون للنسيان لكون المعارف التى تعطى لهم أكبر من مستواهم، و عادة ما ينسى الذهن الشيء الغريب عنه.

ثانياً: ان هؤلاء لا يتحملون كسب العلوم بطريقه الصدفة، انما يحتاج العالم أن يجعل برنامجاً متدرجاً للتعليم. و لذلك قال موسى:

وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِيْ عُسْرًا



الإرهاق هو أطباق الشيء على الشيء. وكان العسر يطبق على الشخص من جميع جوانبه.

### ثانياً: يقتل غلاماً:

[٧٤] فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَبَّيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ قَالَ عَمَلٌ عَظِيمٌ وَ لَمْ يَقُلْ جَرِيمَةً، وَ لَكِنَّهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ قَالَ:

«لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا» وَ مَرَّةٍ أُخْرَى قَالَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ بِأَعْيَابِ هَادِيهِ:

[٧٥] قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسِيءَ تَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا فَتَذَكَّرَ مُوسَى مَرَّةً أُخْرَى الشَّرْطِ، وَ أَحْسَنَ بِأَنَّهُ خَالَفَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَ لِأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْعَزِيمَةِ فِي إِرَادَةِ التَّلَامُ فَقَدْ طَلَبَ فُرْصَةَ أُخْرَى.

[٧٦] قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا وَ هَذَا أَيْضًا دَرَسٌ لِلْعَالَمِ، فَالتَّلْمِيزُ يَجِبُ أَنْ يُعْطَى مِنْ جُهْدِهِ لِلِاسْتِفَادَةِ مِمَّا تَعَلَّمَهُ، وَ الِاسْتِفَادَةُ لَيْسَ فِي سَبِيلِ نَفْسِهِ، وَ إِنَّمَا فِي سَبِيلِ تَعْلِيمِهِ وَ تَنْمِيَّتِهِ وَ تَرْبِيَّتِهِ، وَ التَّلْمِيزُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ إِلَى جَنْبِ الْمَعْرِفَةِ الصِّفَاتِ النَّفْسِيَةِ الْفَاضِلَةِ، فَيَتَعَلَّمُ، وَ يَتَدَرَّبُ، وَ يَنْمُو صِفَاتِهِ الْحَسَنَةَ، وَ يَزْكِي نَفْسَهُ، أَمَا أَنْ يَتَعَلَّمَ دُونَ أَنْ يَتَدَرَّبَ، أَوْ يَزْكِي نَفْسَهُ، أَوْ يَرْبِيَهَا عَلَى التَّضْحِيهِ وَ الْفِدَاءِ، فَهَذَا تَلْمِيزٌ غَيْرٌ نَافِعٌ.

### ثالثاً: و بينى جداراً:

[٧٧] فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَلْبَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ

يُضَيِّفُهُمَا فَوَجَّهَ لَهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُمْ لَاتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْراً وَ هُنَا رَأَى الْعَالَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ  
نَهَايَةُ الْمَطَافِ، وَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَصْبِرَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ:

[٧٨] قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْـَٔطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَنْ ظَوَاهِرَ الْأُمُورِ لَا تَكْشِفُ دَائِمًا عَنْ حَقَائِقِهَا، لِذَلِكَ  
عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَسَلَّحَ بِالصَّبْرِ، وَ الرَّؤْيِيَةَ الْبَعِيدَةَ الشَّامِلَةَ، لِكَيْ يَعْرِفَ الْحَيَاةَ مَعْرِفَةً عَمِيقَةً، وَ أَنْتَذِ يَتَّخِذَ مِنْهَا مَوْقِفًا سَلِيمًا.

ص: ٤٥٩

اشاره

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصِيْبًا (٧٩) وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَاهٌ وَ أَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ يَسْرِتَ أَخْرَجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)

اللغه

٧٩[أعيبها]:أحدث فيها عيبا.

ص:٤٦٠

هدى من الآيات:

كنا مع خضر و هو يعلم موسى علما عمليا، و يدر به على فهم الحياه، و تحمل مصاعبها، و تدبر عواقب أحداثها، و رأينا كيف أن موسى كان ليتفجر غضبا كلما رأى عملا يتنافى مع مظاهر الشريعة، الى ان قال خضر لموسى: «هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ» و لكنى سأفسر لك-قبل الفراق- تلك القضايا التي كانت غامضه عليك، و أخذ يفسرها الواحده تلو الاخرى.

يتبين لنا من ذلك ان بعض الأحكام التي يأمر الله بها أنبياءه الكرام مختلفه عن الأحكام العامه التي يأمر بها الناس العاديين، فلقد كانت السفينه ذات ملكيه خاصه، و احترام الملكيه واجب، الا ان علم خضر المستمد من الله بوجود ملك يأخذ كل سفينه صالحه غضبا، ان ذلك العلم دفعه و بأمر من الله الى خرق السفينه، لكي تبقى بيد أصحابها المساكين إذ كان الملك لا يأخذ السفن المعيبه.

و كذلك يجب احترام النفس، و لكن احترام النفس محدود بعدم وقوع ضررها

على الآخرين، أما إذا كانت النفس ضاره، فإن الله سبحانه و تعالى يأذن لولى الأمر من قبله بإعدامها، و إنقاذ المجتمع من شرها، كما قدّر لخضر بأن يقتل الغلام لكي لا يصيح ضارا بالآخرين، و كذلك مسأله الجدار، و هذا هو ظاهر ما نستفيد من الآيات الكريمة، و هناك عمق آخر سوف نتدبر فيه و نذكره.

## بينات من الآيات:

### لماذا خرق السفينه؟

[٧٩] أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا إِنْ السَّفِينَةُ كَانَتْ لِمَسَاكِينَ، و من عاده الملوك و رؤساء الدول قديما و حديثا أن يأمرؤا بمصادره و سائل النقل كلما واجهت دولهم حربا، لان الحرب بحاجه الى وسائل النقل كالسفن و الجمال قديما، و السيارات و البائرات و الطائرات حديثا، فهي اما تصادرها مصادره تامه، و أما أن تسخرها للأعمال الحربيه فتره الحرب، و هذه السفينه أيضا كانت من ضمن السفن المعرضه للمصادره لو لا أن خرقها لتصبح معيبه، و بذلك لا تشملها أحكام المصادره التي كانت مقصوره على مصادره السفن الصالحه فقط.

وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا الْآيَه لم تقل ان ذلك الملك كان يأخذ السفن الصالحه فقط، لكن الكلمه السابقه تدل على هذه المعنى، و هذا من بلاغه القرآن.

### لماذا قتل الغلام؟

[٨٠] وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا

طُغْيَانًا وَ كُفْرًا ان السبب فى قتل الغلام من دون سابق إنذار هو: ان هذا الغلام كان سيسبب لأبويه المؤمنين الصالحين الطغيان و الكفر، لأنهما، من فرط حبهما لهذا الغلام كانا سيتبعان أهواءه، فى حين أنه كان قد تربي على الدلال و الفساد الخلقى، لذلك كان خضر يخشى على أبويه المؤمنين أن يطغيا بسببه، و لذلك قتله، لأنه وجود ضار.

[٨١] فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا لَقَدْ كَانَ خَضِرٌ يَسْعَى مِنْ أَجْلِ أَنْ يَبْدُلَ اللَّهُ هَذَا الْغُلَامَ بِمَوْلُودٍ أَفْضَلْ زَكَاةً، أى نموّه يكون نمو زاكيا بدل ذلك النمو الطاغى، فهناك نمو زاك و نمو طاغ، النمو الزاكى هو: نمو طاهر خال من السليبات، أما النمو الفاسد فهو: نمو خبيث ملئ بالسليبات.

و كذلك فرق بين صله الرحم و بين الكفر بسبب الرحم فالعلاقه التى تربط بين الأب و أبنه إذا كانت علاقته بعيدة عن الايمان بالله سبحانه و تعالى و شكره، فان هذه العلاقة هى علاقته الكفر و تناقص الشكر لله سبحانه، بينما إذا كانت العلاقة هى علاقته الشفقة التى هى امتداد لعلاقه الإنسان بالله، كأن أقول: انى أحب أبنى و أساعده لأنه نعمه من الله سبحانه، فهنا تكون العلاقة امتداديه، و آنئذ تصبح هذه العلاقة علاقته الرحم، و التى يعبر عنها القرآن فيقول: «وَأَقْرَبَ رُحْمًا» و الكلمتان الأخيرتان جاء بهما القرآن لتقابل مع الكلمتين الأوليتين، فالزكاه و الرحم فى مقابل الطغيان و الكفر.

### بين المصلحة العامه و الخاصه:

الأحكام الشرعيه عموما ليست محصوره بمصلحه الأفراد، و انما هى متجهه الى المصلحه العامه و المصلحه العامه هى: مصلحه الأفراد مجتمعين، بينما المصلحه الخاصه

هى:مصلحه الإفراد منفصلين،و من الطبيعى ان تتفوق مصلحه الإفراد مجتمعين على مصلحه الإفراد منفصلين،و بصوره خاصه عند التعارض،فمثلا مصلحه مليون إنسان أهم من مصلحه خمسه أفراد.

و عند ما نقول المصلحه العامه فنحن نقصد بها مصلحه البشر،و ليس من المعقول ان يترك الإسلام مصلحه البشر ككل من أجل مصلحه أفراد قلائل.

ان الثقافه الرأسماليه التى تؤكد على المصلحه الفرديه هذا التأكيد المبالغ فيه، انما هى ثقافه استغلاليه يبرر بها المنحرفون الجشعون استثمارهم للآخرين، و سيطرتهم اللامشروعه عليهم،و أنهم ينادون بالملكيه و بالمصلحه الفرديه،و أى مصلحه للفرد فى مقابل مصلحه المجموع؟و أى حرمه و حريه لفرد فى مقابل حرمه و حريه الناس ككل؟و ماذا تعنى هذه الكلمه؟و هل هى مصلحه أم مضره؟ أننا نشك فى أن تكون هذه الكلمه صادقه(المصالح الفرديه)بل الأصح ان تسمى بالمضار الفرديه،فالخير و الشر لا يقاسان بالفرد،بل يقاسان بالمجموع،الخير هو ما ينفع الناس،و الشر ما يضر الناس،فاذا نفعنى شىء و ضرّ الآخرين فهو شرّ، و مفهوم الكلمه منذ البدايه مفهوم شامل جماعى،و لا ريب أن كل شر فى العالم ينفع شخصا ما،فهل يتبدل مفهوم الشر لأنه ينفع شخصا واحدا أو مجموعه صغيره من أبناء المجتمع الانسانى؟! و ربما تكون الآيات الكريمه داله على هذه الحقيقه و هى:ان المصلحه حقا و المنفعه صدقا انما هما بالقياس الى المجموع،و أن الأحكام الشرعيه لا تعطى صفات مطلقه لبعض المفاهيم،فالملكيه الفرديه ليست سداً أمام الإسلام،و كذلك حرمه الإفراد علما بانى لا أنفى اهتمام الإسلام بالملكيه،و لكنه محدود بمصالح الآخرين، و عند ما يبدأ الضرر بالآخرين فان حرمه الملكيه تنتهى.

ان نظره الإسلام للحياه الدنيا و زينتها هى: ان كثيرا من أشياء الحياه الدنيا تبدو أمام الإنسان مفيده، و لكنها عند الله غير مفيده لما يعلم من مستقبلها، فان يشرب الإنسان الخمر، و يجلس على مائده القمار، و يأكل من أموال اليتامى، قد تبدو مفيده و لذيه له حاليا، و لكنها تحمل فى طياتها عواقب سيئه جدا، و العكس كذلك صحيح، فأيهما أفضل الإنسان السالم أم الإنسان المريض؟ قد يكون الإنسان المريض أفضل فى بعض الأحيان، لان الإنسان السالم فى دوله الإرهاب يضعونه فى السجن، أما المريض فيتركونه آمنا فى بيته، و فى بعض الأوقات تكون نظرتنا الى الحياه، غير حكيمه فلا نرى المستقبل فنحب ما يضرنا، و نكره ما ينفعنا. كلا.. يجب ان نرضى برضا الله و نسلم لقضائه فاذا أعطانا ربنا شيئا ليس بذلك الكمال المطلوب، فمن الخطأ ان نصر على الحصول عليه، فباصرارنا قد يأتينا الله به و لكن يكون فى ذلك ضرر لنا.

فمن جمله سنن الله فى هلاك الأقسام فتح أبواب الرحمه عليهم، فاذا فتح أبواب الرحمه كلها على أمه فان ذلك تدبير لهلاكها، و كذلك بالنسبه للإنسان، فاذا رأيت النعم تنهال عليك من كل مكان فالزم الحذر، و كن يقضا، لان هذه النعم قد تكون استدرجا و ان الله يريد ان يجرب أرادتك و قدرتك على المقاومه، و يريد أن يعطيك رزقك مره واحده حتى لا يكون لك نصيب فى الآخره، على الإنسان ان يكون معتدلا و حكيمًا فى تصرفاته مع زينه الحياه الدنيا، و لا يبالغ فيها و لا يطالب ربه ان يعطيه كلها مره واحده.

من جهه اخرى فان علاقه الإنسان بنعم الحياه يجب أن تكون علاقه الشكر و ليست الكفر، و علاقه الزكاه و ليس الطغيان.



ان علاقته الشكر هي:علاقه المحافظه على العوامل و الأسباب التي أدت الى النعمه فاذا قمت بثوره و نجحت فيها،و وصلت الى السلطه،ففكر في الذى دفعك الى السلطه من العناصر البشريه و العوامل المعنويه،و إذا عرفتهما فحافظ عليهما، فاذا حافظت عليهما فأنت شاكر لنعم الله تعالى،أما إذا لم تحافظ عليهما فأنت كافر،و الذى لا يحافظ على الأسباب و العوامل التي أدت الى حصوله على النعمه تتركه النعمه و ربما بلا رجعه،أما علاقته الكفر فهى الإهمال لتلك العوامل. كذلك علاقته الزكاه،فقد جاءت فى القرآن بمعنى:الإنفاق و فى اللغه تأتى بمعنى:التطهير و النمو،و ذلك لأن كل إنفاق و كل عطاء انما هو بمعنى النمو فالإنسان لا تنمو عضلاته الا عند ما يستخدمها فى العمل،و لا ينمو عقله الا عند ما يستخدمه فى التفكير،و لا تنمو قدرات لسانه الا عند ما يستخدمه فى النطق و الكلام،و هكذا فان كل شىء فى الحياه يزكو و ينمو عن طريق العطاء و الإنفاق،و العكس صحيح،فاذا اذخر الإنسان جهوده فسوف تكون هذه الجهود سببا للطغيان،و الطغيان يكون سببا للهلاك و الانتهاء.

هكذا يعطينا القرآن الحكيم-فيما يبدو-درسا فى العلاقه مع زينه الحياه الدنيا،و قد سبق و ان قلنا ان سوره الكهف دروس و عبر تصحح علاقتنا مع الحياه الدنيا و ما فيها من زينه،و أموال،و أولاد..إلخ.

### لماذا بنى الجدار؟

[٨٢] وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ يَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَوْ أَنَّهُمَا لَمَكَدُوا لَافْتَدَىٰ بِهِمَا لَئِنْ كَانُوا هَادِينَ لَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَضْعَافٌ أُكْثَرُ مِنْ أَهْلِهَا لَئِنْ كَانُوا يَرَوْنَ كَذَبًا يَذَّبُونَ

الكنز الذى كان عبارته من دراهم و دنانير، أو كما جاء فى الأحاديث: ان هذا الكنز كان كتباً خاصه باليتيمين، حيث كتب أبوهما فيهما مختلف الأشياء، و احتفظ بها تحت الجدار فأراد الله أن يبلغا سن الرشد و يستخرجا كنزهما و يستفيدا منه، فقد

روى القمى عن الصادق عليه السلام « كان ذلك الكنز لوحاً من ذهب فيه مكتوب بسم الله لا- إله إلا- الله محمد رسول الله، عجبت لمن يعلم ان الموت حق كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يذكر النار كيف يضحك، عجبت لمن يرى الدنيا و تصرف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئن إليها » (١).

ان هذه الآيه و الآيه السابقه تدلان على فكره هامه و هى: ان الله سبحانه و تعالى يكرم الإنسان لأجل أبويه و انه إذا عمل الإنسان عملاً صالحاً فان الله يكرمه ليس فى ذاته فقط و انما فى أبنائه أيضاً، و ان كثيراً من حكم الحوادث فى الحياه التى تقع دون أن نعرف طبيعتها مرتبطه ليس بالشخص ذاته، و انما مرتبطه بشخص آخر، فلربما أكرم الله مريم الصديقه، و أنشأها، و ربّاه منذ نعومه أظفارها تلك التريه الزكيه بسبب والدتها التى نذرت ما فى بطنها محرراً، و أكرم عيسى بسبب أمه مريم الصديقه، و ربما أكرم الله سبحانه كثيراً من الرجال المصلحين الذين ترى فيهم منذ طفولتهم آيات الشجاعه و الذكاء من أجل آبائهم أو أمهاتهم

جاء فى الحديث عن العياشى عن الصادق عليه السلام: « ان الله ليحفظ ولد المؤمن الى الف سنه، و ان الغلامين كان بينهما و بين أبويهما سبعمائى سنه، و قال: ان الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده و ولد ولده و يحفظه فى دويرته و دويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله » (٢).

ص: ٤٤٧

١- (١) تفسير الصافى ج ٣ ص ٢٥٧

٢- (٢) المصدر

و هذا التكريم يشجع على العمل، فحتى لو فكرت أنك لن تحصل على النتيجة في حياتك، و لكن الخير حتما آتاك ان كنت لم تزل حيا، و الا فسوف يأتي من بعدك أبنائك.

كما ان العكس صحيح أيضا حيث: ان الله سبحانه و تعالى قد يكتب هلاك إنسان يعلم انه لو بقي حيا لأضر بالآخرين، و قد قدر هلاك ذلك الغلام لكي لا بسبب طغيانا و كفر لوالديه، فاذا رأيت شيئا لا تفهمه فلا تنكره، فلربما كانت هناك حكمه خفيه من هذه الحكم.

وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا و في نهايه هذه القصة القصيره نذكر كم مره أخرى بأن السعى وراء العلم و الخبره يجب أن يكون هدف الإنسان المؤمن أبدا، و الخبره هي علم الممارسه الحيه لحوادث الحياه، و هذه الخبره هي من حكم الله في الحياه، أو بتعبير آخر هي التي تجعل الإنسان أكثر إيمانا و فهما لحكم الله في الحياه، و بالتالي أقرب الى الأحكام الشرعيه.

ص: ٤٦٨

اشاره

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَّخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَأَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)

اللغة

٨٦[حمته]:ذات حماه(الطين الأسود).

٨٧[نكرا]:منكرا فظيعا.

ص:٤٦٩

٩٤[خراج]: بعض من المال.

٩٥[ردما]: السد و الحاجز الحصين.

ص: ٤٧٠

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث القرآنى عن موقف الإنسان من زينه الحياه الدنيا، تتناول هذه الآيات الموقف السليم من شهوه التسلط، و التى هى أكثر إثارة و أشد جاذبيه من أية زينه أخرى فى الحياه الدنيا، و ضرب الله لنا مثلا من ذى القرنين الذى كان فى العهود السالفه، و الذى لا نعلم بالضبط فيما إذا كان هو الإسكندر المقدونى الذى فتح كثيرا من بلاد العالم انطلاقا من اليونان أو هو ملك من حمير، أو هو الملك الفارسى كورش الأول- كما تؤكد الدراسات الحديثه- أو هو رجل آخر لم يذكر التاريخ لنا المزيد من قصصه، سواء كان هذا أو ذاك فلقد كان رجلا صالحا، لم تخدعه بهارج السلطه، و لم تخرجه الزعامه و السيطرة عن حدود الشرع، و فى هذه القصة يذكرنا القرآن بعده حقائق منها:- أولا: أن ما حصل لذى القرنين من سلطه، إنما كان بسبب منه و سبب من الله، أما السبب الذى كان منه فهو: إتباع هدى الله، و الاستفاده من الإمكانيات المتوفره فى الطبيعه، و أما السبب الذى كان من الله: فقد علمه الله طريق الحياه و سننها،

و أساليب السيطرة عليها و تسخيرها، فعمل في سبيل ذلك بهمه فكان العمل منه و كان من الله التوفيق و البركه.

ثانيا: أن ما قام به ذو القرنين من أعمال كان ضمن إطار قدره الله، و علمه، و إحاطته، فلا أحد يبلغ من السلطه مكانا في ملكوت الله الواسعه إلا بأذن من الله.

ثالثا: كان ذو القرنين رجلا صالحا، لم ينظر إلى الدنيا نظره منحرفه، فحينما أوتى السلطه، أوحى إليه الله (ألهمه إلهاما): أن بقدرتك أن تسير في الناس بما شئت، أما أن تعذب، و أما أن تعمل بالحسنى.

فقال ذو القرنين: إننى سوف أسير فى الناس بالعدل، فمن ظلم فأنى أعذبه، و من لم يظلم فسوف أرحمه.

و انطلق الرجل فى عمله تعميقه للسلطه من قاعده: إنها نعمه و فضل من الله، و أنه يجب أن يستفيد منها استفاده مشروع، ف جعلها لاقامه العدل، و دحض الباطل.

هذه المقاله توحى إلينا بحقيقه أخرى و هى عبره هذه القصة، و هى: إن الإنسان قادر على التغلب على شهواته، و على موقعه الاجتماعى، فلأنك من طبقه الأثرياء أو من حاشيه السلاطين و شريف من الأشراف، هل يجب عليك أن تخضع حتما لسليبات طبقتك أو مركزك أو مالكك؟ كلاً... إن باستطاعتك أن تنفلت من قيود الماده و أن أحاطت بك، و أن تحلق فى سماء القيم، باستطاعتك أن تكون سلطانا أو غنيا و تقاوم سليات طبقتك، و أن تكون شريفا و لا يستبد بك حب الشرف و الجاه فيخرجك عن طاعه الرب.

و القرآن الكريم يعطى الإنسان الثقه بأنه قادر على أن يتفوق على جاذبيه الأرض و الماده. أن هذا الإيحاء المكرر و المستمر فى القرآن الكريم هو حجر الأساس

فى تربيه الإنسان، فلو لا شعور الإنسان بالثقه بذاته، و بقدرته على التغلب على ضغوط الحياه، لما استطاع أن يصبح إنسانا صالحا مستقيما.

رابعاً: أن على المؤمنين أن يعملوا من أجل رفاهيه الإنسان فى الأرض، و أن الإسلام لم يأت لمصلحه طائفه معينه من البشر و ليس هدف الحكومه الإسلاميه بناء دوله قويه ذات صناعه متقدمه، بل عليها أن تسعى من أجل كل المستضعفين فى الأرض، سواء كانوا مسلمين أو لم يكونوا، لأن الإنسان كإنسان محترم فى الإسلام، و على المؤمن أن يعمل من أجل رفاهيه الإنسانيه عامه.

و كذلك الحزب الإسلامى و التجمع الايمانى ليس هدفه السلطه، إنما عليه السعى من أجل الناس، لرفع الضيم عن كل الناس سواء وصل الى السلطه أو لم يصل، نعم.. قد تصبح السلطه أداه لتنفيذ هذه المهمه، و لكن السلطه بحد ذاتها ليست هدفاً.

أن الإسلام لا يدعوك الى العنصريه بأن ترى نفسك أحسن من الآخرين، و تعتبر نفسك مركز الدنيا فتسعى من أجل إيصال نفسك الى مركز القدره، أن تلك العنصريه يعارضها الإسلام بقوه، و هى الانحراف الذى وقع فيه اليهود فى التاريخ، فبعد أن كانوا مجموعه عامله من أجل الناس أصبحوا مجموعه عامله من أجل أنفسهم على حساب الناس، فاعتبروا أنفسهم أبناء الله و شعبه المختار.

لقد كان ذو القرنين عبدا صالحا، تحرك فى العالم شرقا و غربا، و من الطبيعى ان أبناء العالم ذلك اليوم لم يكونوا مؤمنين، و لكنه حينما وصل الى منطقته معينه، و طلب منه أهلها أن يبني لهم سدا، لم ينهرهم بل قال: نعم، أن الله مكنتى و أعطانى السلطه من أجل رفاهيه الإنسان، من أجلكم أيها المحرومون سواء كنتم مؤمنين أو غير مؤمنين، فبني لهم السد و لم يطالبهم بأجر، و هذا مثل أعلى للدوله



فلنفترض أنه قد أصبحت دوله إسلاميه بمثابه أمريكا و روسيا فى القوه و السلطه، فهل تبحث كإمريكا و روسيا عن أسواق جديده لتصدير سلعها؟ و مواد خام جديده لتستفيد منها؟ أو شعوب جديده لتستعمرها؟ كلا..إنما يجب أن تسعى تلك الدوله المسلمه الغنيه من أجل رفاهيه الإنسانيه فى العالم، و تبحث عن أى مظلوم فى العالم فتهرع إليه لتنقذه من الظلم، و تبحث عن أى محروم لتنتشله من الجوع و الحرمان.

هذا هو هدف الأمة الإسلاميه، و هذه فى الواقع هى الحدود التى تفصل بين الأيمان و الجاهليه، فليست الحدود هى الشعارات و الكلمات، و حتى الطقوس و العبادات، إنما المؤمن هو الذى يخرج من ذاته من أجل الآخرين،

«و إنما المسلم من سلم الناس من يده و لسانه» و الدوله الإسلاميه هى التى تخرج من ذاتها من أجل رفاه الآخرين.

### بينات من الآيات:

### عوده للتاريخ:

[٨٣] وَ يَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ أَنْ الذى ينفعنا من التاريخ هو أن نتذكر به و نعتبر، إذ أن الحقائق معلومه، و فطره الإنسان شاهده عليها، و لكن الإنسان ينسى و تحجبه عن الحقائق شهواته و ضغوط حياته، لذلك قال ربنا:

قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا لَدَلِكِ فَأَنْبَأُ الْإِنْسَانَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ، و التاريخ خير من يذكر الإنسان، و القرآن إنما يقص علينا قصص التاريخ لكى يذكرنا و يوجهنا من خلالها.

هناك ثلاثة آراء فيه:

١- قال البيروني و قوم من المفسرين إنه ملك من الحمير في اليمن، و ملوك اليمن تبدأ أسمائهم بكلمه (ذى) و السد هو سد المأرب المعروف، بيد أن شواهد التاريخ لا تؤيد هذا الرأى، لأنه لم يعرف ملك من اليمن امتلك الشرق و الغرب، و لأن سد المأرب لا تنطبق عليه مواصفات القرآن للسد.

٢- و دافع الرازى و جماعه عن الرأى القائل بأنه الإسكندر المقدونى، لأنه ملك الشرق و الغرب، و لأن قصته كانت معروفه عند الناس فسألوا النبى عنها، إلا أنه ناقش فى هذا الرأى أيضا بأن الإسكندر كان تابعا لأرسطو، و تعاليم أرسطو لم تكن إلهيه فلا تنطبق عليه آيات القرآن، علما بأنه لم يعرف عنه بناء سد بتلك الصفات التى يذكرها القرآن.

٣- أما الباحث الهندى المسلم (أبو الكلام آزاد) الذى شغل لفته ما منصب وزاره الثقافه الهنديه فقد رأى أنه كان كورش الكبير الذى فتح الشرق و الغرب و قدم بحثا مفصلا فى ذلك و أستدل على رأيه بأن الرجل صالحا حسب ما نقل عن المؤرخين اليونانيين، مثل هرودوت، علما بأنهم أعداؤه، و أن اليهود يقدرونه لأنه أنقذهم من أعداء الدين، و يعتقد أنهم إنما سألوا عنه النبى لوثيق العلاقه بينهم و بينه و لوجود إشاره إليه فى كتبهم، و أضاف الباحث أنه وجد فى حفريات منطقه الاستخر تمثال لكورش له جناحا عقاب و على رأسه تاج فيه قرن كبش مما يتناسب و معنى ذى القرنين عند بعض المفسرين.

و أيد رأيه أيضا بأن السد الحديدى الموجود حاليا فى جبال «قوقاز» فى منطقه تسمى حاليا (داريال) بين وادى «ولادى كيوكز» و وادى «تفليس» تنطبق عليه

توصيف القرآن للسد علما بأن كورش هو الذى بناه،دفاعا عن أهل المنطقه فى مواجهه قبائل «أجوج و مأجوج»المتوحشه التى كانت لهم هجمات على البلاد المتحضره طوال التاريخ،حيث كانت الأخيره منها بقيادة جنكيز خان المغولى (1)هذا.و لكن الأحاديث الواردة فى قصه ذى القرنين تتناسب و هذا القول و الله أعلم.

[٨٤] إِذَا مَكَدْنَا لَهُ فِي الْمَارِضِ وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا مَكَدَ اللَّهُ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِي الْأَرْضِ، وَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ تَعْرِيفِهِ بِالْأَسْبَابِ وَ الْعِلَلِ، فَمَا الْقَرْنَيْنِ عَلِمَهُ اللَّهُ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ، وَ اسْتَطَاعَ عَنْ طَرِيقِ عِلْمِهِ أَنْ يَتِمَكَّنَ فِي الْأَرْضِ وَ يَسْخَرَ الطَّبِيعَةَ.

[٨٥] فَاتَّبَعَ سَبَبًا لَقَدْ تَحَرَّكَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي طَرِيقِ السَّبَبِ، وَ اخْتَارَ أَحَدَ الْأَسْبَابِ وَ اتَّبَعَهُ بَعْدَ أَنْ أَتَاهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، أَنْ عِلْمَ الْإِنْسَانِ كَثِيرٌ، وَ لِذَلِكَ فَهُوَ يَخْتَارُ مِنْ بَيْنِ مَعْلُومَاتِهِ عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَطْبِقَ عَمَلِيًّا فِي إِطَارِ حَيَاتِهِ الْمَحْدُودَةِ، وَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَ كُلَّ مَا يَعْلَمُ فَأَنْ حَيَاتِهِ لَنْ تَكْفِيَ لِدَلِّكَ حَتْمًا.

### سياسه العدل:

[٨٦] حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَ حَيْدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا وَصَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى آخِرِ الْأَرْضِ الْمَسْكُونَةِ غَرْبًا، وَ حِينَمَا وَقَفَ هُنَاكَ رَأَى الشَّمْسَ تَسْقُطُ فِي بَحْرٍ أَوْ مَسْتَنْقَعٍ مَائِيٍّ أَوْ مَا يَشْبَهُ ذَلِكَ وَ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي الْبَرِّ فَأَنَّهُ يَرَى الشَّمْسَ وَ كَأَنَّهَا تَسْقُطُ فِي الْأَرْضِ الْمَلْسَاءِ، وَ إِذَا كَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ يَرَى

ص: ٤٧٦

و كأنها تسقط في جانب من البحر، و إذا كان في مكان وراءه مياه آسنه حينئذ يرى الشمس فيها. الحمأه: الطين الأسود العفن، و يبدو أن المنطقه التي بلغها ذو القرنين غربا، كانت مليئه بالمياه الآسنه، حتى اعتقد أن الشمس تسقط فيها، و يقال: إنه وصل الشاطئ الغربي لمنطقه آسيا الوسطى حيث يرى الشمس و كأنها تسقط في الخليجان العديده المنتشره في منطقه ازمير بتركيا، و لعل المنطقه كانت في ذلك العصر مليئه بالمياه الآسنه لكثرة هطول الأمطار في هذه البقعه من العالم في ذلك اليوم كما تشهد على ذلك البحوث العلميه الحديثه.

قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسَيْنًا كَانَ أَمَامَ ذِي الْقُرْنَيْنِ وَ هُوَ صَاحِبُ السُّلْطَانِ أَنْ يَتَّخِذَ أَحَدَ الطَّرِيقَيْنِ، أَمَّا طَرِيقَ الْجُورِ وَ الْإِرْهَابِ، وَ أَمَّا طَرِيقَ الْعَدْلِ وَ الْإِصْلَاحِ.

[٨٧] قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا يَقُولُ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ أَنَّ الظلم هذا هو الشرك. و أن الله إنما خير ذا القرنين بين التعذيب و التيسير، لأن أولئك الناس كانوا كفارا، و كان يمكنه أن يعذبهم حتى ينزعوا عن الكفر، كما أنه كان يمكنه أن يبدأهم بالدعوه فمن آمن منهم عدل معه، و من أشرك عامله بالعنف، قال العلامة الطبرسي في مجمع البيان: (في هذا دلالة على أن القوم كانوا كفارا، و المعنى أما أن تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك، و أما أن تأسره و تمسكهم بعد الأمر لتعلمهم الهدى، و تستنقذهم من العمى (١) و يبدو أن هذا التفسير أصح و يدل ذلك على: أن السلطه الإسلاميه هي السلطه التي تتعامل مع الناس حسب معتقداتهم، و لكنني أرى أن الظلم هنا إنما هو بمفهومه المعروف كاغتصاب حقوق الآخرين، بدليل قوله سبحانه و تعالى:

ص: ٤٧٧

[٨٨] وَ أَمَّا مَرْنُ آمِرِنَ وَ عَمَلٌ صَالِحاً مما يدل على أن السلطه الإسلاميه تعامل الناس على أساس أعمالهم و ليس على معتقداتهم، صحيح أن المعتقدات تنتهى فى الأعمال، و الأيمان ينتهى الى العمل الصالح و الشرك ينتهى الى الظلم، و لكن المهم أن الجزء ليس بالمعتقدات و إنما على الأعمال.

فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسَيْنِ وَ سَيَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُشِيرًا لقد أدى إيمان ذى القرنين بالله و اليوم الآخر الى اتخاذ السياسه الصحيحه فى الحكم و الإدارة، و هى إتباع العدل و الحق، و خدمه الناس و تيسير أمور الرعيه، و تحريرهم من الروتين و البيوقراطيه التى يتبعها الحكام المنحرفون.

[٨٩] ثُمَّ أُتْبِعَ سَبَبًا ذُو الْقَرْنَيْنِ استفاد أيضا من الأسباب، و استخدم عمله و علمه فى طريق آخر نافع.

[٩٠] حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَ حِدَهَا تَطَّلَعَ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا أين وصل ذو القرنين شرقا؟ لا أعلم، إلا أن المنطقه كانت بدائيه حيث أن القوم فيها لم يكن يملكون بيوتا تكتنهم من حرارتها، كما

جاء فى حديث مأثور عن الباقر (عليه السلام):

«لم يعلموا صنعه البيوت» (١).

و قال البعض أن المنطقه كانت سهلا بحيث تظلمها الجبال و لعلمهم كانوا يفتقرون

ص: ٤٧٨

١- ١) الصافى ج ٣ ص ٢٦٢

الى الثياب أيضا.

[٩١] كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَمَدَيْهِ خُبْرًا هذا التحول من المغرب الى أول المشرق كان دليلا على قدره ذو القرنين و سلطته، و لكنها لم تكن بعيدة عن سلطه الله، فقد كان الله محيطا به.

[٩٢] ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا [٩٣] حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ حَسَبَ الظاهر، و قد سبق الحديث عن انه قد يكون فى منطقه القوقاز و هكذا تكون حملته شماليه.

وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا كانت لغه هؤلاء بعيدة جدا عن تلك اللغه التى كان يتحدث بها ذو القرنين، بحيث لم يكف يفقهها، و إنّ الله الذى علم الإنسان البيان أوجد وسيله للتفاهم بين الطرفين.

### يأجوج و مأجوج:

[٩٤] قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَاْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ يقال ان يأجوج و مأجوج هى قبائل مغوليه بدويه، كانت تغير على تلك البلاد، فتعيث فيها فسادا، و لعل ذو القرنين قد سار الى تلك البلاد لمقاومه خطرهم (على تفسير انه كورش الكبير)..

ص: ٤٧٩

فَهَلْ نَجْعِلُ لَكَ خَوْجًا عَالِيًّا أَمْ تَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سِدًّا مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْبِلَادَ أَنَّهُمْ يَقْدُمُونَ خِدْمَةَ لِلنَّاسِ، وَ لَكِنَّهُمْ فِي مَقَابِلِ ذَلِكَ يَسْتَعْمِرُونَ الْبِلَادَ، وَيَسْتَغْلِقُونَ مَوَارِدَهُ، وَيُرِيدُونَ مِنْ أَهْلِهَا أَنْ يَوْقِعُوا عَلَيَّ وَثِيقَةَ الْعِبَادَةِ الْكَامِلَةَ لَهُمْ، وَ هَؤُلَاءِ أَيْضًا ظَنُّوا أَنَّ ذَا الْقُرْنَيْنِ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّلَاطِينِ وَ الْمُلُوكِ، وَ يَبِيدُونَ أَنَّهُمْ اسْتَعَدُّوا لِإِعْطَاءِ الْمَزِيدِ مِنْ خَيْرَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِ دَرَّةٍ خَطِرٍ يَأْجُوجُ وَ مَاجُوجَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ.

و لكن ذَا الْقُرْنَيْنِ لَمْ يَطَالِبْهُمْ بِالْخُرَاجِ، أَوْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ مَالًا، وَ إِنَّمَا.

[٩٥] قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ إِنَّ اللَّهَ مَكِّنِي وَ سَخَّرَ لِي الْحَيَاةَ مِنْ أَجْلِ خِدْمَتِكُمْ وَ خِدْمَةَ الْمَحْرُومِينَ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، ثُمَّ إِنِّي أَبْحَثُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعِ لِاسْتِغْلَالِ الْحَيَاةِ، بَلَى.. إِنَّ السُّلْطَنَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَسْخَرَ النَّاسَ لِأَهْدَافِهَا، وَ تَسْتِثْمِرُ مَوَارِدَهُمْ، فَانْهَاجَ لَا تَدُومُ، إِنَّمَا إِذَا عَمِلْتَ مِنْ أَجْلِ اسْتِغْلَالِ مَوَارِدِ الطَّبِيعَةِ مِثْلًا، تَسْتَفِيدُ مِنَ الْأَرْضِ الْبُورِ وَ تَبْدَأُ بِتَصْنِيعِ الْبِلَادِ وَ اسْتِخْرَاجِ مَعَادِنِهَا فَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ وَ خَيْرُ الشَّعْبِ.

فَمَا عَيْنُونِي بِقُوَّةِ أَجْعِلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا لَقَدْ طَالِبْتُهُمْ ذُو الْقُرْنَيْنِ فَقَطَّ بِطَاعَتِهِ فِي طَرِيقِ بِنَاءِ السَّدِّ (الرَّدْمِ) أَيِ التَّعَاوُنِ مَعَهُ فِي سَبِيلِ إِنْجَازِ الْمَهْمَاتِ الصَّعْبَةِ وَ هَذِهِ هِيَ الْعِلَاقَةُ الْمِثْلِيَّةُ بَيْنَ السُّلْطَنِ وَ الشَّعْبِ.

اشاره

آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعِيدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)

اللغه

٩٦[الصدفين]:جانبي الجبلين.

[قطرا]:نحاساً مذاباً.

٩٧[نقبا]:خرقا و ثقبا.

٩٨[دكاء]:أرضاً مستويه.

ص:٤٨١



هدى من الآيات:

ماذا فعل ذو القرنين شكرا لنعمه السلطه و القوه التي و هبها ربه له؟ و ماذا كان موقفه من هذه الزينه الحياتيه؟ و ماذا ينبغي أن يكون عليه موقف المؤمنين الصالحين من زينه الحياه الدنيا؟ كل ذلك مما تذكره هذه الآيات الكريمه، في سلسله أحداث القرآن في سورة الكهف، عن علاقه الإنسان بالطبيعه، لقد بنى ذو القرنين سدا منيعا لا يخترق لقوم لا تربطه بهم علاقه الا علاقه الخدمه الانسانيه، و رفض أن يأخذ منهم أجرا أو يطالبهم بشكر، انما هو الذي شكر ربه الذي وهب له هذه القدره.

و لقد شكر ذو القرنين ربه مرتين، مره حينما استخدم القدره في سبيل منفعه الناس و مره حينما استخدم عمله و سبله لهدايتهم، و كشف للناس أن هذه القوه مما وهبه الله له من فضله و عرف بأن حاجه الناس الى الرساله و الهدايه أعظم من حاجتهم الى قوته و سلطته، فاستخدم تلك اللحظه التي شعر فيها أولئك الذين كانوا

يتعرضون لهجوم مرعب كل عام مرتين بالأمن و الراحة عند ما رأوا ان الله قد أنقذهم على يديه،استغل ذو القرنين تلك اللحظه فى سبيل توجيه الناس و هدايتهم،و هذا منتهى ما يستطيع أن يقوم به صاحب سلطان أو صاحب قوه،فهو حين يعطى ماله- مثلا- فيشبع جوعه مسكين أو يغنى فقيرا،أو يؤوى يتيما،لا يكتفى بذلك،و انما يبدأ بهدايه ذلك الفرد،فيقول:هذا المال ليس لى،و انما هو لك،و انه فضل من ربي،ان الله قد يعطيك خيرا من هذا المال،و هكذا يتحدث اليه فيفيده بحديثه أكثر مما يفيد به ماله.

جاء للإمام الحسين (عليه السلام)فقير يطلب منه حاجه،فأخذ أربعة آلاف درهم و جعلها فى طرف عباءته،ثم فتح جانب الباب و دفعها له،مستحيا منه لكى لا يجعل الفقير يحس بالخنوع،و لكى يربيه و يزكيه، و يبين له ان إعطاء المال بحد ذاته ليس خدمه،و انما الخدمه الحقيقيه هى الأسلوب المهذب المتواضع،و بالتالى فان الامام يعطيه من التريه أكثر مما يعطيه من المال.

و

الامام على عليه السلام يأتيه رجل و يطلب منه حاجه،فيشير اليه الامام بأن:أكتب حاجتك،و لا تقلها مشافهه.

لكى يوفر عليه ماء وجهه،و بذلك يعطيه من التريه أكثر مما يلبي حاجته الماديه.

هذا هو الموقف السليم الذى يجب ان يتحلى به المؤمنون،فيشكرون ما أعطاهم الله عليهم من فضله و يبنون علاقتهم بالآخرين على هذا الأساس.

و هناك درس آخر نستفيدة من الآيات و هو:موقف الناس من صاحب السلطه، و أنه مهما كان عليه ذو القرنين من سلطه كبيره و عظيمه،فان هذه السلطه من الله و بالله والى الله،و يوم القيامه يحشر الناس الى ربهم لا الى سلاطينهم أو أغنيائهم،

ص: ٤٨٣

و كل الناس فى يوم القيامة سوف يختلطون ببعضهم و يموج بعضهم فى بعض، من دون ان يعرف هذا سيد و هذا مسود، و هذا كبير و هذا صغير- بل يكونون كالنحل الذى يدخل بعضه فى بعض عند الخليه من دون ان تكون هناك ميزه لواحده دون أخرى- لا لكبير على صغير، و لا لرجل على أنثى، و لا لشيخ على شاب، لأن الناس سيقفون على صعيد واحد عند ما يحشرون الى ربهم، اذن فلتسقط هذه الاعتبارات الذاتيه، و ليرتفع الإنسان الى مستوى القيم.

## بينات من الآيات:

### بناء السد:

[٩٦] آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ آى وَقَرُوا لى قطع الحديد، و الزبر هى القطع المجتمعه من شىء، سواء كان ماديا كالحديد أو معنويا كالفكر، فالكتاب السماوى يسمى زبورا لان فيه أفكار مجتمعه الى بعضها، و كذلك الحديد الذى يجتمع الى بعضه يسمى أيضا زبرا.

و بعد ان طلب أهالى البلاد من ذى القرنين ان يساعدهم فى محتتهم، جمعهم ذو القرنين و نظم قواهم، و طلب منهم أن يجمعوا قطع الحديد التى كانت متوفره فى بلادهم، ثم أمرهم بأن ينفخوا فى النار حول هذه القطع الحديديه، فاشعلوا النار و أخذوا ينفخون فيها كما ينفخ أصحاب صناعه الحديد قديما فى النار بطريقتهم الخاصه.

قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا تَهَبُ الْحَدِيدَ مِنْ شِدَّةِ النَّارِ وَ هَكَذَا تَحَمَّتِ الْقَطْعَ الْحَدِيدِيَه بِبَعْضِهَا، و لم يكتف بذلك بل.

قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ثُمَّ طَالِبُهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ بِالنَّحَاسِ الْمَذَابِ، ثُمَّ يَصُبُّونَهُ عَلَى الْقِطْعِ الْحَدِيدِيِّهِ الْمَحْمَاهِ، ثُمَّ يَتْرَكُونَهَا مَدَّةً حَتَّى تَبْرُدَ، فَإِذَا بَسَدَ عَظِيمٌ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ مَبْنَى مِنْ قِطْعِ الْحَدِيدِ الْمَتَلَاصِقِهِ بَعْضُهَا، وَعَلَيْهَا النَّحَاسُ.. يَزِيدُهُ قُوَّةً لِأَنَّ الْحَدِيدَ تَتَضَاعَفُ قُوَّتُهُ مَعَ النَّحَاسِ كَمَا يَقُولُ أَصْحَابُ الْفَنِّ، يَسُدُّ الْخَلْلَ بَيْنَ قِطْعِ الْحَدِيدِ. وَيَمْنَعُ عَنْهُ الصَّدَأَ.

وإذا كان هذا السد هو الموجود حاليا في منطقته القوقاز فان سلسله الجبال التي تشكل حاجزا طبيعيا بين مناطق المغول و منطقته القوقاز تكون قد اكتملت بهذا السد و أصبحت كحائط عظيم حيث ان مكانه هي الثغره الوحيده فى المنطقه و لقد كان من أروع الانجازات المعاريه فى ذلك اليوم و لعله حتى اليوم يعتبر أقوى سد فى العالم.

[٩٧] فَمَا اسْتِطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتِطَاعُوا لَهُ نَقْبًا كَانَ مَرْتَفَعًا بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِيعَ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ أَنْ يَتَسَلَّقُوهُ، وَ كَانَ مَتِينًا بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَنْقُبُوا مِنْ تَحْتِهِ نَقْبًا، وَ لَعَلَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ قَدْ حَفَرَ حَفِيرَهُ كَبِيرَهُ وَ جَعَلَ الْجِدَارَ الْحَدِيدِيَّ رَاسِخًا فِيهَا بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُهُمُ النَّقْبُ أَيْضًا عَلَى الْمَنْطِقَةِ الصَّخْرِيَّةِ الصَّلْبَةِ.

ان كل ما قام به ذو القرنين، إعطاء الخبره، و تنظيم قوه الناس فى بناء هذا السد، فهو لم يأت بالحديد، و لا بالقطر، و لا بالقوه البشريه من بلده، كل الامكانيات كانت موجوده و متوفره، و مع ذلك لم يتمكن أهالى تلك البلاد من الاهتداء الى مثل هذا العمل، أما للاختلافات الموجوده بينهم، أو لعدم تنظيم قواهم، أو لنقص فى خبرتهم الحضاريه، فلم يعرفوا أنه من الممكن ان يجمعوا قطع الحديد الى بعضها، و يفرغوا عليها قطرا حتى تصبح سدا منيعا، و هذا ما يؤكد على

ان السلطه القويمه هى السلطه التى تجمع قوى الناس و تعبؤها فى سبيل مصلحتهم.

نحن نرى بلادنا تفتقر الى الصناعات الثقيله برغم توفر كل الإمكانيات لديها لانشائها. لماذا؟ لأن ذلك يستدعى تعبئه طاقات الامه كلها، فالسلطه يجب ان تبني الجامعات لكى تتوفر الكوادر القياديه من العلماء، و الفنانين، و الأخصائيين، الذين يمكنهم الاستفاده من الامكانيات البشريه، و الماديه بهذه الأمور، و هذه هى الفوائد الاساسيه للسلطه الحكيمه و عليها ان تستخرج المعادن، و تبني المشاريع الضخمه لتوفير الطاقه من بترول و كهرباء و عليها ان تمد الجسور و الطرق. و تبني الموانئ ثم توفر الخطه و المال و القوانين المنسقه من أجل بناء صناعات ثقيله، و هناك يبدأ دور التعب فى السعى و الكد و الإبداع.

## وعد الله:

[٩٨] قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَ كَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا أَظْهَرَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي أَعْجَبَ النَّاسَ فِيهَا بَعْبَقْرِيَّتَهُ وَ أَكْبَرُوهُ أَيَّمَا إِكْبَارِ أَظْهَرَ عَجْزَهُ أَمَامَ اللَّهِ لِكَيْ لَا يَفْتِنَ النَّاسَ بِهِ إِنَّمَا يَعْبُدُوا رَبَّهُمْ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا السَّدَّ سَدٌّ مَنِيْعٌ وَ هُوَ عَمَلُ حَضَارِي عَظِيمٍ، وَ لَكِنْ سَيْتَهَاوِي حِينَمَا يَأْتِي وَعْدُ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ يَوْمَ ظَهْوَرِ الْحِجَّةِ، أَوْ يَوْمَ انْتِهَاءِ مَفْعُولِ السَّدِّ تَتَقَدَّمُ الْبَشَرُ حَضَارِيَا كَعَصْرِنَا الْيَوْمِ، أَوْ يَوْمَ يَضْعَفُ إِيمَانُ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا أَمَامَ السَّدِّ، لَا نَعْلَمُ إِنَّمَا الْمَهْمُ أَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ سَيْتَهَاوِي السَّدَّ، وَ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ.

انه وعد الله يأتي حتما و ليس فى ذلك أى ريب، و على الناس أن لا يناموا على

حرير الأمل، و إنما يكون عندهم احساس بالخطر المستقبلي، فيعملوا كل ما في وسعهم لتفاديه.

[٩٩] وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضِ النَّاسِ يَصْبِحُونَ وَ كَانَهُمُ النَّحْلُ، أَوْ كَانَهُمُ الطَّيْرُ فِي السَّمَاءِ يَخْتَلِطُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَ تَنعَدُّ المِيزَاتِ كُلَّهَا بَيْنَهُمْ.

وَ نُفَيْخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاَهُمْ جَمْعاً عِنْدَ مَا يَنْفِخُ فِي الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَانْ كُلُّ النَّاسِ يَأْتُونَ فُوراً وَ دُونَ أَيِّ تَلَكُّوْ فَلَا أَحَدٌ يَرْفُضُ، وَ لَا أَحَدٌ يَتَكَبَّرُ، وَ لَا أَحَدٌ يَتَكَاسَلُ، وَ هَذَا دَلِيلٌ عِزَّهُمْ، وَ دَلِيلٌ شَعُورَهُمْ بِالتَّسْلِيمِ المَطْلُوقِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَمْ يَكُنْ.

[١٠٠] وَ عَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضاً يَرَى الْكَافِرُونَ يَوْمَئِذٍ طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ وَ دَرَكَاتِهَا المَلْتَهَبَةَ، وَ حَيَاتِهَا الرُّهَيْبَةَ كَالْتَلَالِ وَ عَقَارِبِهَا الضَّخْمَةَ كَالْبَغَالِ، فَيَمْتَلِئُونَ رَعْباً وَ يَأْساً، وَ يَعْتَصِرُهُمُ النَّدَمُ عَلَى مَا عَمَلُوهُ فِي الدُّنْيَا وَ لَاتِ حِينَ مَنَدَمِ.

[١٠١] الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي هَذَا الْغِطَاءِ هُمُ الَّذِينَ وَضَعُوهُ عَلَى أَعْيُنِهِمْ، بِاتِّبَاعِهِمْ لِأَهْوَائِهِمْ وَ شَهَوَاتِهِمْ، وَ بِخُضُوعِهِمْ لِلتَّضَلُّيلِ الْإِعْلَامِيِّ الْكَافِرِ الَّذِي يَحَاوِلُ جَهْدَهُ فِي أَنْ يَحْجِبَ أَنْوَارَ الْحَقِيقَةِ عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ الْغِطَاءُ سَيَتَمَزَّقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَرَى أَصْحَابَهُ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ مَصِيرٍ أَلِيمٍ وَ عَذَابٍ مُقِيمٍ.

وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمِعًا لَقَدْ أَغْمَضُوا عَيْونَهُمْ، وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رُؤْيِهِ الذِّكْرَ غِطَاءً مِنْ كِبْرِيائِهِمْ وَغَفَلَتِهِمْ وَعِنَادِهِمْ كَمَا جَعَلُوا فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَذَلِكَ الْوَقْرُ هُوَ الْآخِرُ نَائِبٌ مِنْ كِبْرِيائِهِمْ وَغَطْرَسْتِهِمْ وَتَعَالِيهِمْ الْكَاذِبُ.

ص: ٤٨٨

اشاره

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنْ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِينَةً (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)

اللغه

١٠٢ [نزلا]: النزول هو ما يهوى للضيف.

١٠٥ [وزنا]: قيمته و اعتباره.

١٠٨ [حولا]: تحولا و انتقالا.



١٠٩ [مددا]: الأمداد المساعده.

ص: ٤٩٠

هدى من الآيات:

عادة ما تكون بدايات السور القرآنية و نهاياتها تلخيصا لموضوعها الرئيسي، و إلقاء للضوء على مجمل الأفكار التي بحثت في آياتها.

و في نهاية سورة الكهف التي حدثنا عن سلسلتين متوازيتين و مرتبطين مع بعضها من الأفكار، و هما الحديث عن موقف الإنسان من الطبيعة و زينة الحياه الدنيا، و الحديث عن العلم و الذكر و كيفية الحصول عليهما، نجد تلخيصا لهذين المبحثين.

الدرس الأخير يحدثنا عن أولئك الذين يتخذون عباد الله من دونه أولياء و لعل مناسبة الحديث ذكر قصه ذى القرنين صاحب السلطه الشامله الذى لم يكن سوى عبد صالح. و لم يكن لأحد ان يعبده من دون الله و هكذا تخوف آيات هذا الدرس من يعبدون البشر، و تحذّرهم بأن جهنم هي مصيرهم المحتوم، ثم تشير الى جذر هذه المشكله و هي التبرير و الخداع الذاتى، حيث يعتبر ذلك فى الواقع من أخطر الأمراض

ان المصاب بهذا الداء يعتقد أن ما يعمل صالح، بينما هو في جوهره فاسد، وهكذا تصبح كل تطلعاته الخيره وراء ذلك العمل، و تصبح وقودا للسير الحثيث في الطريق الخطأ، فلا يصل الى شيء من أهدافه، بل يجد كل الخساره في انتظاره.

و هذا الداء لا- يصاب به الإنسان الا في المراحل المتقدمه من ضلالتة، ففي البدايه تظل النفس اللوامة تحذّره من الانحراف و نتائج الوخيمه، و يظل ضميره يوبّخه، كما ان عقله يظل يضىء له شيئا من الطريق الصواب، بالاضافه الى أنه كثيرا ما يجد من ينصحه و يعظه و يبين له الحقائق، لهذا يبقى له أمل بأن يقوم ما أعوجّ من أمره.

و لكنه إذا استمرّ و عاند، فآئذ يسلب الله منه ضميره و عقله، و يجعل على بصره غشاوه و في سمعه و قراء، و يختم على قلبه، و ينفضّ الناصحون من حوله، ليحل محلهم من يزيّن له السوء و يشجعه عليه، فينتهى به الأمر الى أن يكون شيطانا مريدا.

ثم يبين القرآن حقيقه هامه هي: ان ما يحسبه الإنسان ذا شأن خطير في حياته الدنيا، من مال، و بنين، و جاه، و سلطه و ما أشبه هو عند الله تافه الا إذا سار في طريقه المستقيم.

و فور ما يحدثنا القرآن عن ضلاله الإنسان في الحياه الدنيا، يذكر لنا هذه الشهوات التي تحجب قلب الإنسان و توقعه في هذه الضلاله، و تكون السبب في وصوله الى ذلك الدرك الأسفل، حيث يعمل شرًا و يحسب أنه عمل صالحا.

ثم يعرج القرآن الى الجانب الآخر حيث المؤمنون الصالحون عملا- يسكنون الفردوس و هي أعالي الجنان، و حينما يدخل الإنسان ذلك المكان يجد أنه قد خلق

له، فلا يجد في نفسه طمعا و لا طموحا و لا تطلعا آخر، لأن جنه الفردوس هي في مستوى طموحاته و تطلعاته، ذلك الإنسان الذي لا يرضيه شيء في الدنيا، و الذي إذا حصل على القارات السبع فإنه يريد أن يصعد الى النجوم و يحصل عليها، و عند ما يرى الجنه يقول: كفاني و لا أريد عنها انتقالا.

و بالمقارنه بين هاتين الصورتين، صوره الإنسان الذي تتحقق طموحاته كلها في الآخرة، و صوره الإنسان الذي يعيش في الدرك الأسفل. هناك، و هو يحسب أنه كان يحسن صنعا في الدنيا نتوصل الى معرفه الفرق بين طريق الحق (و هذه نهايته) و طريق الضلال (و تلك عاقبته).

هذه الحقائق هي من كلمات الله التي لا تنفذ، و هي المعارف و الهدى و التوجيهات التي هي انعكاس عن سنن الله في خلقه للطبيعه و الإنسان، و لذلك على الإنسان أن لا يغتر بعلمه المحدود و يعتقد أنه قد فهم كل شيء، فهذا الغرور هو الذي يسبب اعتقاده بأنه على الصراط المستقيم، بينما الحقيقه عكس ذلك تماما.

و تنتهي هذه السوره بتلخيص فكره الاستفاده من فيض هذه الكلمات التي لا- تنفذ و لو كان البحر مدادا لكتابته، و هي عبادته الإنسان لله، و إخلاص طاعته له، و العمل برجاء لقائه.

### بينات من الآيات:

[١٠٢] أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنْ أَكْثَرَ الْكُفْرَ لَا يَكُونُ إِنْكَارٌ بِإِنْكَارِ وَجُودِ اللَّهِ ذَاتِهِ، و انما يتخذ صورا أخرى و من أهمها: انكار ولايه الله و حاكميته التشريعيه على البشر، فنجد كثيرا من الكفار في الأزمنه السابقه و هكذا في زماننا الحاضر يقرون بأن الله هو خالق السماوات و الأرض و كل ما فيهما، و لكنهم يضعون تشريعات من عندهم لاداره حياتهم

اجتماعيا، و سياسيا، و اقتصاديا، و غير ذلك بزعم أن الله لم ينزل تشريعا سماويا عليهم، بل تركهم فى هذه الحياه سدى.

إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ان زعم هؤلاء لا يقوم على حجه سليمه و لا على دليل مقنع، بل ان كل الحجج و الأدله المنطقيه تناقضه و تؤيد ما هو ضده، و لذلك فإنهم بهذا يعرضون أنفسهم لسخط الرب الذى أعد لهم مكانا يليق بهم و هو جهنم.

### الأخسرون أعمالا:

[١٠٣] قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا [١٠٤] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا قديما حينما كانوا يريدون التأكد من جنون شخص كانوا يحضرون له برمبلا- بلا- قعر، و يطلبون منه أن يملأه ماء، فان كان عاقلا امتنع عن ذلك، و ان كان مجنونا فانه يشرع فى العمل بجد.

و الأخسرون أعمالا- هم كهذا المجنون، يبذلون مساعيهم و جهودهم فى الحياه ثم لا- يقبضون شيئا، كمن يصطاد الهواء بالشبك، انهم لا يعلمون ما هو الشىء الباقى و ما هو الشىء الزائل فمثلا يتعب الواحد منهم على أولاده، و يضع جهوده و دينه و قيمه عليهم حتى يكبروا، و ما ان يبلغوا أشدهم و يعتمدوا على أنفسهم حتى يتركوا أباهم و حيدا فى حسرتة، و أقصى ما ينفعونه تشييعه الى مثواه الأخير، و قراءه الفاتحه على روحه أما فى القبر و المحشر و عند الميزان فلا يغنى أحد عن أحد شيئا.

و كذلك عند ما يسعى الإنسان من أجل الأموال ليكترس الملايين فوق بعضها،

لقد مات (فورد) صاحب شركة السيارات المعروفة في خزائن أمواله، حيث كانت عنده خزانه حديديه ضخمة مؤلفه من عدة غرف متداخله لكل منها باب، و كان يحتفظ بذهبه و مجوهراته و أشياءه الثمينه في الغرفه المركزيه، و في يوم دخل الى مكانه المحبب هذا ليتمتع ناظره و يرفه قليلا عن نفسه و كان كلما يدخل بابا يوصده من ورائه، حتى إذا دخل في غرفه السعاده أو صدها على نفسه، و قد نسي المفتاح في الخارج، و عند ما شيع من النظر الى متاع الدنيا الرخيص أراد الخروج فلم يقدر، فظل يصرخ و يصرخ، و لكن صوته لم يكن ليخترق تلك الجدران الحديديه المتراكبه فوق بعضها، فمكث عدّه أيام على هذا الحال الى أن مات.

ان هذا الإنسان الضال لم تنفعه أمواله، و لم تنقذه من الجوع و العطش في الدنيا حيث المال له قيمه، فما بالك في الآخره حيث لا قيمه للمال إطلاقاً؟! [١٠٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ ان السبب في وصول الإنسان الى هذا الدرك الأسفل هو: اعراضه عن آيات الله، و عدم استعداده للقاءه، و هذا هو الكفر بالمبدأ و المعاد.

و أساسا يؤمن الإنسان وجدانيا بالله، و يبحث بفطرته عن المعاد، و لكن من الصعب عمليا أن يصل الإنسان الى مستوى الايمان بالله و اليوم الآخر، لذلك فهو يحتاج الى مزيد من الاراده و العزم ليصعد على هذه القمه فيحوّل ايمانه من اطار الفطره و الوجدان الى اطار العمل و التطبيق.

ان نفوس الكفار أصغر، و عزائمهم أضعف، و همهم أتفه من أن تصل الى حقيقه الايمان، لذلك تجدهم ينكرون آيات الله و يكذبون بلباقته.

فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

ص: ٤٩٥

ان أعمال الإنسان لا- تحفظ الا- فى اطار الايمان بالله و اليوم الآخر، كما يحفظ الماء فى البرميل السليم، أما وضع أعماله فى أى ظرف آخر فسوف تكون كالماء الموضوع فى برميل لا قعر له.

فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا بِرِغْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا أَثْرِيَاءَ وَأَصْحَابَ سُلْطَةٍ وَجَاهٍ، وَكَانَ لَهُمْ وَزْنٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتُونَ وَ لَيْسَ لَهُمْ أَى وَزْنٍ وَ لَا كِرَامَةٍ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، وَ سَوْفَ يَكُونُونَ أَذْلَ النَّاسِ وَ أَحْقَرَهُمْ هُنَاكَ.

[١٠٦] ذَلِكِ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي هُزُوءًا ان الإنسان عند ما يلجأ الى الهزاء و السخرية فى مقابل الحقيقة و من يحملها، فانه يكون فى أقصى درجات العناد، و الانغلاق على النفس، و قساوة القلب، ان له الحق فى أن يتشكك فى بادئ الأمر، و يطالب بالدليل، و يجادل بالعقل الى أن يقتنع و يطمئن، أما أن يواجه الرسول و الرساله بالاستهزاء، فهذا دليل على أنه لا يريد اتباع الحق أساسا، فيا ترى أى مكان يليق بمثل هذا غير جهنم؟!

### جزاء المؤمنين:

[١٠٧] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا- [١٠٨] خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا يجب على الإنسان أن يكتشف أعماق ذاته و يتساءل: لماذا خلقت؟ و ما الذى أطمح إليه؟

انه فى محاسبه رياضيه بسيطه يستطيع أن يفهم أن هذه الدنيا و ما فيها ليست كافيه لاستيعاب طموحه، فمن طموح الإنسان الخلود و الاستمرار فى الحياه، انه لا يريد أن ينقلب الى العدم بعد الوجود، و إذا كانت الدنيا قد خلقت لنا و خلقنا لها فلا أقل من أن نبقى خالدين فيها.

أحد الفلاسفه القدامى كان يقول: أنا مستعد أن يضعونى فى جوف حمار مَيّت، و أظل أتنفس من دبره، فى مقابل أن أبقى حيًا فى الدنيا!! هذا الكلام غير منطقى، و لكن يعبر عن نزعه حب البقاء عند الإنسان.

و لكن هل بقى أحد فى الدنيا؟ كلهم أرادوا البقاء و كلهم ماتوا، اذن فالدنيا ليست لهم، و طموحهم هذا لن يتحقق فيها.

و بعيد عن حكمه الله و رحمته أن يخلق فى كيان الإنسان رغبه لا تتحقق، أو حاجه لا تلبى، انه عند ما خلق العين خلق فى مقابلها شيئًا يرى، و عند ما خلق الأذن خلق فى مقابلها شيئًا يسمع، و عند ما خلق الجهاز الهضمى، خلق فى مقابله شيئًا يؤكل، و هكذا قل فى سائر الحواس و الأعضاء و الغرائز، و كذلك حينما خلق طموح الخلود، و الحصول على ملك لا يبلى؟ خلق وراءه حقيقه مناسبه له، فما هى تلك الحقيقه.

انها جنه الفردوس فى الدار الآخره، و هذا هو أبسط دليل وجدانى على ضروره البعث.

### كلمات الله:

[١٠٩] قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

ص: ٤٩٧



لو تحوّل الماء الموجود فوق الكره الأرضيه الى حبر لكتابه آيات علم الله و قدرته و حكمته، و آثار فضله و نعمته، لجفّ هذا البحر و لما يكتب الا النزر اليسر منها.

ترى أنهم فى مجال الفضاء فتشوا عن أحدث الوسائل الالكترونيه التى تساعدهم على رؤيه النجوم و الكواكب، فاكشفوا بعض المجرات، ثم عادوا و صنعوا أجهزه أحدث فاكشفوا مجرات جديده، و هكذا الى أن قال قائلهم: ان الله لا يزال يخلق، فكلما صنعنا مرصد أضخم لرؤيه ما تحويه السماء، خلق الله فى تلك الفتره مجرات جديده لم تكن موجوده من قبل، و لعلّ هذا هو مصداق الآيه الكريمه: «وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ» / ٤٧ الذاريات.

و خلق الله أسرع من صنع الأجهزه التى نرى بها هذا الخلق، فكيف تنتهى كلمات الله؟ هذه المجرات الواسعه فى الفضاء المتناهيه فى الضخامه و تلك الذرات المتناهيه فى الصغر، كلما درسوها و بحثوا حولها وجدوا فيها خصائص غير مكتشفه سابقا، و آخر خصيصه اكتشفوها فى الذره استفادوا منها فى صنع القنبله النيوترونيه.

ترى كم مجلد كتبوا حولها، فى طريقه صنعها، و الأسرار المرتبطه بها، و المعلومات الخاصه باستعمالها؟ هذا بالنسبه للذره المتواضعه التى لا ترى بأقوى المجاهر و هى واحده من كلمات الرب، اذن فكلمات الله لا تنتهى، و لهذا يجب أن يتحدد غرورك أيها الإنسان، و لا تظن أنك قد وصلت الى نهايه الحقيقه، و انك على الطريق الصواب، دائما ضع علامه استفهام أمامك، و ابحث عن الحقيقه و لا ترى نفسك أكبر منها أبدا.

[١١٠] قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ

ان الرسول ليس سلطانا ذا صولجان، ولا ثريا ذا كنوز، انما هو بشر مخلوق مثل الآخرين، و ميزته الوحيدة أنه يوحى اليه من السماء، وهذا الوحي يتلخص فى جملة واحده هى:

أَتَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لِّذَلِكَ أَسْقَطُوا الْأَصْنَامَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَاجْتَمَعَكُمْ، وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ.

فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا انهما شرطان بسيطان، و لكنهما يمثلان مسئولية الانسان فى الحياه، و يشكلان سفينه نجاته ضمن مسيرته فى خضمّ الأمواج المتلاطمه، و الأعاصير العاصفه، نحو الله الذى هو منتهى أمل العارفين، و غايه آمال الطالبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

